المهندس سعيد بينو

الشيشان

عدوان روسي مستمر وحرب

١٩٩٤ - ١٩٩٦

"لا ننسى ... لا نبكي ... لا نستكين"



المهندس سعيد بينو

الشيشان

عدوان روسي مستمر وحرب

١٩٩٤ - ١٩٩٦

"لا ننسى ... لا نبكي ... لا نستكين"

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٦٠٣ / ١٠ / ٢٠٠٢)

٩٤٧

بين بينو، سعيد

الشيشان : عدوان روسي مستمروحرب ١٩٩٤-١٩٩٦/سعيد بينـو
– عمان: المؤلف، ٢٠٠٢،
(   ) ص.
ر.إ : ٢٦٠٣/ ١٠ / ٢٠٠٢
الواصفات: /الشيشان//روسيا الإتحادية//النزاعات المسلحة/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

عندما أخبرت ابنتي ناديا بأنني أنهيت كتابة مسودة هـذا الكتـاب اقـترحت أن يكون الإهداء لألدر (ابن شقيقها وحفيدي). فهو يواظب مع شقيقه لمبرد (عمرهمـا ٨ سنوات وفي الصف الثالث) على نظم الشـعر باللغـة الإنجليزيـة . ومـن ضمـن واجباتـه البيتية كتب قصيدة عن الحرب الشيشانية الروسية باللغة الإنكليزية، يبدأ كل سطر مـن القصيدة بحرف من اسم (Chechen) مرتبة كما هي في الاسم. وأطلعتـني علـى دفـتري الشقيقين لواجبات درس الإنشاء الإنكليزي . فأعجبت بأسلوب بديع ، وكم كبير من المفردات ، وتعابير واصطلاحات لطيفـة . ولعـل الفضـل في ذلـك يعـود لمدرسـة اللغـة الإنكليزية التي يدعوانها (Miss Lama) ومع إنـني لا اعرفهـا شـخصيا، فـان تعليقاتهـا بخط يدها على معظم فقرات كتاباتهما تبـين مـدى إخلاصهـا وحرصهـا علـى تثقيـف تلامذتها. بورك بها مربية فاضلة.

اهدي هذا الكتاب إلى أحفادي مايا، لامبرد، ألـدر، أحمـد، وايـدي . ولعلهـم عندما يكبرون، سـيعتبرون هـذا الكتـاب مرجعـا مفيـدا عـن أحـداث جـرت في وطـن جذورهم في العقد الأخير من القرن الماضي.

A Poem About Chechnya

Chechens don't like Russia because they are their enemy
Hardship is all Chechens know because of Russia
Enemies have big weapons
Chechen people have small weapons
Hate and jealousy are two reasons that cause war
Endless is the war between Russia and the Chechens
Nasty things are happening, I wish the war would end and Chechnya could be happy again.

Alder Beano

3rd Grade



الحياة غالية ..... والوطن أغلى.

تَقْدِيم

بقلم

الحسن بن طلال(*)

هذا سِفْرٌ قَيِّم وضعَهُ رجلٌ حكيم. ولعلّ رأسَ حكمتِه يَتجلّى في تلك الحُزْمةِ من الدّروسِ والعِبَر التي يَخْتتمُ بها كتابَه. فهي تزوّدُ القاريء بالدّليلِ البَيّن على إصْرار المؤلّف على أنْ يَمخرَ عبابَ نَهْجٍ وسَطيّ بتوازُنٍ تامّ بيْنَ سُلطانِ العَقْلِ وسُلطان القَلْب. وهذا ما لمسْناهُ أيضاً في كتابيْهِ السّابقيْن عن القضيّةِ الشّيشانيّة. وكأنّ لِسانَ حالِهِ يقول: "انصرْ أخاكَ [في شيشانيا] ظالماً أو مظلوماً" بالمعنى الإسْلاميّ لا الجاهِليّ؛ أي: آزرْهُ وخُذْ بيدِهِ إذا كانَ مظلوماً، لكن ارْدَعْهُ وارْشدْهُ إلى طريق القِسْطِ والحَقّ إذا كانَ ظالماً.

والمؤلّفُ يُحبُّ الوضوحَ والصّراحة؛ فأسلوبُهُ مباشَر، ونَثْرُهُ يَنسابُ دونَ أيّ تقعُّرٍ أو تَعْقيد. وهو يَعي تماماً قوانينَ اللُّعْبةِ الدّوليّة؛ كما يُدركُ ما يَدورُ في أروقةِ الحُكْم ودهاليزِ السّياسة. إلاّ أنّهُ من الصِّدْقِ والجَراءةِ والثّقةِ بالنّفس بأن يَتركَ التّحْليلَ الأوْفى للمؤرّخِ المُتَأنّي المتعمّق.

إنّ اهتمامي الكبير بالمسألةِ الشّيشانيّة نابِعٌ من ثلاثةِ أسبابٍ على الأقلّ.

السّببُ الأوّل: رئاستي الفَخْريّة لِـ "جمعيّة أصدقاء جمهوريّةِ الشّيشان – إنْغوش" التي تأسّست في حَزيران ١٩٨٩. وهذا التزامٌ أدبيّ مَرَدُّهُ تَقْديري العميق لهذه الفئةِ المُخلصةِ من أبناء الوطن التي تَعيشُ بيْننا، جُزْءاً منّا، بتقاليدِها العَريقة وثقافتِها الغنيّة وأخْلاقيّاتِها الرّفيعة. وما الإشاراتُ المتفرّقة إلى المساندةِ الأردنيّة – قيادةً وشَعْباً – لشعب شيشانيا إلا غَيْضٌ من فَيْض لِما نكنُّهُ لهذه الفئة من محبّةٍ وتَقْدير.

السّببُ الثّاني: اهتمامي بالإنسان في كُلِّ مكان؛ وبالأمْن الإنسانيّ، أو الأمْن "النّاعم"، المتمثّل في صَوْنِ كرامةِ الإنسان وفي تلبيةِ احتياجاتِهِ وتطلُّعاتِه: الرّوحانيّة والوِجْدانيّة قبْلَ المادّيّة؛ وبثقافةِ السّلام وكيف تنتهي الحروب.

ثقافةُ السّلامِ هذه – كما قُلْتُ وكتبْتُ أكثرَ من مرّة – أوْسعُ وأعمُّ من مجرّدِ غيابِ الحرب. فالإنسانُ المعاصرُ ليس في حالةِ سلام: لا مَعَ نفسه ولا مَعَ محيطه. ونقطةُ الانْطلاق تكمنُ في أنْ يتعلّمَ كيف يكونُ في سلامٍ مَعَ نفسه، وأنْ يُقِرَّ أنّ الضّرارَ حيثما يكون إنّما يمثّلُ تَهْديداً للرّفاهِ في كلّ مكان.

لقد طوّرَ البشرُ أسلحةً للحَرْبِ والفَتْكِ والقَتْلِ والعُنْف يُمكنُ أنْ تمحقَ مظاهرَ الحياةِ على كوكبنا مرّاتٍ ومرّات، ونجحوا في صوْغِ قانونٍ للحَرْب؛ إلاّ أنّهم لمْ يُفْلحوا بَعْد في تطويرِ أسلحةٍ "ناعمة" للسّلامِ بين الأمم ولا للسّلامِ الاجتماعيّ داخلَها، وأخفقوا في صوْغِ قانونٍ للسِّلْم.

وإذْ نأسَى ونأسَفُ على ضحايا الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، وعلى الأرواحِ الكثيرةِ الأُخرى التي عَصَفَ بها العُنْفُ والإرهاب منذ ذلك التّاريخ في مناطقَ شتّى من عالمنا، فإنّنا نُلاحظُ بهَلَعٍ وقلَق أنّ "الهلالَ المتأزّم" بأسْرِهِ يَستعرُ غضباً. وهذا هو الإقليمُ الشّاسعُ الذي يمتدُّ غرْباً من جنوب الصّحراء الكبرى في أفريقيا، مروراً بمنطقتنا، وانتهاءً بآسيا الوسطى والهند؛ وهو موْطنُ ٧٠% من كمّيّاتِ النّفْطِ الموْجودةِ في كوْكبنا و٤٠% من احتياطاتِ الغازِ الطّبيعي.

ومَعَ أنّ القضيّةَ الفلَسطينيّةَ هي شُغْلُنا الشّاغل في أقليمنا المتأزّم باعتبارِها عاملاً مُساهماً رئيسيًّا في عدم الاستقرار العالميّ، مثلها في هذه الأيّام مثل المسألةِ العراقيةِ التي نراقبُها عن كثَب وأيادينا على قُلوبنا، فإنّه علينا أنْ لا ننسَى أو نتناسى بؤرَ التّوتّرِ الأُخرى المتأجّجةَ في ثَنايا هذا الهلالِ المنكوب وعلى أطرافه، ومنها شيشانيا. علينا أنْ نتساءلَ دائماً: ماذا وراء الأكَماتِ والأحداثِ والمَشاهدِ والمَواقف؟ ماذا وراء أنابيبِ النّفْطِ والغاز؟ أين الإنسانُ في ذلك كلّه؟ أين التّضامنُ الإنسانيّ والقِيَمُ الأخْلاقيّةُ العالميّة؟ أين القويُّ الحَصيف الذي يأخذُ بيدِ الضّعيف؟ نتساءلُ عن طبيعةِ النّظام العالَميّ ذاتِها، وعن دوْرِ القوّةِ المطلقةِ في هذا النّظام والبُعْدِ الأخْلاقيّ المتأصّلِ فيه، وعن الذين لا قوّةَ لهم.

السّببُ الثّالث: أمَلي في أنْ يكونَ الحلُّ المنشودُ للقضيّةِ الشّيشانيّةِ نموذجاً يُحتَذى في فِلسطين الغالية وغيرِها. وأمَلي هذا ما زال حيًّا بالرُّغمِ من خَيْبةِ المساعي التي آلَ إليها "العَقْدُ الضّائع": عَقْدُ التّسْعينيّات من القَرْنِ الفائت؛ عَقْدُ الفُرَصِ الضّائعة والكرامةِ الإنسانيّةِ المهدورة. فلكم تمنّيْت، وكم أتمنّى، أنْ يُصبحَ الإخوةُ الأعْداء إخوةً أحبّاء!

إنّ خَيْبةَ الأملِ تَجَسّدتْ – أكثرَ ما تَجَسّدتْ – في مأساة المسرحِ الأخيرة في موسكو. فقد كانت هذه نقمةً على جميعِ الأطراف. ومَعَ ذلك، فلَمْ تَخْلُ من نعمة؛ أعني تجنُّبَ صراعٍ دينيّ مَقيت بدأتْ نُذُرُهُ تلوحُ في الأُفُق. فحمْداً لله ألفَ حَمْد.

ألَمْ يحَنِ الأوانُ لكي تُطبّقَ روسيا في الميْدان ما تؤمنُ به جماهيرُها العظيمة – نساؤها وأُمّهاتُها على الأخصّ – من كُرْهٍ للحَرْب وحُبٍّ للسِّلْم؟ روسيا تُولستوي وبُوشكين ودُسْتُويفسكي وغوغول ...! ألاَ من سياساتٍ بَعيدةِ المدى تَستندُ إلى رؤى نافذة؛ إلى باصرةٍ وبَصيرة؟ سياساتٍ من أجْلَ الإنسان، لا سياساتِ نفْطٍ أو أسلحةٍ أو غطرسة!

لقد أنْهى المؤلِّفُ كتابَهُ بدُعاءٍ مؤثِّر: "أهْدِهِمْ يا ربّ إلى الصِّراط المستقيم"؛ والضّميرُ الغائب يُشيرُ إلى الشّيشان، شعبِ جُذوره. ... أودُّ أنْ أُعمِّمَ هذا الدُّعاء، فأُنادي: "أهْدِ الإخوةَ الأعداءَ جميعاً يا ربّ إلى صِراطِك المستقيم، حيث التّسامحُ والمحبّةُ والسّلام".

اللّهُمّ استجبْ! اللّهُمّ استجبْ!

الحسن بن طلال

عمّان؛ في ٢٦ رمضان ١٤٢٣ هـ
١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢م

• رئيس منتدى الفكرِ العربيّ وراعيه؛ رئيس نادي روما؛ منسّق المؤتمرِ العالَميّ للأديان من أجْلِ السّلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتوضيح

يسعدني ويشرفني أن أتقدم بخالص الشكر وعميق الامتنان لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن المعظم حفظه الله ورعاه لتكريمه لي بتقديم إنساني رائع لهذا الكتاب.

وأرجو أن أوضح بأن:

١ - الاقتباسات المنقولة عن مراجع باللغة الإنجليزية هي من ترجمتي.

٢ - الاقتباسات المنقولة عن مراجع باللغة العربية أو مترجمة إلى اللغة العربية نقلت كما وردت في هذه المراجع.

٣ - الاقتباسات المنقولة عن مراجع باللغة الروسية، والقرارات الصادرة عن المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٥ ، والقرارات الصادرة عن مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان السوفيتية بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧، ومعاهدة السلام التي وقعها يلتسين ومسخادوف بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢ ، والاتفاقية التي وقعها تشيرميردن ومسخادوف بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢، والاتفاقية التي وقعها مدير البنك المركزي للفدرالية الروسية ، ومدير البنك الوطني لجمهورية الشيشان بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢ .
جميعها من ترجمة الدكتور إياد اورشر، ونقلت كما ترجمها.

٤ - ترجمة الاتفاقية التي وقعها الجنرال ليبيد ومسخادوف بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١ هي كما وردت في الصحف المحلية الأردنية .

٥ - الصور والأشكال والخرائط من مصادر متعددة. وأما خرائط العمليات الحربية فمأخوذة عن كتاب الحرب في شيشانيا (The War in Chechnya) .

٦ - قام السيد محمد فؤاد زيد الكيلاني بترتيب وطباعة النصوص على الكمبيوتر.

٧ - قام المهندس عارف بهاء الدين عبد الله والسيد يوشع موسى بينو بمراجعة مسودة نصوص هذا الكتاب، وتصويب أخطاء طباعية وإملائية ولغوية، وتقديم اقتراحات حول بعض النقاط.

٨ - كان الأرشيف الذي أعدته الآنسة الفاضلة هيام كلمات عن مجريات هذه الحرب مرجعاً مهماً في هذا الكتاب .

فإليهم جميعاً خالص الشكر وعميق الامتنان.

كما أقدم الشكر للسيد إبراهيم حميد للجهود التي بذلها في طباعة ونشر هذا الكتاب.

واكرر الإشادة بزوجتي فريدة لتشجيعها ودعمها المتواصل.

(المؤلف)

الفصل الأول

إعلان استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية

"انطلاقاً من حقوق الشعب الشيشاني المقدسة، وغير القابلة للمساس في تقرير مصيره، وتعبيراً عن الإرادة المقدسة للشعب الشيشاني، فإن مجلس السوفيت الأعلى في جمهورية الشيشان/ أنجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي يعلن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية دولة مستقلة وذات سيادة، سلطتها كاملة وغير مجزّأة ضمن الحدود التاريخية الثابتة لأراضي الشعب الشيشاني".

من إعلان الاستقلال ١٩٩٠/١١/٢٧

كانت السياسة الاستبدادية التي تهدف إلى (الروسنة – الترويس) الثقافي، ومحاربة الدين والعادات والتقاليد القومية، والاستغلال ونهب الموارد، والتمييز العنصري، تلقى مقاومة من الشعوب الإسلامية في شمال القوقاز تصل أحياناً إلى مرحلة ثورة وانتفاضة عامة. وكانت السلطات السوفيتية تخمدها بوحشية شديدة ، وصلت أوجها عام ١٩٤٤ حيث جرى نفي وتهجير جماعي لشعوب الشيشان والانجوش والبلقر والكراتشاي والمسخيتيين وتتار القرم من ديارهم القومية إلى أقطار آسيا الوسطى (حيث هلك منهم حوالي النصف بسبب البرد القارس والجوع والأمراض)، وتصفية السلطات لقادة الفكر والمثقفين والقوميين النشيطين. ومع أنه سمح للشيشان والانجوش العودة إلى وطنهم وأعيد تشكيل جمهوريتهم عام ١٩٥٧ ، إلا أن التمييز ضدهم (وغيرهم من الشعوب الإسلامية وخاصة التي تعرضت للنفي والتهجير الجماعي) لم يخف. ومع أنه كان قد صدر بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٦ قانون إعادة تأهيل الشعوب المنفية وفحواه:-

١ - تبرئة الشعوب التي تعرضت للنفي من الاتهامات التي كانت قد وجهت إليها.

٢ - اعتبار الفترة التي قضاها جميع المهجرين في المنفي وكأنها خدمة خاضعة للتقاعد.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتوضيح

يسعدني ويشرفني أن أتقدم بخالص الشكر وعميق الامتنان لصاحب السمو الملكي الأمير الحسن المعظم حفظه الله ورعاه لتكريمه لي بتقديم إنساني رائع لهذا الكتاب.

وأرجو أن أوضح بأن:

١ – الاقتباسات المنقولة عن مراجع باللغة الإنجليزية هي من ترجمتي.

٢ – الاقتباسات المنقولة عن مراجع باللغة العربية أو مترجمة إلى اللغة العربية نقلت كما وردت في هذه المراجع.

٣ – الاقتباسات المنقولة عن مراجع باللغة الروسية، والقرارات الصادرة عن المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٥ ، والقرارات الصادرة عن مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان السوفيتية بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧، ومعاهدة السلام التي وقعها يلتسين ومسخادوف بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢ ، والاتفاقية التي وقعها تشيرميردن ومسخادوف بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢، والاتفاقية التي وقعها مدير البنك المركزي للفدرالية الروسية ، ومدير البنك الوطني لجمهورية الشيشان بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢ .
جميعها من ترجمة الدكتور إياد اورشر، ونقلت كما ترجمها.

٤ – ترجمة الاتفاقية التي وقعها الجنرال ليبيد ومسخادوف بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١ هي كما وردت في الصحف المحلية الأردنية .

٥ – الصور والأشكال والخرائط من مصادر متعددة. وأما خرائط العمليات الحربية فمأخوذة عن كتاب الحرب في شيشانيا (The War in Chechnya) .

٦ – قام السيد محمد فؤاد زيد الكيلاني بترتيب وطباعة النصوص على الكمبيوتر.

٧ – قام المهندس عارف بهاء الدين عبد الله والسيد يوشع موسى بينو بمراجعة مسودة نصوص هذا الكتاب، وتصويب أخطاء طباعية وإملائية ولغوية، وتقديم اقتراحات حول بعض النقاط.

٨ – كان الأرشيف الذي أعدته الآنسة الفاضلة هيام كلمات عن مجريات هذه الحرب مرجعاً مهماً في هذا الكتاب .

فإليهم جميعاً خالص الشكر وعميق الامتنان.
كما أقدم الشكر للسيد إبراهيم حميد للجهود التي بذلها في طباعة ونشر هذا الكتاب.
واكرر الإشادة بزوجتي فريدة لتشجيعها ودعمها المتواصل.

(المؤلف)

الفصل الأول

إعلان استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية

"انطلاقاً من حقوق الشعب الشيشاني المقدسة، وغير القابلة للمساس في تقرير مصيره، وتعبيراً عن الإرادة المقدسة للشعب الشيشاني، فإن مجلس السوفيت الأعلى في جمهورية الشيشان/ أنجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي يعلن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية دولة مستقلة وذات سيادة، سلطتها كاملة وغير مجزّأة ضمن الحدود التاريخية الثابتة لأراضي الشعب الشيشاني".

من إعلان الاستقلال ١٩٩٠/١١/٢٧

كانت السياسة الاستبدادية التي تهدف إلى (الروسنة – الترويس) الثقافي، ومحاربة الدين والعادات والتقاليد القومية، والاستغلال ونهب الموارد، والتمييز العنصري، تلقى مقاومة من الشعوب الإسلامية في شمال القوقاز تصل أحياناً إلى مرحلة ثورة وانتفاضة عامة. وكانت السلطات السوفيتية تخمدها بوحشية شديدة ، وصلت أوجها عام ١٩٤٤ حيث جرى نفي وتهجير جماعي لشعوب الشيشان والانجوش والبلقر والكراتشاي والمسخيتيين وتتار القرم من ديارهم القومية إلى أقطار آسيا الوسطى (حيث هلك منهم حوالي النصف بسبب البرد القارس والجوع والأمراض)، وتصفية السلطات لقادة الفكر والمثقفين والقوميين النشيطين. ومع أنه سمح للشيشان والانجوش العودة إلى وطنهم وأعيد تشكيل جمهوريتهم عام ١٩٥٧ ، إلا أن التمييز ضدهم (وغيرهم من الشعوب الإسلامية وخاصة التي تعرضت للنفي والتهجير الجماعي) لم يخف. ومع أنه كان قد صدر بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٦ قانون إعادة تأهيل الشعوب المنفية وفحواه:-

١ – تبرئة الشعوب التي تعرضت للنفي من الاتهامات التي كانت قد وجهت إليها.

٢ – اعتبار الفترة التي قضاها جميع المهجرين في المنفي وكأنها خدمة خاضعة للتقاعد.

٣- تعويض المنفيين عن الأضرار التي لحقت بهم من جراء النفي وإعادة ممتلكاتهم إليهم.

٤- إعادة الأراضي التي كانت قد اقتطعت من أراضي جمهوريات الشعوب المنفية إلى الجمهوريات التي أعيد تشكيلها. وكان هذا البند ذو أهمية خاصة للشيشان والانجوش وذلك فيما يتعلق بلواء الأقوي الذي بقي ضمن جمهورية داغستان ولواء بريغورودني الذي بقي ضمن جمهورية اوسيتيا الشمالية . إلا أن أياً من أحكام هذا القانون لم تنفذ.

أتاحت سياسة إعادة البناء والمصارحة التي أعلنها غورباتشوف لشعوب وقوميات الاتحاد السوفيتي (بما فيهم الشيشان) فرصةً لإثبات وجود لها والمطالبة بحقوقها. وفي شيشانيا استغلّت جماعات قومية نشطة موافقة السلطات المحلية على مشروع إنشاء مجمع لإنتاج مواد بيوكيماوية (كيماويات حيوية) قرب مدينة غودرمس، فنظمت مظاهرات احتجاج لأنها كانت ستؤدي إلى تلوّث البيئة والمياه الجوفية بدون عائد مناسب على الجمهورية، لأن ٩٧٪ من إيرادات الصناعات كانت تُخصص لصالح الاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية الاتحادية. وكان هذا المصنع (كما قيل لي) سيصبح ثالث أكبر مصنع من نوعه في العالم، وسبق لكازاختسان وتتارستان أن رفضتا إقامة هذا المصنع في أراضيها.

لم تقف الحركة الاحتجاجية عند تراجع السلطات المحلية عن موافقتها السابقة، بل جرى تشكيل جبهة وطنية متحدة للشيشان والانجوش للمطالبة بحقوق لهم واردة في دساتير الاتحاد السوفيتي ، والجمهورية الروسية المتحدة . وجمهورية الشيشان / أنجوش، إلا أنهم ظلوا محرومين منها. وتشكلت في الجمهورية أحزاب سياسية أبرزت بعضها اتجاهاً إسلامياً، كما نشطت حركة بناء المساجد في مختلف أنحاء الجمهورية.

وأسفرت نشاطات القوميين على ما يمكن أن نسميها " ثورة في القصر" ، إذ جرى في تموز ١٩٨٩ ، لأول مرّة في تاريخ جمهورية الشيشان/أنجوش ، وصول شيشاني إلى مركز السكرتير الأول للجنة الحزب الشيوعي المركزية في الجمهورية ، وهو المنصب الأهم والأكثر نفوذاً في الجمهورية.

كانت العادة أن تقوم موسكو بتنسيب روسي من خارج الجمهورية لتولي هذا المركز، فتوافق لجنة الجمهورية بدون نقاش على انتخابه بالإجماع. إلا أنه في تموز ١٩٨٩ قامت الجبهة الوطنية والحركات القومية بضغط كبير على لجنة الجمهورية لعقد اجتماع قام بإنتخاب السكرتير الثاني السيد دكة زفجاييف سكرتيراً أول لها.

والطريف أن مرشح موسكو للمنصب وصل إلى مطار غروزني وهو غير مطلّع على ما جرى في الصباح، وبدلاً من استقباله بالترحيب وباقات الزهور والوعود بالانصياع لتوجيهاته ، أُخبر أن انتخاب السكرتير الأول قد تمّ، وطُلب منه العودة إلى موسكو على نفس الطائرة.

وعلى ضوء هذه الخلفية عقد في أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من شهر نوفمبر ١٩٩٠ في مدينة غروزني المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني. وتم تمثيل سكان الجمهورية بمختلف فئاتهم العرقية والدينية بمعدل مندوب واحد عن كل ألف نسمة انتخبوا من قبل المواطنين مباشرة في بلداتهم وقراهم في الجمهورية، كما وجهت الدعوة لممثلين عن الشيشان المغتربين في مختلف أنحاء العالم لحضور المؤتمر كمراقبين. وقد أتيح لي شخصياً المشاركة في هذا المؤتمر وقدمت ورقة عمل بعنوان (اقتراح تشكيل لجنة وطنية لجمع المصادر والمراجع والوثائق المتعلقة بأقطار وشعوب وشمال القوقاز).

وكان برنامج المؤتمر يشمل الأمور التالية:-

١- تقرير رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر المهندس ليتشة عمخايوف.

٢- عرض تقارير وبحوث متعلقة بالمواضيع التالية:

أ) التاريخية.

ب) الاجتماعية والاقتصادية.

ج) البيئة.

د) الثقافة.

هـ) العلاقة بين الشعوب والقوميات.

و) الاستقلال والسيادة.

ز) إحياء المؤتمرات الشعبية (مخكا كخيل) الشيشانية وتأسيس مجلس تشريعي بما يتناسب مع التقاليد القومية للشعب الشيشاني.

٣- المناقشة والموافقة على قرارات المؤتمر.

وكانت قرارات المؤتمر التي ووفق عليها بالإجماع وصدرت مساء ٢٥/١١/١٩٩٠ على الوجه التالي:-

"كانت القومية الشيشانية خلال عشرات السنين الماضية محرومة من الإمكانيات المادية الضرورية من أجل التطور الطبيعي، وتعرضت حتى على أرضها وفي ديارها التاريخية للتمييز والتهجير الجماعي .

" إن الظلم البعيد عن أبسط مبادئ العدالة الذي أصاب الشيشان خلال سنوات التهجير والنفي، نتج عنه هلاك ما يقارب نصف الشعب الشيشاني. وحتى وبعد السماح لهم بالعودة إلى ديارهم التاريخية وإعادة تشكيل جمهورية الشيشان / انجوش، كانت نسبة ممثليهم في دوائر الدولة والمؤسسات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية أقل بكثير من نسبتهم إلى المجموع العام لسكان الجمهورية . كما وأنه لم تتم زيادة كوادرهم وتنميتها في المهارات والنشاطات الصناعية والهندسية والفنية.

" إن مماطلة الحكومة المركزية في حل المشاكل المتعلقة بالشيشان، ومسألة تعديل حدود جمهوريتهم ذات الحكم الذاتي، ووجود (٢٣٠) ألف شيشاني مضطرين للعيش خارج حدود دولتهم، والأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على الجمهورية، ووجوب بعث وأحياء اللغة والثقافة القومية، وحرية وممارسة الشعائر الدينية ، والتطلع إلى إنشاء علاقات احترام متبادل بين القوميات في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ... كل هذا يضع أمام الشعب الشيشاني مجموعة من المشاكل الوطنية الخاصة التي بدون حلها يتعذر عليه أن يتطور كقومية متميزة.

" وبناء على ما سبق، فإن المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني يقرر ما يلي:-

١- تجسيداً لرغبة الشعب الشيشاني، يرى المؤتمر الوطني العام ضرورة إعلان استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية (نوختشي تشوى)، مقررين بذلك أن جميع حاملي الجنسية الوطنية هم شعب الجمهورية الشيشانية المستقلة.

٢- إن سيادة الجمهورية الشيشانية تشمل جميع أراضي جمهورية الشيشان / انجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي القائمة الآن باستثناء الأراضي التي كانت تقع ضمن حدود مقاطعة الانجوش ذات الحكم الذاتي قبل انضمامها مع الشيشان عام ١٩٣٤.

٣- إن أية أعمال موجهة ضد وحدة وسلامة أراضي الجمهورية الشيشانية ستقابل برد حاسم من قبل الشعب الشيشاني.

٤- يعلن المؤتمر بأن الأراضي والثروات الطبيعية والمجال الجوي والمنتجات الصناعية والزراعية تعتبر جميعها ملكاً خاصاً لشعب الجمهورية الشيشانية.

٥- التقدم باقتراح إلى مجلس السوفيت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان/ انجوش السوفيتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي للنظر في قرارات المؤتمر الوطني العام للشعب الشيشاني حول إعلان استقلال وسيادة جمهورية الشيشان.

٦- وآخذين بعين الاعتبار الخسائر والأضرار التي لحقت بالجمهورية، ومحدودية المساحة وفرص العمل، فإنه ينبغي على برلمان جمهورية الشيشان/ انجوش ذات الحكم الذاتي أن تتخذ إجراءات سريعة من أجل الحد من وتنظيم دخول سكان من الخارج ماعدا الأشخاص الذين ينتمون إلى القومية الشيشانية، على أن تتوفر في نفس الوقت حرية توزيع وإقامة السكان في أنحاء الجمهورية.

٧- على جمهورية الشيشان أن تتوصل إلى حل لعودة الشيشان الذين لم يرجعوا بعد من مناطق نفيهم في كازاخستان وقرغيزيا، وأن تنطلق في حل مشكلتهم بالوسائل السلمية والمبادئ الدبلوماسية مع مراعاة جميع الحقوق المادية والمدنية وغيرها من الحقوق التي تتمتع بها المجموعات السكانية التي تعيش في تلك المناطق.

٨- إن جمهورية الشيشان تدعم تطلع الشعب الانجوشي في إقامة مقاطعته ذات الحكم الذاتي ضمن حدود سنة ١٩٣٤.

٩- إعلان الحرب على المافيا وعلى المجموعات الفاسدة التي تعشش داخل مؤسسات الشؤون الداخلية والتجارة والخدمات والحزب ومجالس السوفيت ، والتي تنهب الشعب وتشكل حواجز بيروقراطية تعطل إنجاز معاملات المواطنين ، وكذلك

حقوقهم في الحصول على السكن وقطع الأراضي ومواد البناء ، وكذلك العلاج الطبي والتعليم ، ومحاربة احتكار المواد والبضائع النادرة وسوء التوزيع غير القانوني للبضائع التجارية.

١٠- إعلان أراضي شيشانيا منطقة منكوبة بيئياً واتخاذ الإجراءات لإحياء التقاليد البيئية للشعب الشيشاني.

١١- إعطاء الدعم اللازم لإيجاد الموارد المادية لمنظمة (الحركة الخضراء) التي تهتم بالمحافظة على البيئة.

١٢- يرى المؤتمر ضرورة إعلان اللغة الشيشانية كلغة رسمية للدولة في جميع أراضي شيشانيا ، والقيام باتخاذ جميع الإجراءات لتوفير الوسائل اللازمة لتطوير هذه اللغة.

١٣- العمل بكل الوسائل اللازمة من أجل إعداد كوادر من المثقفين الوطنيين عاليي الخبرة والثقافة. وفتح مراكز للأطفال الموهوبين، وجلب معلمين متخصصين وذوي كفاءات عالية في الثقافة والعلوم والفنون.

١٤- تأسيس صندوق وطني لتأمين الموارد اللازمة لتطوير ثقافة الشعب، ويعهد للجنة المؤتمر مسألة إيجاد مدير متفرغ وكفوء لهذا الصندوق.

١٥- يجب العمل على إيجاد الظروف التي تيسر للمؤمنين أداء واجباتهم الدينية، بما في ذلك إيجاد الظروف والأماكن المناسبة في جميع المؤسسات والمصانع من أجل إقامة الصلوات ، كما يجب إحياء الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وأن تكون أيام هذه الأعياد عطلة رسمية في جميع أنحاء الجمهورية.

١٦- التقدم بطلب إلى مجلس السوفيت الأعلى (البرلمان) ومجلس الوزراء في جمهورية الشيشان / انجوش ذات الحكم الذاتي لإلغاء قرار مجلس الوزراء الصادر بتاريخ ١٦/٨/١٩٩٠ بشأن وضع بناية المتحف الجمهوري تحت إشراف الحزب الشيوعي في الجمهورية.

١٧- ينبغي على الشعب الشيشاني التخلص من جميع النتائج التي ترتبت عن الحكم الاستبدادي عام ١٩٤٤ آخذاً بعين الاعتبار الأمور التالية:-

أ) تشكيل مجلس للتحقيق في جرائم عهد ستالين على أراضي الجمهورية الشيشانية.

ب) تشكيل محكمة في الجمهورية على شكل "محكمة نورنبرغ " لمحاكمة الذين اقترفوا تلك الجرائم (ولو غيابياً)، مع دعوة ممثلي جميع الشعوب التي كان قد جرى نفيها عن أراضيها خلال العهد الستاليني للمشاركة في هذه المحكمة.

ج) التعويض الكامل وغير المشروط عن الأضرار التي أصابت الشعب الشيشاني خلال فترة النفي ابتداء من عام ١٩٤٤ وحتى عودتهم إلى الوطن عام ١٩٥٧.

د) إعادة الاعتبار لكل المواطنين المنكّل بهم في شيشانيا.

١٨- يعلن المؤتمر بأن يوم ٢٣ شباط (تاريخ النفي الجماعي عام ١٩٤٤) في كل عام يعتبر يوم ذكرى وحزن وحداد شعبي عام.

١٩- إعادة الجنسية للأديب الشيشاني الكبير عبد الرحمن افترخانوف.

٢٠- دعم المطلب الشعبي بتجريد "ف. ب. فينو غرادوف " من جميع الأوسمة والميداليات والألقاب التي حصل عليها بواسطة الافتراء على تاريخ الشعب الشيشاني والأنجوش، والتقدم بطلب إلى مجلس السوفييت الأعلى في جمهورية الشيشان / أنجوش ذات الحكم الذاتي بعدم منحه جنسية جمهورية الشيشان المستقلة.

٢١- التنديد الشعبي العام بكل رعايا شيشانيا الذين اشتركوا في الدعاية لنظريات فينوغرادوف الكاذبة.

٢٢- قرار تشكيل لجان متابعة لتنفيذ قرارات المؤتمر الوطني العام للشعب الشيشاني، وتناط بها الاختصاصات والأمور التالية:

أ) القانونية والتشريعية.

ب) المؤسسات الحكومية.

ج) الأمور الاجتماعية والاقتصادية

د) الاتصالات الخارجية

هـ) البيئة

و) العلاقات بين الشعوب والقوميات

ز) الإعلام والنشر

ح) الثقافة والعلوم

ط) الرقابة والإشراف.

٢٣- يعتبر المؤتمران تعيين رئيس جهاز لجنة أمن الدولة/ المخابرات (كي. جي. بي) ووزير الداخلية، والمدعي العام للجمهورية، من أشخاص لا تنتمي جذورهم القومية للجمهورية أمراً مرفوضاً.

٢٤- تمديد تفويض المندوبين لهذا المؤتمر لحين الدعوة إلى المؤتمر القادم".

وقد رفعت هذه القرارات إلى مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان/ انجوش السوفيتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي الذي اجتمع صباح ١٩٩٠/١١/٢٦ لدراستها. وبعد مناقشات استمرت عشرين ساعة متواصلة أصدر فجر يوم ١٩٩٠/١١/٢٧ وبموافقة ١٤١ نائباً من مجموع ١٦٥ وبدون أية معارضة البيان التالي:

"بيان عن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية "

"انطلاقاً من حقوق الشعب الشيشاني الطبيعية المقدسة وغير القابلة للمساس في تقرير مصيره، وتعبيراً عن الإرادة المقدسة للشعب الشيشاني ، فإن مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) في جمهورية الشيشان/ انجوش السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي،

- مدركاً للمسؤولية التاريخية عن مصير الشعب الشيشاني.
- وبهدف إيجاد الظروف الملائمة من أجل تطوره في جميع المجالات.
- ومظهراً عنايته واهتمامه بحفظ وتطوير العرق الشيشاني.
- ومحترماً سعي السكان الأنجوش إلى إعادة إنشاء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي ضمن حدود عام ١٩٣٤ ، ومتمنياً الإسراع في حلّ هذه المسألة.
- ومحترماً لحقوق وأماني جميع الشعوب الأخرى التي تعيش في الجمهورية.

يعلن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية كدولة مستقلة وذات سيادة ، سلطتها كاملة وغير مجزّأة ضمن الحدود التاريخية الثابتة لأراضي الشعب الشيشاني،

ويعلن عزمه على إنشاء دولة الشرعية، ذات الاتجاه الاشتراكي والعدالة الاجتماعية على الأسس التالية:

١- الجمهورية الشيشانية هي دولة مستقلة ذات سيادة للشعب الشيشاني.

إن سيادة الدولة هي الضمانة الدستورية لعدم المساس بحق الشعب الشيشاني في تقرير مصيره، وتعتبر السيادة شرطاً بديهياً وطبيعياً وضرورياً لوجود وتطّور الدولة القومية للشعب الشيشاني الذي يعتبر من أقدم شعوب القوقاز والذي يمتلك تاريخاً وثقافة وتقاليد تمتدّ لقرون طويلة.

٢- المصدر الوحيد لسلطة الدولة في الجمهورية الشيشانية هو شعب الجمهورية المكوّن من كافة مواطني الجمهورية.

٣- تؤدي الجمهورية الشيشانية ، بصفتها دولة شرعية ، مهامها على أساس مبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية.

٤- الرقابة العليا على التطبيق الدقيق لقوانين الجمهورية الشيشانية تتمّ عن طريق المدعي العام للجمهورية، والذي يعيّن من قبل مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان.

٥- إن الضمانة للسلطة الكاملة للشعب والديمقراطية الحقيقية في الجمهورية الشيشانية كدولة ملتزمة بالشرعية والقانون والتقاليد الديمقراطية للشعب ، تتمثّل في النظام التالي للحكم الشرعي القانوني من خلال المؤسسات التالية للجمهورية الشيشانية:

أ) المؤتمر الشعبي

ب) السوفييت الأعلى (البرلمان) للجمهورية الشيشانية الذي يتكوّن من مجلسين:

١- مجلس الشورى للشيوخ (مجلس الشيوخ).

٢- مجلس نواب الشعب.

ج) رئيس الجمهورية الشيشانية.

د) المحكمة العليا (الدستورية) للجمهورية الشيشانية.

٦- إن تاريخ الشعب الشيشاني الممتد لقرون طويلة ، يثبت بأن هذا الشعب كان دائماً يرغب في الوحدة والتضامن من أجل توطيد المبادئ الإنسانية والعدالة بين الشعوب. ولهذا فإن الشعب الشيشاني يثمن غالياً اتحاد الجمهوريات، ومستعدّ لأن يكون عنصراً مستقلاً ومتساوياً في الحقوق وعاملاً فعّالاً في معاهدة تحالف أو اتحاد لجمهوريات مستقلّة.

٧- توقع الجمهورية الشيشانية معاهدة الاتحاد وفق الشروط التالية فقط:-

أ- بعد اتخاذ الضمانات القانونية لاستبعاد تكرار إبادة الشعب الشيشاني في المستقبل.

ب- وبعد اتخاذ الضمانات القانونية بأن الأضرار المعنوية والخسائر المادية التي وقعت بأراضي الشعب الشيشاني من قبل النظام الاستبدادي، وكذلك جميع الأضرار التي أصابت الشعب والجمهورية الشيشانية سوف يتم التعويض عنها بالكامل.

ويأمل الشعب الشيشاني بأن جميع أطراف مثل هذا الاتحاد ستتفهم وتدعم هذه الشروط المقدّمة من قبل الجمهورية الشيشانية، وبخلاف ذلك فإنه لا يوجد أمام الشعب الشيشاني خيار سوى أن يعلن الجمهورية الشيشانية دولة محايدة وأن يحاول استقطاب الدعم العالمي من أجل الحفاظ على وجوده آمناً في المستقبل.

٨- ولكي يكون التوقيع على اتفاقية الاتحاد من قبل الجمهورية الشيشانية قانونياً ونافذاً ولا يعارض الإرادة الحرّة للشعب الشيشاني ، فإنه يجب أن يسبقه وضع واقرار دستور للجمهورية الشيشانية كدولة مستقلّة ذات سيادة.

٩- يعتبر هذا البيان أساساً لوضع وصياغة القانون الأساسي (الدستور) للجمهورية الشيشانية".

ومن الجدير بالذكر هنا ولفائدة غير المطلعين على تاريخ الشيشان وقضاياهم، توضيح الخلفية لبعض البنود الواردة في قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني، وكذلك بيان مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان/ أنجوش السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي.

١- يصرح الشيشان – وهم على حق – بأنهم بالرغم من الشهرة التي اكتسبوها كأشدّ المقاتلين في حروبهم ضد الاحتلال الروسي للقوقاز، وأكثر شعوب الإمبراطورية

الروسية القيصرية والشيوعية إصراراً على مقاومة الحكم الروسي، إلا أن الشيشان شعب مسالم بطبعه، وكانت جميع حروبهم دفاعاً ضد الغزاة لديارهم ، ولم تكن اعتداء على الغير خارج حدود هذه الديار. ويفتخر الشيشان أيضاً بأن الوحدات العسكرية الشيشانية في الجيش الروسي القيصري لم تشترك أبداً في الحملات الروسية على شعوب قوقازية أخرى (إسلامية أو مسيحية) ولا على تركيا المسلمة.

٢- يصرّح الشيشان بأنهم لا يحملون أي مشاعر تعصب عرقي أو تفرقة ضد غيرهم من مواطني جمهوريتهم. بل أنهم عندما أبدت بعض عناصر الأنجوش (وهم أخوتهم من شعب الويناخ) رغبة في إعادة إحياء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي، فإن الشيشان بالرغم من أسفهم وتخوفهم من نتائج هذه الحركة ، لم يعارضوا انفصال مقاطعة الأنجوش بالحدود التي كانت عليها عند انضمامها للشيشان عام ١٩٣٤ إذا كانت هذه رغبة الأكثرية من الأنجوش. ولذلك فإن البند الثاني من قرارات المؤتمر الوطني استثنى أراضي مقاطعة الأنجوش ذات الحكم الذاتي قبل عام ١٩٣٤ من حدود جمهورية الشيشان التي أعلن استقلالها. كما أن البند الثامن من قرارات المؤتمر جاء بدعم تطلع الشعب الأنجوشي في إقامة مقاطعته ذات الحكم الذاتي ضمن حدودها عام ١٩٣٤. أي أن جمهورية الشيشان تدعم مطالبة الأنجوش بأن تعاد إليهم الأراضي الأنجوشية (لواء بريغورودني) التي كانت قد سلخت من جمهورية الشيشان/أنجوش عند إعادة تشكيلها عام ١٩٥٧ وضمت إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية.

كما وأن مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان / انجوش ذات الحكم الذاتي احترم أيضاً في مقدمته سعي الأنجوش إلى إعادة إنشاء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي ضمن حدودها عام ١٩٣٤.

وحتى بالنسبة للروس الذين شكلوا معظم القوات القيصرية والشيوعية التي حاربت الشيشان، وكوادر السلطات التي حكمت فاستبدّت بالحكم، فإن الشيشان لا يحملون حقداً عليهم كشعب، بل يعارضون ما كانوا يمثلونه كسلطات احتلال واستبداد وتمييز. ولذلك فإنه في الوقت الذي يجري فيه إعادة الأسماء الشيشانية القديمة للمدن والقرى والمواقع المهمّة، ويجري إزالة أسماء يرمولوف ولينين وستالين وغيرهم

٦- إن تاريخ الشعب الشيشاني الممتد لقرون طويلة ، يثبت بأن هذا الشعب كان دائماً يرغب في الوحدة والتضامن من أجل توطيد المبادئ الإنسانية والعدالة بين الشعوب. ولهذا فإن الشعب الشيشاني يثمن غالياً اتحاد الجمهوريات، ومستعدّ لأن يكون عنصراً مستقلاً ومتساوياً في الحقوق وعاملاً فعّالاً في معاهدة تحالف أو اتحاد لجمهوريات مستقلّة.

٧- توقع الجمهورية الشيشانية معاهدة الاتحاد وفق الشروط التالية فقط:-

أ- بعد اتخاذ الضمانات القانونية لاستبعاد تكرار إبادة الشعب الشيشاني في المستقبل.

ب- وبعد اتخاذ الضمانات القانونية بأن الأضرار المعنوية والخسائر المادية التي وقعت بأراضي الشعب الشيشاني من قبل النظام الاستبدادي، وكذلك جميع الأضرار التي أصابت الشعب والجمهورية الشيشانية سوف يتم التعويض عنها بالكامل.

ويأمل الشعب الشيشاني بأن جميع أطراف مثل هذا الاتحاد ستتفهم وتدعم هذه الشروط المقدّمة من قبل الجمهورية الشيشانية، وبخلاف ذلك فإنه لا يوجد أمام الشعب الشيشاني خيار سوى أن يعلن الجمهورية الشيشانية دولة محايدة وأن يحاول استقطاب الدعم العالمي من أجل الحفاظ على وجوده آمناً في المستقبل.

٨- ولكي يكون التوقيع على اتفاقية الاتحاد من قبل الجمهورية الشيشانية قانونياً ونافذاً ولا يعارض الإرادة الحرّة للشعب الشيشاني ، فإنه يجب أن يسبقه وضع واقرار دستور للجمهورية الشيشانية كدولة مستقلّة ذات سيادة.

٩- يعتبر هذا البيان أساساً لوضع وصياغة القانون الأساسي (الدستور) للجمهورية الشيشانية".

ومن الجدير بالذكر هنا ولفائدة غير المطلعين على تاريخ الشيشان وقضاياهم، توضيح الخلفية لبعض البنود الواردة في قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني، وكذلك بيان مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان/ أنجوش السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي.

١- يصرح الشيشان – وهم على حق – بأنهم بالرغم من الشهرة التي اكتسبوها كأشدّ المقاتلين في حروبهم ضد الاحتلال الروسي للقوقاز، وأكثر شعوب الإمبراطورية

الروسية القيصرية والشيوعية إصراراً على مقاومة الحكم الروسي، إلا أن الشيشان شعب مسالم بطبعه، وكانت جميع حروبهم دفاعاً ضد الغزاة لديارهم ، ولم تكن اعتداء على الغير خارج حدود هذه الديار. ويفتخر الشيشان أيضاً بأن الوحدات العسكرية الشيشانية في الجيش الروسي القيصري لم تشترك أبداً في الحملات الروسية على شعوب قوقازية أخرى (إسلامية أو مسيحية) ولا على تركيا المسلمة.

٢- يصرّح الشيشان بأنهم لا يحملون أي مشاعر تعصب عرقي أو تفرقة ضد غيرهم من مواطني جمهوريتهم. بل أنهم عندما أبدت بعض عناصر الأنجوش (وهم أخوتهم من شعب الويناخ) رغبة في إعادة إحياء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي، فإن الشيشان بالرغم من أسفهم وتخوفهم من نتائج هذه الحركة ، لم يعارضوا انفصال مقاطعة الأنجوش بالحدود التي كانت عليها عند انضمامها للشيشان عام ١٩٣٤ إذا كانت هذه رغبة الأكثرية من الأنجوش. ولذلك فإن البند الثاني من قرارات المؤتمر الوطني استثنى أراضي مقاطعة الأنجوش ذات الحكم الذاتي قبل عام ١٩٣٤ من حدود جمهورية الشيشان التي أعلن استقلالها. كما أن البند الثامن من قرارات المؤتمر جاء بدعم تطلع الشعب الأنجوشي في إقامة مقاطعته ذات الحكم الذاتي ضمن حدودها عام ١٩٣٤. أي أن جمهورية الشيشان تدعم مطالبة الأنجوش بأن تعاد إليهم الأراضي الأنجوشية (لواء بريغورودني) التي كانت قد سلخت من جمهورية الشيشان/أنجوش عند إعادة تشكيلها عام ١٩٥٧ وضمت إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية.

كما وأن مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان / انجوش ذات الحكم الذاتي احترم أيضاً في مقدمته سعي الأنجوش إلى إعادة إنشاء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي ضمن حدودها عام ١٩٣٤.

وحتى بالنسبة للروس الذين شكلوا معظم القوات القيصرية والشيوعية التي حاربت الشيشان، وكوادر السلطات التي حكمت فاستبدّت بالحكم، فإن الشيشان لا يحملون حقداً عليهم كشعب، بل يعارضون ما كانوا يمثلونه كسلطات احتلال واستبداد وتمييز. ولذلك فإنه في الوقت الذي يجري فيه إعادة الأسماء الشيشانية القديمة للمدن والقرى والمواقع المهمّة، ويجري إزالة أسماء يرمولوف ولينين وستالين وغيرهم

ممن أساءوا إلى الشعب الشيشاني، فإن هناك تقبّلاً لإطلاق أسماء بعض كبار الأدباء الروس مثل تولستوي وبوشكين وليرمنتوف الذين تغنوا بسحر القوقاز وجماله وأشادوا بشعوبه.

٣- وقد صرح ناطق باسم المؤتمر الوطني بأن الطلب بإعادة الجنسية للأديب الشيشاني عبد الرحمن افترخانوف، والتنديد بفينوغرادوف، لا علاقة له بتعصّب أو تفرقة عرقية لكون الأول شيشاني والآخر يهودي. فعبد الرحمن الذي نشر العشرات من المقالات والأبحاث وألف العديد من الكتب عن النظام والحكم الشيوعي (نظريةً وممارسةً)، يُعدّ من أشهر المثقفين القوقازيين والعقائديين السوفييت الذين عارضوا ممارسات السلطات الشيوعية وعمليات التصفية والإبادة التي قام بها ستالين ضد شعوب الاتحاد السوفييتي، فكان عقابه الاعتقال والتعذيب . إلا أنه تمكّن من الفرار إلى خارج الاتحاد السوفييتي لمواصلة كفاحه. وأما فينوغرادوف فإن أوصاف الكذب والافتراء التي وصف بها تنطبق عليه فعلاً. فهذا المدعي الذي نصبه الحزب الشيوعي استاذاً للتاريخ في جامعة غروزني، هو الذي خرج بنظرية "مرور مائتي عام على الصداقة الروسية الشيشانية الحميمة المستمرة الأبدية " فبموجب نظريته، فإن نضال الشيشان وحروبهم الطويلة ضد الاحتلال الروسي لبلادهم، وثوراتهم وانتفاضاتهم المستمرة ضد السلطات الروسية القيصرية والشيوعية، وما عانوه من اضطهاد واعتقال ونفي جماعي من ديارهم (وهي أمور وقعت جميعها خلال القرنين الماضيين) وكأنها لم تقع أو لا قيمة أو تأثير لها. مع العلم بأن تنديد المؤتمر لم ينحصر بفينوغرادوف بل طال جميع رعايا شيشانيا الذين شاركوا في الدعاية لنظرياته.

٤- وبالرغم من أن الشيشان لا يعارضون الرغبة والخيار الحرّ لأية أقلية في الانفصال عن جمهوريتهم، إلا أنهم يتفهمون فوائد وضرورة التعاون بين الشعوب، والدخول مع دول أخرى في اتحاد بموجب معاهدات تعقد بين دول مستقلة ذات سيادة، متساوية في الحقوق والواجبات، لا تتسلط فيها دولة أو فئة على أخرى. وهذه الدول تشمل طبعاً الاتحاد السوفييتي كمجموعة متكاملة، أو أياً من جمهورياتها على شكل انفرادي. وكانت هناك تطلعات خاصة لتشكيل اتحاد فيدرالي أو كونفدرالي مع

شعوب شمال القوقاز التي كانت قد اتحدت عام ١٩١٨ في جمهورية اتحاد شعوب شمال القوقاز. وشكل المؤتمر لجنة خاصة لمتابعة هذا الموضوع.

٥- بالإضافة إلى حق الشعوب بالحرية وتقرير المصير، إذ خلق الله الناس أحراراً، يرى الشيشان أن مسلك السلطات الروسية (القيصرية والشيوعية) تجاههم يبرر قرارهم التاريخي بإعلان استقلال وسيادة جمهوريتهم. فهذه السلطات لم تراع أبداً الوعود الرسمية التي قُدّمت لهم بالنيابة عن السلطات الروسية المركزية.

فالسلطات الروسية أخلّت بجميع الوعود والالتزامات التي وردت في رسالة قائد جيش القوقاز/ نائب القيصر المارشال الأمير بارياتنسكي التي وجهها إلى الشعب الشيشاني باسم (صاحب الجلالة قيصر روسيا) عند استسلام الشيخ شامل عام ١٨٥٩ واعتبرت بمثابة معاهدة بين روسيا وشيشانيا وهذه ترجمتها.

" إلى الشعب الشيشاني:

" أعلن باسم صاحب الجلالة قيصر روسيا ما يلي:-

١- تقرر الحكومة الروسية السماح لكم بممارسة معتقداتكم وشعائركم الدينية الموروثة عن أجدادكم بكل حرية.

٢- تقرر الحكومة الروسية إعفاءكم من جميع الضرائب لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من تاريخ توقيع هذا التعهد. وبعد انتهاء الفترة المذكورة ستتم جباية ثلاث روبلات فقط عن كل مسكن كمصاريف إدارة ورعاية. وسيتم تشكيل لجان محلية لهذه الغاية.

٣- لن يجري إلزامكم بالخدمة العسكرية ولا صهركم مع شعب القوزاق.

٤- سيتم تعيين الحكام الإداريين من الأشخاص الذين ينتمون لعاداتكم وشريعتكم.

٥- إن حق الملكية حق مقدس. وسوف يتم تثبيت ملكيتكم على أراضيكم وأبنيتكم بالطرق المساحية الفنية وتسجيلها حسب الأصول. وفي حالة تمردكم وخيانتكم لجلالة القيصر فسيتم مصادرة هذه الملكيات.

ممن أساءوا إلى الشعب الشيشاني، فإن هناك تقبّلاً لإطلاق أسماء بعض كبار الأدباء الروس مثل تولستوي وبوشكين وليرمنتوف الذين تغنوا بسحر القوقاز وجماله وأشادوا بشعوبه.

٣- وقد صرح ناطق باسم المؤتمر الوطني بأن الطلب بإعادة الجنسية للأديب الشيشاني عبد الرحمن افترخانوف، والتنديد بفينوغرادوف، لا علاقة له بتعصّب أو تفرقة عرقية لكون الأول شيشاني والآخر يهودي. فعبد الرحمن الذي نشر العشرات من المقالات والأبحاث وألف العديد من الكتب عن النظام والحكم الشيوعي (نظريةً وممارسةً)، يُعدّ من أشهر المثقفين القوقازيين والعقائديين السوفييت الذين عارضوا ممارسات السلطات الشيوعية وعمليات التصفية والإبادة التي قام بها ستالين ضد شعوب الاتحاد السوفييتي، فكان عقابه الاعتقال والتعذيب . إلا أنه تمكّن من الفرار إلى خارج الاتحاد السوفييتي لمواصلة كفاحه. وأما فينوغرادوف فإن أوصاف الكذب والافتراء التي وصف بها تنطبق عليه فعلاً. فهذا المدعي الذي نصبه الحزب الشيوعي استاذاً للتاريخ في جامعة غروزني، هو الذي خرج بنظرية "مرور مائتي عام على الصداقة الروسية الشيشانية الحميمة المستمرة الأبدية " فبموجب نظريته، فإن نضال الشيشان وحروبهم الطويلة ضد الاحتلال الروسي لبلادهم، وثوراتهم وانتفاضاتهم المستمرة ضد السلطات الروسية القيصرية والشيوعية، وما عانوه من اضطهاد واعتقال ونفي جماعي من ديارهم (وهي أمور وقعت جميعها خلال القرنين الماضيين) وكأنها لم تقع أو لا قيمة أو تأثير لها. مع العلم بأن تنديد المؤتمر لم ينحصر بفينوغرادوف بل طال جميع رعايا شيشانيا الذين شاركوا في الدعاية لنظرياته.

٤- وبالرغم من أن الشيشان لا يعارضون الرغبة والخيار الحرّ لأية أقلية في الانفصال عن جمهوريتهم، إلا أنهم يتفهمون فوائد وضرورة التعاون بين الشعوب، والدخول مع دول أخرى في اتحاد بموجب معاهدات تعقد بين دول مستقلة ذات سيادة، متساوية في الحقوق والواجبات، لا تتسلط فيها دولة أو فئة على أخرى. وهذه الدول تشمل طبعاً الاتحاد السوفييتي كمجموعة متكاملة، أو أياً من جمهورياتها على شكل انفرادي. وكانت هناك تطلعات خاصة لتشكيل اتحاد فيدرالي أو كونفدرالي مع

شعوب شمال القوقاز التي كانت قد اتحدت عام ١٩١٨ في جمهورية اتحاد شعوب شمال القوقاز. وشكل المؤتمر لجنة خاصة لمتابعة هذا الموضوع.

٥- بالإضافة إلى حق الشعوب بالحرية وتقرير المصير، إذ خلق الله الناس أحراراً، يرى الشيشان أن مسلك السلطات الروسية (القيصرية والشيوعية) تجاههم يبرر قرارهم التاريخي بإعلان استقلال وسيادة جمهوريتهم. فهذه السلطات لم تراع أبداً الوعود الرسمية التي قُدّمت لهم بالنيابة عن السلطات الروسية المركزية.

فالسلطات الروسية أخلّت بجميع الوعود والالتزامات التي وردت في رسالة قائد جيش القوقاز/ نائب القيصر المارشال الأمير بارياتنسكي التي وجهها إلى الشعب الشيشاني باسم (صاحب الجلالة قيصر روسيا) عند استسلام الشيخ شامل عام ١٨٥٩ واعتبرت بمثابة معاهدة بين روسيا وشيشانيا وهذه ترجمتها.

" **إلى الشعب الشيشاني:**

" أعلن باسم صاحب الجلالة قيصر روسيا ما يلي:-

١- تقرر الحكومة الروسية السماح لكم بممارسة معتقداتكم وشعائركم الدينية الموروثة عن أجدادكم بكل حرية.

٢- تقرر الحكومة الروسية إعفاءكم من جميع الضرائب لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من تاريخ توقيع هذا التعهد. وبعد انتهاء الفترة المذكورة ستتم جباية ثلاث روبلات فقط عن كل مسكن كمصاريف إدارة ورعاية. وسيتم تشكيل لجان محلية لهذه الغاية.

٣- لن يجري إلزامكم بالخدمة العسكرية ولا صهركم مع شعب القوزاق.

٤- سيتم تعيين الحكام الإداريين من الأشخاص الذين ينتمون لعاداتكم وشريعتكم.

٥- إن حق الملكية حق مقدس. وسوف يتم تثبيت ملكيتكم على أراضيكم وأبنيتكم بالطرق المساحية الفنية وتسجيلها حسب الأصول. وفي حالة تمردكم وخيانتكم لجلالة القيصر فسيتم مصادرة هذه الملكيات.

٦- يمنع منعاً باتاً الأخذ بالعادات السيئة التي تؤثر على استقرار ورفاهية السكان مثل عادة الأخذ بالثأر. وسوف تتم محاكمة من يمارسها حسب القوانين الروسية ويتم إيقاع العقوبة بموجبها."

كما وأن السلطات الروسية لم تراع الوعود التي وردت في النداء المشهور الموقّع من لينين وستالين والموجّه إلى الشعوب المسلمة تحت الحكم الروسي، ولم تراع السلطات الروسية أيضاً البيان الذي ألقاه ستالين في المؤتمر غير العادي لممثلي شمال القوقاز الذي عقد في مدينة فلادي قفقاسيا بتاريخ ١٩٢٠/١/١٧، بل مارست الاستبداد والتمييز والتفرقة والحد من حرية العبادة، ومحاولة الترويس وطمس التراث القومي، وكذلك الاستبداد والتعذيب والقتل والنفي (بما في ذلك النفي الجماعي) ونهب الموارد والثروات بحيث أن حصة الجمهورية من مصادرها الطبيعية (بما فيها النفط والأخشاب اللذين يشكلان مصدراً رئيسياً للدخل) ومن الإنتاج الصناعي لم تزد على ٣٪ من العائدات.

٦- جاء في " إعلان حقوق شعوب روسيا" الذي صدر بعد أسبوع من تسلّم السلطات السوفيتية للحكم:

" إذا جرى الاحتفاظ بأية أمة بالقوة كجزء من دولة ما، وإذا حرمت قسراً وضدّ رغبتها المعلنة سواء في الصحف، أو المجالس الشعبية، أو قرارات الأحزاب السياسية، أو عن طريق الثورات أو الانتفاضات ضد الظلم، وإذا حرمت من الاختيار الحرّ للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبر نوعاً من الضم القسري وقهراً واغتصاباً".

وجاء في هذا الإعلان أيضاً:

" إعلان المساواة والسيادة لشعوب روسيا، وحق تقرير المصير إلى حدّ الانفصال، وإلغاء جميع الامتيازات القومية والدينية، وتأمين التطور الحرّ للأقليّات القومية والجماعات السلالية القاطنة في أراضي روسيا".

وكتب لينين يقول:

" نريد دولة على أكبر مساحة، وتحالفاً على أوثق ما يمكن، وأكبر عدد من الأمم القاطنة في جوار الروس. نحن نريد ذلك لصالح الديموقراطية والاشتراكية وصالح اجتذاب أكبر عدد من شغيلة مختلف الأمم إلى نضال البروليتاريا. إننا نريد وحدة ثورية بروليتارية. نريد التوحيد وليس التفرقة. نريد التوحيد الحرّ، ولذلك فنحن ملزمون بالاعتراف بحرية الانفصال، فبدون حرية الانفصال لا يمكن نعت التوحيد بأنه حرّ ".

وجاء في المادة (٧٠) لدستور الاتحاد السوفييتي الصادر عام ١٩٧٧:

" اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو دولة اتحادية واحدة متعددة القوميات، قامت على أساس مبدأ الاتحادية الاشتراكية، نتيجة لتقرير مصير الأمم بحرية، وللاتحاد الطوعي بين الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية المتكافئة في الحقوق".

كما أخذ الاتحاد السوفييتي على عاتقه "حماية حقوق السيادة للجمهوريات المتحدة، واحتفاظ كل جمهورية متحدة بحق الخروج الحرّ من الاتحاد".

نرى أن جميع هذه الوعود والإعلانات والمبادئ الدستورية تؤكد طوعية الاتحاد وحق الخروج الحرّ منه. وحيث أن الشعب الشيشاني قرر من خلال مؤتمره الوطني ومن خلال مجلس السوفييت الأعلى لجمهوريته، ومن خلال الصحف والمؤسسات القومية، عن تطلعهم إلى الاستقلال والسيادة، فإن هذا حق طبيعي ودستوري لهذا الشعب. وتعتبر معارضة السلطات السوفييتية (سواء سلطات الجمهورية الروسية الاتحادية أو الاتحاد السوفييتي) تحقيق هذه الرغبة ضمّاً قسرياً وقهراً واغتصاباً وغير شرعي.

وبناءاً على ما تقدم فمن حق الشعب الشيشاني معارضة مثل هذا الضم القسري، وإعلان حقه في تقرير مصيره وإعلان سيادة واستقلال جمهوريته.

٧- من مظاهر التوجّه السلمي عند الشعب الشيشاني، وعدم ميله أو توقعه نزاعات مسلحة في الداخل أو مع روسيا، أو مع أي من الشعوب المجاورة، أن قرارات المؤتمر القومي ومصادقة البرلمان خلت من إشارات إلى بناء قوات مسلحة أو أجهزة أمنية في حين أنها تطرقّت إلى النواحي التعليمية والثقافية والبيئة.

فبالنسبة للتعليم فإن التمييز الذي مورس ضدّ الشيشان، والنفي الجماعي الذي حرم أبناءهم على كافة مستويات التعليم لمدة عامين، ومن التعليم العالي لمدة ثلاثة عشر عاماً، جعلهم يفتقرون إلى الكفاءات العلمية المتخصصة حيث كانت نسبة من صنفوا كعلماء إلى مجموع السكان بين الشعب الشيشاني الأقل في الاتحاد السوفييتي.

وأما بالنسبة للنواحي الثقافية فقد كانت هناك مقاومة ومعوقات من قبل السلطات السوفييتية لأية بحوث أو مراكز ومؤسسات أو حفريات تهدف إلى كشف الخلفية الحضارية والتاريخية للشعب الشيشاني (وغيره من الشعوب الإسلامية) وكانت هناك معوقات وموانع لاستعمال لغتهم وتطوير آدابهم وإحياء تراثهم.

ولعل البند رقم (١٦) من قرارات المؤتمر المتعلق ببناء المتحف الجمهوري كان وروده نتيجة مداخلة مني شخصياً. إذ أن البناء الذي يشغله المتحف الشعبي كان صغيراً وغير مناسب ومعرّضاً للتصدّع. وعندما تمّ بناء قصر الرئاسة (الذي دمّره الجيش الروسي عام ١٩٩٥) انتقلت الأجهزة الحزبية إلى البناء الجديد وتقرّر تخصيص البناء الكلاسيكي الذي كانت تشغله كمتحف شعبي للجمهورية. إلا أن الحزب كان قد قرر قبيل نقل المتحف إلى ذلك البناء وضع اليد عليه من جديد، وكانت مديرة المتحف في زيارة لها للأردن ، قد عبرت عن أسفها لهذا القرار الخاطئ. فانتهزت فرصة انعقاد المؤتمر وأثرت الأمر أمام مندوبي الشعب الشيشاني.

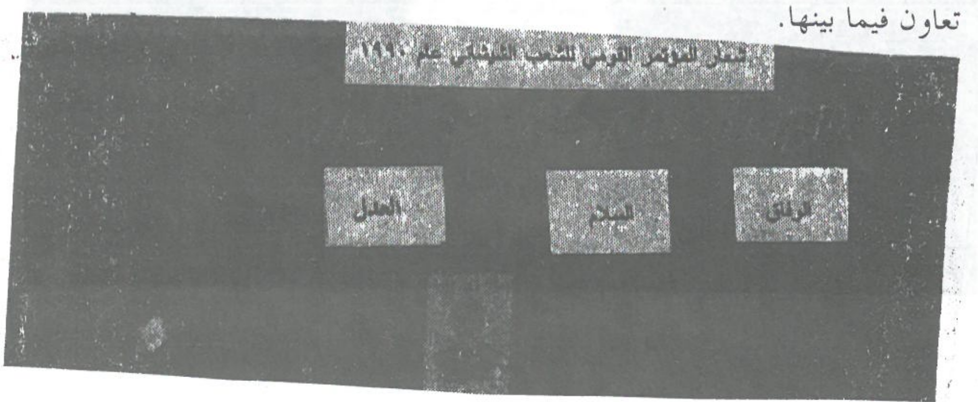
وأما بالنسبة للبيئة ، فكان هناك تركيز على صناعات تكرير النفط والصناعات البتروكيماوية والبيوكيماوية في الجمهورية. وكانت التكنولوجيا المطبقة وأنواع معدات المصانع وصيانتها دون المستويات المقبولة عالمياً. ولذلك وقع تلوّث خطير في جوّ وهواء ومصادر مياه الجمهورية وخاصة في المراكز الصناعية، بحيث أن مدينة غروزني أصبحت تعتبر الأسوأ من النواحي البيئية بين ٧٣ مدينة صناعية كبرى في الاتحاد السوفييتي السابق. وكان أثر ذلك على الصحة العامة ملموساً.

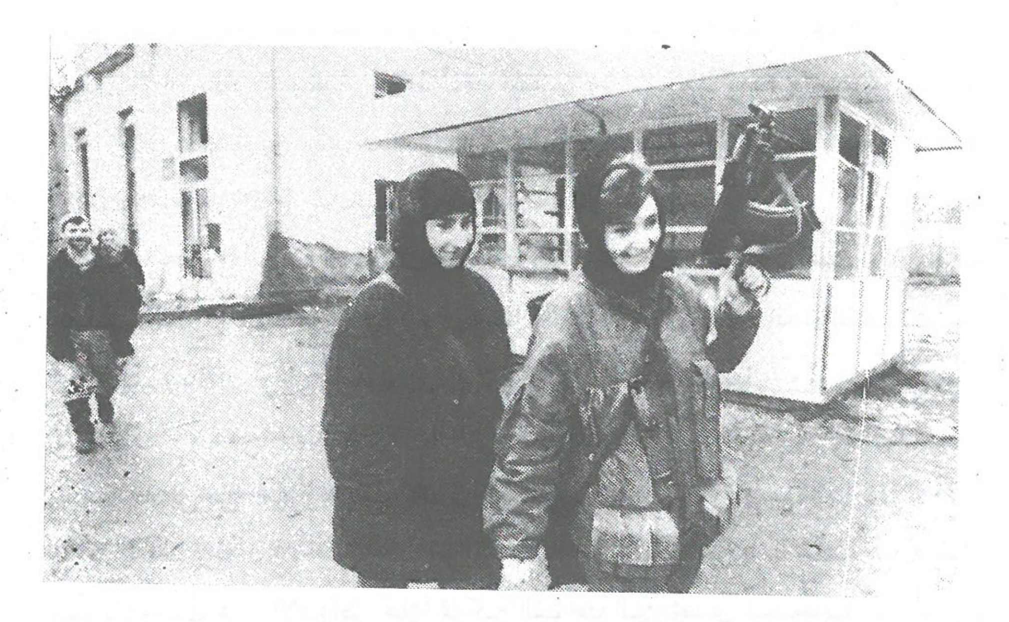
شكل المؤتمر الذي اعتبر في حالة انعقاد مستمر ، لجاناً عديدة لمختلف المهمات، أهمها اللجنة الدائمة للمؤتمر وكان من بين المدعوين للمؤتمر (كضيف مراقب) قوقازيان يشغلان رتبة جنرال في القوات المسلحة السوفيتية أحدهما الطيار

جوهر (جخار) دوداييف الشيشاني. والثاني حاجي مراد ابراهيمبيلي مؤرخ عسكري (مؤلف كتاب القوقاز وفشل خطط ألمانيا الهتلرية في الشرق الأوسط) وهو داغستاني ومتزوج من شيشانية . وقد تحدثا في المؤتمر عن حق شعوب الاتحاد السوفيتي بالحرية والاستقلال وحق تقرير المصير بما في ذلك الانفصال عن الاتحاد السوفيتي.

وجاء في كلمة دوداييف ما معناه (أن مختلف الأسلحة العسكرية يمكن اعتراضها قبل وصولها إلى الهدف، ماعدا قذيفة المدفع، فإنها إذا انطلقت يتعذر اعتراضها. وقال: " ونحن مقبلون إلى إطلاق ما يشابه هذه القذيفة – وكان يعني قرار الاستقلال – وينبغي علينا أن نرعاها حتى تصل إلى الهدف "). وطالب أيضاً بأن تكون خدمة المجندين من جمهورية الشيشان في الجمهورية نفسها، أو الجمهوريات والأقاليم القوقازية المجاورة، بدلاً من إرسالهم إلى أقطار أوروبا أو آسيا الوسطى أو أصقاع سيبيريا. وحث على الاعتراض على تمركز القوات التي يجري انسحابها من أوروبا الشرقية في جمهورية الشيشان والجمهوريات المجاورة. وقال "أن سهول روسيا واسعة وكافية ومناسبة لإقامة معسكرات لهذه القوات عليها" .

وكان قد أتيح لي برفقة شقيقي أمين (الذين كان مستشاراً نشيطاً للجنة تنظيم المؤتمر) أن أزور مقر اللجنة بعد أسبوع من صدور بيان الاستقلال والسيادة. كان المقر كخلية نحل نشاطاً وحركة، مما ولد عندي انطباعاً بأن هناك إرادة شعبية قوية للسير بخطوات عملية مدروسة لتنفيذ قرارات المؤتمر وتحقيق أهدافه. وكان دوداييف متواجداً في المقر عند قيامي بهذه الزيارة، وأنيطت به رئاسة اللجنة المشكلة للاتصال مع الجمهوريات والشعوب القوقازية للعمل على إنشاء علاقات وحدوية أو تعاون فيما بينها.





أم رؤوم في بيتها ..... ولبؤة باسلة في الدفاع عن الوطن.



الفصل الثاني
تطور الأحداث ووصول دوداييف للسلطة

كان دوكة زفجاييف، السكرتير الأول للحزب الشيوعي في الجمهورية (وأول شيشاني سمحت له السلطات الشيوعية تسلم هذا المركز)، قد ألقى كلمة في جلسة افتتاح المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني ، تطرق فيها إلى معاناة الشعب الشيشاني سابقاً، وطموحاته الحاضرة في تأمين حياة أفضل عن طريق تنمية اجتماعية واقتصادية، وذكر بأن إدارته وضعت برامج لتحقيقها.

لم يتطرق زفجاييف في كلمتة إلى موضوع السيادة والاستقلال تأييداً أو معارضة. إلا أنه وبعد أيام من انتهاء المؤتمر قام بزيارة إلى موسكو. وفي مقابلة تلفزيونية صرح " بأن الروابط بين الشيشان والروس قوية ولن تنفصم ". وقد فسرت التيارات المتحمسة للسير بإجراءات الاستقلال فوراً تصريحه هذا قبولاً منه على بقاء جمهورية الشيشان داخل الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة. أي قبول وضع الحكم الذاتي لجمهورية الشيشان.

وبقيت العلاقات وارتباط الوزارات والإدارات التنفيذية والتنظيمات الحزبية مع الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة والاتحاد السوفيتي قائمة بدون تغيير جذري. واستمر ممثلو الجمهورية في مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية الروسية الاتحادية، وكذلك ممثلوها في مجلس السوفيت الأعلى للاتحاد السوفييتي، ومجلس القوميات، في ممارسة عضويتهم، كظاهرة على أن بيان السيادة والاستقلال لم يطبق على أرض الواقع. ولم تبذل سلطات الجمهورية أية محاولة، ولم تجر أية اتصالات للحصول على اعتراف خارجي باستقلالها.

كما وأن سلطات الجمهورية الروسية الاتحادية والاتحاد السوفيتي لم تتخذ أي قرار معلن حول قبول أو رفض بيان سيادة واستقلال الجمهورية.

واستمرت حكومة وبرلمان وكوادر الحزب في الجمهورية، المنتخبين أو المعينين قبل عقد المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني في الحكم بدون تغيير سوى وزير الداخلية والمدعي العام ومدير المخابرات (وهم روس) الذين استقالوا أثر صدور بيان المؤتمر وتم استبدالهم بغيرهم. وفي أوائل عام ١٩٩١ جرى تعديل على دستور الجمهورية ليسمح الجمع بين منصب السكرتير الأول للحزب في الجمهورية (الحاكم الفعلي) ورئاسة برلمان الجمهورية (الذي كان يعتبر بمقام رئيس الدولة بدون صلاحيات فعلية). فجمع زفجاييف هذين المركزين لأول مرة في تاريخ الجمهورية. وكان المتبع في السابق أن يكون السكرتير الأول للحزب روسياً، ورئيس الحكومة شيشانياً، ورئيس البرلمان من الأنجوش. أما في الوضع الجديد بعد أن جمع زفجاييف مركزي السكرتير الأول للحزب ورئيس البرلمان، فقد تم الاتفاق على أن يكون السكرتير الثاني للحزب روسياً ورئيس الحكومة من الأنجوش.

ولم تخل جلسة تعديل الدستور من عبارات تمجيد الحاكم التي ترددها عادة الأنظمة الأوتوقراطية (Mosow News Weekly No 15 , 1991)، فقد قال النائب ليانوف (وهو انجوشي) " لقد رشحنا رجلاً ديناميكياً ذي خبرة وإطلاع واسع " وزاود عليه النائب فلكين (وهو روسي): " إنني عضو في الحزب منذ ٦١ عاماً، ولم اعرف أبداً شخصاً بديناميكية وخبرة وإطلاع زفجاييف. وباختصار ... فإنه هبة من السماء ". إلا أن الصحفية الشيشانية تمارا علييف، المراسلة لعدة صحف ومحطات إذاعة وتلفزيون في روسيا، وصفت جلسة البرلمان هذه (كعرض في سيرك). فأقام البرلمان ضدها دعوى تحقير وتشهير بالمجلس. وحكمت المحكمة بمنعها هي والصحف والمحطات التي تراسلها من فتح مكاتب في الجمهورية.

لاشك بأن وصف زفجاييف " بأنه هبة من السماء" فيه مبالغة زائدة، إلا أنه كان فعلاً رجلاً ذي خبرة وإطلاع في شؤون الإدارة حسب المفهوم والممارسة الشيوعية. وكان الشيشان قد استقبلوا انتخابه لمركز السكرتير الأول للحزب في الجمهورية باحتفالات وتفاؤل. واتخذ زفجاييف قرارات أكسبته شعبية كبيرة منها:-

١- قرار تحويل البناء الكبير الذي كان في حينه تحت الإنشاء كمقر جديد للحزب الشيوعي، إلى مستشفى رئيسي عام، وصرح بأن المقر الحالي للحزب يفي بالحاجة. إلا أنه وجد أن تصميم هذا البناء غير مناسب لإشغاله كمستشفى، أذ قدرت كلفة التغييرات والتعديلات الضرورية أكثر من كلفة بناء مستشفى جديد. فتقرر فيما بعد في عهد دوداييف تحويله إلى مقر لرئاسة الجمهورية والحكومة والوزارات. وهو البناء الذي اشتهر خلال الحرب الأخيرة باسم (القصر الرئاسي) رمزاً للمقاومة الشيشانية، وقامت القوات الروسية بتدميره كلياً أثناء معارك غروزني في شباط ١٩٩٥.

٢- توقفت إدارة زفجاييف عن وضع عوائق أو فرض رسوم وضرائب على بناء المساجد وفتح مدارس لتعليم القرآن واللغة العربية.

٣- أبدى اهتماماً بإحياء التراث الإسلامي في الجمهورية، ودعا لأن تكون مدينة غروزني مركزاً لإحياء هذا التراث في شمال القوقاز. وجرى تخصيص جزء مساحته حوالي ٤٠٠٠٠ متر مربع من حديقة عامة في موقع مميز في المدينة لإنشاء مسجد كبير ومركز ثقافي إسلامي عليه. وكان يتطلع إلى دعم من الدول العربية في تحقيق هذا المشروع. وكنت قد التقيت به مع شامل ابن شقيقي أمين في صيف ١٩٩٠، فطلب أن تقوم جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان - انجوش الأردنية التي كانت قد تشكلت عام ١٩٨٩، بعمل الاتصالات لهذه الغاية، وزودني برسالتين أحدهما موقع من رئيس الحكومة (كمؤسسة حكومية) والآخر موقع من مفتي الجمهورية ورئيس جمعية الرودينا (جمعية الوطن الأم) في الجمهورية (كمؤسسات شعبية) بتفويض الجمعية الأردنية، لإجراء اتصالات لهذه الغاية، إلا أنه خلال رحلة عودتي براً إلى الأردن علمت في مدينة سيواس التركية خبر احتلال العراق للكويت. وفي ظروف أزمة وحرب الخليج تعذر القيام بالاتصالات. ولا يزال المشروع مجمداً.

وبسعي من معالي السيد كامل الشريف، وزير الأوقاف الأردني الأسبق، كان قد تم تخصيص لجمهورية الشيشان ٨٠٠٠ مصحف شريف من مجموع ٢٠٠٠٠ مصحف أهدته السعودية لمسلمي الاتحاد السوفيتي السابق.

إلا أن زفجاييف كان، وكما صرح في المقابلة التلفزيونية في موسكو، على قناعة (بأن الروابط بين الشيشان والروس قوية ولن تنفصم). وكان يعتقد بأن هذه الروابط في مصلحة الشعب الشيشاني. غير أنه كان يطمح في رفع مكانة جمهورية الشيشان – انجوش إلى مستوى جمهورية اتحادية (فيدرالية) ضمن الاتحاد السوفيتي. بل أن غور باتشوف الذي كان يسعى لتنظيم كيان جديد للاتحاد، يحد من سلطات الحكومة المركزية ويوسع من صلاحيات الجمهوريات الاتحادية، كان يتشاور مع زفجاييف ورئيس جمهورية تتارستان ذات الحكم الذاتي في هذا المسعى.

إن جمود الوضع وتقاعس السلطات المحلية في الجمهورية عن اتخاذ إجراءات عملية حول بيان السيادة ولاستقلال، وعدم ممارستها لصلاحيات إدارية ودستورية، وعدم محاولتها إقامة علاقات تجارية وثقافية مستقلة مع الخارج بدون المرور عبر موسكو، ولّد تذمراً وانتقاداً شعبياً كبيراً، وخاصة بين أوساط المثقفين والشباب. فتأسست في الجمهورية عدة أحزاب وتيارات وطنية، قومية ودينية، مثل حركة دي موخك (أرض الآباء) برئاسة المهندس ليتشاعمخايوف (الذي ترأس اللجنة التنظيمية للمؤتمر الوطني للشعب الشيشاني)، والحزب الديمقراطي الشيشاني برئاسة الكاتب زيلمخان يندربايف (الذي أصبح فيما بعد نائباً للرئيس دودايف وخلفه في منصبه بعد استشهاده). وكانت (حركة دى موخك) تركز على نشر الوعي السياسي والقومي لتحقيق التغيير من خلال صناديق الاقتراع، وتعارض السعي للوصول إلى السلطة بوسائل أخرى.

وأما الحزب الديموقراطي فكان لا يعارض إجراءات راديكالية تؤدي إلى تغيير السلطة بدون انتظار انتخابات مقبلة.

ومن الأحزاب التي تأسست في تلك الفترة (حزب الطريق الإسلامي) برئاسة بسلان غانتميروف ضابط بوليس سابق. وكان هذا الحزب على شكل مؤسسة شبة عسكرية. وشكل مقاتلوه نواة الحرس الوطني الشعبي الذي لعب دوراً كبيراً في أحداث آب وأيلول ١٩٩١.

وكان المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني قد قرر اعتبار المؤتمر في حالة انعقاد، وسريان تفويض المندوبين المنتخبين للمؤتمر لحين انعقاد المؤتمر القادم. وشكلت عدة لجان أهمها اللجنة التنفيذية للمؤتمر. وبسبب التنافس بين التيارات المختلفة اتفق على إبقاء مركز رئيس هذه اللجنة شاغراً على أن يتولى عمخايوف مركز نائب الرئيس لحين التوصل إلى انتخاب رئيس لها. وقد ورد في كتاب (شيشانيا حرب صغيرة مظفرة) وصف عمخايوف "مثقف كبير، سريع البديهة، إداري قدير، ولكنه لم يتطلع لأن يكون قائداً ".

نشأة جوهر (جخار) دودايف

لم يكن دودايف عند قدومه إلى غروزني لحضور المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني معروفاً. إذ أنه أمضى فترة دراسته وكذلك خدمته في القوات السوفيتية متنقلاً في معاهد وقواعد خارج شيشانيا. ولعل زواجه من روسية كان أيضاً عاملاً في عدم اندماجه بالمجتمع الشيشاني، وكانت زياراته لشيشانيا متباعدة وقصيرة. إلا أن حضوره، وكلمته المؤثرة ومشاركته في اللجان المنبثقة عن المؤتمر، لفتت الأنظار إليه، واختير لرئاسة لجنة التنسيق والاتصال مع الجمهوريات والشعوب القوقازية.

كان دودايف حين نفي الشيشان في شباط ١٩٤٤ طفلاً رضيعاً لم يكمل الشهر الواحد من عمره ، حمله أخوه في حضنه طيلة رحلة النفي إذ أن والدته كانت إحدى ضحايا المحرقة التي ارتكبها الجنرال ميخائيل غفيتشياني (بموافقة بيريا) في مزرعة خايباخ. كان أصغر أطفال والده من بين ١٤ طفلاً من زوجتين. وقد توفي والده الذي كان طبيباً بيطرياً في المنفى في كازاخستان عام ١٩٥١. وتوفي في المنفى أيضاً أخاه الأكبر متأثراً من جراح أصابته في جبهات القتال ضد الغزو النازي. غير أن بسالته وتضحيته لم تشفعا له . فلكونه شيشانياً أرسل إلى معسكر اعتقال في كازاخستان. ومع أن المعسكر الذي تواجد فيه هذا الأخ لم يكن يبعد إلا بضع كيلو مترات عن المعسكر الذي تواجدت فيه العائلة، إلا أنه لم يسمح له بلقائهم في حياته، ولا لعائلته الاشتراك في تشييع جنازته عند وفاته متأثراً من جراحه.

وعندما سمح للشيشان بالعودة من المنفي إلى القوقاز، عادت عائلة دوداييف إلى غروزني عام ١٩٥٧. وتمكن دوداييف من إكمال دراسته الثانوية بالانتساب إلى مدارس ليلية، ثم التحق في كلية الرياضيات والفيزياء في جامعة اوسيتيا الشمالية. إلا أنه ترك هذه الجامعة عندما تمكن من الالتحاق بمعهد تامبوف لدراسات الطيران الحربي . وكان طلبه للانتساب إلى هذا المعهد قد رفض في المرة الأولى لكونه شيشانياً، فأعاد الكرة في السنة الثانية وذكر بأنه اوسيتي القومية وتمت الموافقة على طلبه.

تخرج دوداييف من المعهد المذكور كملازم طيار عام ١٩٦٦. وكان الأول على دفعته المشكلة من عشرة طيارين. نقل إلى قاعدة جوية قرب مدينة كالوجا (التي قضى فيها الإمام الشيخ شامل عدة سنوات بعد أسره عام ١٨٥٩). وكان قائد القاعدة فيودور كوليكوف معجباً بخلق وانضباط الملازم الطيار دوداييف الذي قال عنه: " كانوا جميعاً شباباً جيدين وطيارين ماهرين، إلا أن دوداييف كان يتميز على زملائه بجديته وانضباطه. لقد كان بلا منازع قائداً لهذه المجموعة ".

وشاركت كوليكوف الإعجاب بالطيار الملازم ابنته الجميلة طالبة الفنون (آلا) التي كانت تبلغ ١٩ عاماً من عمرها. وتطور الإعجاب بين الشابين إلى صداقة وحب متبادل وتزوجا عام ١٩٦٩ وانجبا ولدين وبنتاً واحدة.

خدم دوداييف في عدة قواعد جوية في سيبيريا وأوكرانيا. وكان قائداً لسرب من قاذفات القنابل في حرب أفغانستان، وحصل على عدة أوسمة عسكرية رفيعة. وفي عام ١٩٨٨ تم ترفيعه إلى رتبة جنرال (أول شيشاني سمح له أن يصل إلى رتبة جنرال في القوات السوفيتية خلال ٧٠ عاماً من الحكم الشيوعي). وعين قائداً للقاعدة الجوية والحامية العسكرية السوفيتية في مدينة تارتو في استونيا. وكانت تحت قيادته قوة مشكلة من ٦٠٠٠ عنصر وسرب طائرات نقل، وسرباً مشكلاً من ٣٢ قاذفة استراتيجية بعيدة المدى قادرة على نقل القنابل النووية.

وخلال خدمة دوداييف العسكرية، ولكون زوجته روسية غير مسلمة، مما لا يلاقي استحساناً في المجتمع الشيشاني المسلم، بقى دوداييف بعيداً عن شيشانيا التي لم

يزرها إلا في مناسبات متباعدة ،وبقي منعزلاً عن قضاياها القومية. إلا أن ثلاث عوامل كانت نقطة تحول في قناعاته وتطلعاته وطموحاته:-

١) ففي أفغانستان كان شاهداً ومشتركاً فيما الحقته القوات السوفيتية (بما فيها سرب القاذفات التي كان يتولى قيادتها) من دمار كبير وقتل مدنيين عزل في بلد إسلامي. وتابع أيضاً الإجراءات القمعية التي مارستها القوات السوفيتية في أذربيجان وجورجيا ودول البلطيق. فوصل إلى قناعة: " بأن شرف التضحية للمقاتل السوفيتي في الدفاع عن الوطن، لا يشمل الاعتداء على دول مجاورة وشعوب مسالمة، فمهام القوات الحربية هي الدفاع عن الوطن ضد اعتداء أجنبي ، وليست المشاركة في قمع مسيرات شعوب تطالب بمزيد من الديمقراطية والحقوق أو التحرر من الاستعمار ".

٢) وفي استونيا، تزامنت خدمته فيها مع تصاعد الشعور القومي في دول البلطيق، وتحركاتها للانفصال عن الاتحاد السوفيتي وإعادة تشكيل كياناتها المستقلة.

وتوثقت علاقات صداقة بينه وبين الكولونيل لا نوتز (Ants Laaneots)، الذي كان قائداً لمنطقة تارتو العسكرية، إلا أنه كان يشارك شعبه الاستوني في طموحات التحرر والاستقلال ومتعاطفاً مع حركات التحرير. كان لانوتز يحاور صديقه دوداييف حول هذه الطموحات، ووجد منه تفهماً واهتماماً، فأخذ يزوده ببرامج ومنشورات الجبهة الوطنية الاستونية للتحرر والاستقلال.

ومن مظاهر تعاطف دوداييف مع الشعب الاستوني أنه فتح القاعدة الجوية في تارتو في صيف ١٩٩٠ للزيارة من قبل المواطنين المحليين. حيث سمح لهم أن يشاهدوا الطائرات والمعدات العسكرية المتواجدة في القاعدة. وسعى إلى خلق علاقات ارتباط واتصالات بين قواته والمواطنين المحليين.

وكانت القوات السوفيتية المتواجدة في ليتوانيا ولا تفيا قد تدخلت في يناير عام ١٩٩١ لقمع نشاطات ومسيرات حركات التحرر الوطنية في الجمهوريتين، وتسببت في قتل مدنيين في مدينة فيلينوس عاصمة ليتوانيا وكذلك في جمهورية لاتفيا. وعندما أوعزت السلطات السوفيتية لقواتها المتواجدة في استونيا التدخل أيضاً، رفض دوداييف الأوامر بحزم، وطلب من قواته البقاء في معسكراتها وعدم التدخل في

النشاطات السياسية المحلية. بل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك ... إذ صرح" بأنه سيمنع هبوط أية طائرة سوفيتية في أراضي استونيا إذا كانت محملة بوحدات عسكرية سوفيتية بقصد التدخل في هذه النشاطات".

ولم يكن دوداييف الضابط الشيشاني الوحيد الذي كان يتعاطف مع الحركات التحررية في دول البلطيق، بل أن اصلان مسخادوف (رئيس جمهورية الشيشان الحالي) كان قائداً للواء مدفعية سوفيتية قاعدتها في ليتوانيا . وقد استاء من تصرف القوات السوفيتية فيها، فاستقال من الخدمة وعاد إلى شيشانيا.

وفي استونيا تم التعارف، وإنشاء علاقات التعاون بين دوداييف ويلتسين. كان يلتسين الذي كان في حينه يسعى لاستقلال الجمهورية الروسية الاشتراكية عن الاتحاد السوفيتي، ولا يعارض استقلال وانفصال الجمهوريات الأخرى عن الاتحاد ، وعارض إجراءات القمع في دول البلطيق، وقام في يناير ١٩٩١ (بصفته رئيساً لبرلمان الجمهورية الروسية الاشتراكية) بزيارة ليوم واحد لاستونيا لتوقيع معاهدة صداقة مع برلمان استونيا، تتوخى الحد من أية اصطدامات قادمة.

وبتاريخ ١٩٩١/٩/٢٤ اصدر يلتسين مرسوم اعتراف باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاثة، منهياً بذلك من الناحية العملية وجود الاتحاد السوفيتي بحدودها السابقة. وفي دورة طارئة لمؤتمر نواب الشعب عقدت بتاريخ ١٩٩١/٩/٢ أعلن حل هيئات السلطة الاتحادية في الجمهورية الروسية.

وذكرت غالينا ستاروفوتوفا (التي كانت مستشارة ليلتسين في شؤون القوميات، ونائبة في البرلمان الروسي، واغتيلت بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢٠ بسبب توجهاتها الليبرالية) التي رافقت يلتسين في زيارته لاستونيا، بأنه كانت قد وردت معلومات تفيد بأن طائرة يلتسين ستتعرض لحادث في طريق العودة إلى موسكو. فقام دوداييف بتأمين سفر يلتسين إلى لينيغراد بسيارته الخاصة. وقيل أن السائق كان دوداييف نفسه، أو شيشاني آخر يثق به.

ومن الجدير بالذكر بأن العلاقات بين يلتسين والشيشان كانت في بادئ الأمر تتصف بالتعاون. فأصوات ممثلي جمهورية الشيشان/ انجوش ذات الحكم الذاتي في

برلمان الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية هي التي رجحت وضع يلتسين ومكنته من الفوز برئاسة البرلمان الروسي (ورئاسة الجمهورية). وبدوره قام يلتسين بتبني انتخاب البروفيسور رسلان خاسبولات الشيشاني نائباً أول له. وفي أحداث المحاولة الانقلابية التي قام بها الشيوعيون المتشددون في آب ١٩٩١ ضد الرئيس غورباتشوف، كانت وحدة من قوات وزارة الداخلية تحت قيادة الجنرال الشيشاني اصلانبك اصلاخانوف، ومجموعات من متطوعين من الشباب الشيشاني المقيمين في موسكو، القوة الرئيسة التي قامت بحماية البيت الأبيض (مقر الحكومة الروسية) والبرلمان الروسي الذي اعتصم فيه يلتسين ونائبه الأول رسلان خاسبولات المعارضين للحركة الانقلابية .كما وأن سلامبك حجاييف الشيشاني، وزير الصناعات البتروكيماوية في آخر وزارة للاتحاد السوفيتي كان أحد اثنين فقط من وزراء الاتحاد الذي نددوا بالمحاولة الانقلابية.

وفي إحدى اللقاءات الصحفية، وُجِّه سؤال إلى يلتسين حول إشاعة بأن عشرين شاباً شيشانياً يتولون الحماية الشخصية له، فأجاب: "بأنهم ثلاثة فقط وهم قادرون على المهمة ". وسأله مندوب صحيفة (دير شبيغل) الألمانية عن كيفية توفير الحماية اللازمة له بعد تعرضه لأكثر من محاولة اغتيال، في حين أنه لا يرافقه أحد من المخابرات المركزية والأمن الروسي، أجاب "يكفيني شباب الشيشان حولي ".

وكان يلتسين ، بعدما استصدر قراراً من البرلمان الروسي بإعلان سيادة الجمهورية الروسية ، يصرح في جولاته في أنحاء روسيا عامي ١٩٩٠-١٩٩١ بحق الكيانات ذات الحكم الذاتي بالسيادة ويردد " خذوا واستمتعوا من السيادة بقدر ما تستطيعون أن تبتلعوا ". وظن الشيشان وغيرهم من الشعوب الخاضعة للاستعمار الروسي بأنه يعني ما يصرح به، وتوقعوا على يديه الخلاص من الاستبداد والقمع، فحظي بشعبية كبيرة ومساندة قوية ظهرت في صناديق الاقتراع إذ حصل على ٨٠٪ من الأصوات في شيشانيا و ٩٧,٧ في انجوشيا. إلا أنه بعد فوزه سرعان ما ظهر على حقيقته كغيره من الحكام الروس المستبدين. فبدلاً من شعار " خذوا واستمتعوا من السيادة بقدر ما تستطيعون أن تتبلغوا " صرح في أكتوبر ١٩٩١ " وحدة الجمهورية

الروسية غير قابلة للتجزئة، وحدودها غير قابلة للتعديل ". وتحت هذا الشعار أشعل الحرب الطاحنة موضوع هذا الكتاب، وأمر قواته بغزو جمهورية الشيشان المستقلة.

٣) كان حضور دوداييف المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني في نوفمبر ١٩٩٠، وكلمته فيه، واختياره لرئاسة إحدى لجانه (لجنة الاتصال والتنسيق مع الجمهوريات والشعوب القوقازية). بداية تحول في قناعاته وطموحاته. فالضابط السوفيتي المنضبط، في نظام ينادى بشعارات الأممية ويستنكر التوجهات القومية، أصبح مندفعاً للمشاركة الفاعلة في حركة تحرير شعبه. وقال صديقه الكولونيل لانوتز: " عندما عاد دوداييف من المؤتمر، كان متفائلاً، ومعنوياته عالية، ومندفعاً وكأنه ينوي أن يطير في طبقات الجو العليا. وأخذ يردد ... سنطيح بالشيوعيين والإمبرياليين ".

عودة دوداييف لشيشانيا وتوليه السلطة

شهدت عام ١٩٩١ أحداثاً وتطورات هامة في الاتحاد السوفيتي، أدت إلى حل الاتحاد رسمياً اعتباراً من ١٩٩١/١٢/٣١.

وفي شيشانيا سقط النظام الشيوعي حكومة وحزباً ووصل دوداييف للسلطة.

كانت الصحفية الشيشانية المشهورة مريم واخيد، قد قامت بحملة إعلامية واسعة لترشيح دوداييف لرئاسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الشيشاني، مشيدة بشخصيته القوية، ومؤهلاته الإدارية، وبعده عن الفساد، وتوجهاته الديمقراطية والقومية والاستقلالية، التي برزت في رفضه قمع حركات التحرر في استونيا ودول البلطيق الأخرى. فاتفقت القيادات القومية المختلفة في شيشانيا على أن تعرض على دوداييف رئاسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني، خاصة وأنه لم يكن محسوباً على أحد أو ملتزماً بأي من التيارات.

وذهب عمخانوف (رئيس حركة أرض الآباء) وزيلمخان يندرباييف (رئيس الحزب الديمقراطي) إلى استونيا وعرضا المركز عليه. قبل دوداييف العرض، وتقاعد من الخدمة العسكرية، وعاد في آذار ١٩٩١ إلى غروزني ليتفرغ للعمل في المؤتمرالوطني.

أخذ دوداييف جانب التيار الراديكالي. وفي مركزه كرئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر عمل على تأمين أغلبية راديكالية في دوائره ولجانه. ودعا إلى عقد دورة جديدة للمؤتمر العام يومي ٨ و ٩ حزيران ١٩٩١. سيطر التيار الراديكالي على الدورة، وأصبحت مجموعة المثقفين التي كانت بقيادة عمخايوف قد نظمت المؤتمر الوطني الأول الذي أصدر بيان السيادة والاستقلال في نوفمبر ١٩٩٠ أقلية ، فانسحب معظمهم.

ومن أهم القرارات التي اتخذت في هذه الدورة الدعوة إلى:-

١- تغيير اسم المؤتمر من المؤتمر الوطني الشيشاني إلى المؤتمر القومي للشعب الشيشاني ولعله قصد من ذلك استثناء الانجوش الذين اظهروا ميولاً للانفصال عن الشيشان.

٢- تأسيس جمهورية أرض الشيشان (نوختشى تشو) كدولة خارج إطار الاتحاد السوفيتي وروسيا.

٣- اعتبار اللجنة التنفيذية للمؤتمر السلطة الشرعية الوحيدة في الجمهورية.

٤- إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية مبكرة.

٥- تشريع دستور وقانون جنسية جديدين.

٦- إجراء استفتاء حول الشكل القانوني والسياسي للجمهورية.

٧- اعتراف غير مشروط بحق الشيشان في الاستقلال وتقرير المصير كشرط مسبق لعقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتي أو جمهورية روسيا الاتحادية.

٨- تعويض الشيشان عن الجرائم التي ارتكبت بحقهم، ومحاكمة المسؤولين عنها.

٩- تشكيل حكومة في شيشانيا تعمل وفق مبادئ الديموقراطية.

وصرح دوداييف بأن الاتحاد السوفيتي وأجهزتها الاستعمارية القمعية، مثل الحزب الشيوعي، ودائرة المخابرات، ووزارة الداخلية، ودائرة النيابة العامة، حرمت الشيشان من تراثهم الديني، ولغتهم القومية، والعلوم، والثقافة، والموارد الطبيعية، ووسائل الإعلام، والكوادر القيادية، وممارسة الحقوق والحريات.

واقر دودايف بأن ثمن الاستقلال الكامل مرتفع، إلا أنه رفض قبول سيادة محددة مقابل امتيازات واستقرار اقتصادي. واعتبر أنه من الحماقة افتراض أن الشيشان سيقبلون الوضع التعيس للحريات التي يسمح بها النظام الاستعماري.

وتساءل: " هناك سؤال واحد فقط نثيره اليوم هل نريد أن نكون أحراراً ، أم نقبل أن نبيع مستقبلنا للعبودية ؟ لقد حان الوقت لأن نختار ".

وأقر المؤتمر الوطني في دورته الثانية حق الانجوش (باستفتاء بينهم) تقرير وضعهم السياسي وعلاقتهم مع الشيشان. وجرى استفتاء في انجوشيا يومي ١١/٣٠ و ١٢/١ عام ١٩٩١ وصوتوا على تشكيل جمهورية ذات حكم ذاتي تبقى داخل الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة. وقيل بأن هذا الإجراء اعتبر خطوة تكتيكية لاستعادة لواء بريغورودني ثم يعود الانجوش للاتحاد مع الشيشان. ولذلك لم يجر ترسيم رسمي للحدود بين جمهوريتي الشيشان والانجوش.

استمرت الانفعالات السياسية في شيشانيا في التصاعد، وتأزمت عندما قامت المحاولة الانقلابية من قبل الشيوعيين المتشددين في السلطة السوفيتية ضد غورباتشوف فيما بين ١٩-٢٠ آب ١٩٩١. فعند إذاعة نبأ الحركة الانقلابية كان دوكه زفجاييف في موسكو لإجراء مباحثات لتوقيع اتفاقية اتحاد جديدة اقترحها غورباتشوف وتعطي للجمهوريات ذات الحكم الذاتي صلاحيات واسعة مماثلة لصلاحيات الجمهوريات الاتحادية.

وفي غيابه أصيبت الأجهزة الحزبية والحكومية في الجمهورية بشلل، وامتنع جميع المسؤولين عن التعليق أو أخذ أي جانب. ورفض بيترنكو (Petrenko) السكرتير الثاني للحزب والقائم بأعمال رئيس البرلمان عقد جلسة طارئة للبرلمان. وعندما سُئل فيما إذا كانت المحاولة الانقلابية في رأيه دستورية، أجاب "لا أعرف". وتمارض جميع المسؤولين وتغيبوا عن مكاتبهم ماعدا المرزاييف النائب الأول لرئيس الوزراء، الذي داوم في مكتبه يتلقى الأخبار من موسكو ويجري الاتصالات ويتبادل المعلومات مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني.

وعندما عاد زفجاييف إلى غروزني بتاريخ ١٩٩١/٨/٢١(وكان قد اتضح بأن المحاولة الانقلابية قد فشلت)، اصدر بياناً يستنكر المحاولة وأعلن أن الأوضاع في الجمهورية هادئة وعادية.

كان الانطباع العام في الجمهورية، بأن الدوائر الحزبية والحكومية في الجمهورية تتعاطف مع القائمين بالمحاولة الانقلابية، خلافاً للرأي العام المعارض للمحاولة ، على اعتبار أن الفئات الشيوعية المتشددة المكروهة تقف وراءها. وكانت غالبية الشعب الشيشاني ترى بأن الشعب لن يتمكن من نيل حريته وحقه في تقرير مصيره، مادام الحزب الشيوعي يسيطر على السلطة في الاتحاد السوفيتي.

وأما المؤتمر القومي للشعب الشيشاني فقد اتخذ فوراً موقفاً معارضاً للمحاولة الانقلابية. ووجه دودايف رئيس اللجنة التنفيذية بتاريخ ١٩٩١/٨/١٩ نداء جاء فيه:-

" نداء لجميع القوى العاملة في الجمهورية "

" استناداً إلى المرسوم الصادر عن رئيس الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة بتاريخ ١٩٩١/٨/١٩، فإن اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني يدعوكم لإعلان إضراب سياسي والتعبير عن عصيان مدني في جميع أنحاء جمهورية الشيشان – انجوش اعتباراً من صباح ١٩٩١/٨/٢١ وحتى يتم اعتقال الفئة المجرمة التي قامت بالمحاولة الانقلابية ".

وصدر عن اللجنة التنفيذية للمؤتمر بتاريخ ١٩٩١/٩/١٩ البيان التالي:-

" بعد تقييم إجراءات وتصرفات ما تسمي نفسها (اللجنة الحكومية للطوارئ في الاتحاد السوفيتي، فإن اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني تعلن:-

١- أن تصرف اللجنة الحكومية للطوارئ يمثل انقلاباً من قبل فئة حكومية مجرمة، وجريمة بحق الشعوب وانتهاكاً للدستور.

٢- ينبغي في الظروف الحاضرة، الامتثال للمرسوم الذي أصدره رئيس الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة بتاريخ ١٩٩١/٨/١٩.

٣- إن أية إجراءات من قبل دائرة المخابرات وقوات وزارة الداخلية أو القوات العسكرية لمساندة اللجنة الحكومية للطوارئ تعتبر غير مشروعة وضد مصلحة الشعب.

٤- نناشد شعب جمهورية الشيشان – انجوش الوقوف بحزم وشجاعة والدفاع عن الديموقراطية وكرامة الإنسان.

٥- ندعو الجماهير إلى حركة عصيان مدني.

٦- إن اعتقال زيلمخان يندربايف، رئيس الحزب الديموقراطي الشيشاني، ونائب رئيس المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني يشكل خرقاً للقانون وانتهاكاً لحقوق الإنسان، إن مسؤولية هذا الإجراء الذي يتعارض مع مرسوم رئيس الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة الصادر بتاريخ ١٩٩١/٨/١٩ تقع على عاتق بيترنكو نائب رئيس برلمان جمهورية الشيشان – انجوش " .

ووجهت اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني النداء التالي إلى قوات وزارة الداخلية في جمهورية الشيشان انجوش :-

" أيها الأخوة ضباط وضباط صف وأفراد قوات وزارة الداخلية في جمهورية الشيشان – انجوش.

" لقد حانت الساعة، ليتخذ كل مواطن شريف، مهما كانت خلفيته القومية أو الاجتماعية قراراً شجاعاً وفق ما يمليه عليه شرفه وضميره.

"إن القوات المسلحة والأجهزة المسؤولة عن تطبيق القانون، اختارت السماح بالإصلاحات الديموقراطية بدون سفك دماء. إلا أن السلطات المحلية أظهرت معارضة شديدة لقوى التقدم، وأخذت تبث الإشاعات السخيفة لإثارة الفرقة بين العشائر، والإساءة إلى سمعة المتظاهرين بدعوى أنهم متعطشون للسلطة.

"ينبغي أن لا نسمح للفئات الفاسدة التي تساند الشيوعيين أن تخدعنا.

"إن اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني، تناشد كل فرد منكم أن تتبعوا تعليماتها، وأن تنضموا للجماعات التي تدافع عن النظام الديموقراطي، وأن تتحاشوا سفك الدماء ".

كما وجه دودايف نداء إلى المجندين الشيشان والانجوش في القوات المسلحة السوفيتية يدعوهم بعدم إطاعة أوامر الطغمة التي قامت بالمحاولة الانقلابية.

وفي ١٩٩١/٨/٢٢ قامت في غروزني مظاهرة حاشدة تؤيد اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني، وتندد بالقيادات الحاكمة في الجمهورية، وتستنكر تصرفها الهزيل خلال المحاولة الانقلابية. ونددت بشكل خاص ببرلمان الجمهورية ورئيسها زفجاييف، وبمجلس الوزراء، ومكتب النائب العام، والمخابرات العامة، وقوات وزارة الداخلية، وأصدرت قرارات تطالب:-

١- استقالة زفجاييف.

٢- حل البرلمان .

٣- نقل السلطة إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني لحين إجراء الانتخابات القادمة.

٤- حل مجلس الوزراء .

٥- تشكيل لجنة تحقيق في التصرفات غير الدستورية لدائرة المخابرات وقوات وزارة الداخلية ومكتب النائب العام.

٦- وعهدت إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني تنفيذ هذه القرارات.

وقامت جماهير المتظاهرين هذه باحتلال محطة تلفزيون غروزني بتاريخ ٢٢ آب ، وفي ٢٤ آب جرى تحطيم تمثال لينين الذي كان قائماً في ساحة رئيسية في المدينة. وانضم الحرس الوطني الشعبي إلى جماهير المتظاهرين ، كما انضم إليهم كوادر ومؤيدو الحزب الديموقراطي الشيشاني. وعقد المؤتمر القومي للشعب الشيشاني دورة ثالثة يومي الأول والثاني من أيلول واصدر قراراً بنقل السلطة في الجمهورية إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر. وفي اليوم السادس من أيلول دخل الحرس الوطني الشعبي مبنى البرلمان الذي كان منعقداً، واخرج النواب من المبنى بالقوة. وخلال هذه الواقعة أصيب فيتالي كوتسينكو سكرتير الحزب الشيوعي لمدينة غروزني بالفزع وهرب إلى شرفة الطابق الثالث من البناء وسقط منها وتوفي.

وكان لزفجاييف مناصروه أيضاً . قاموا بمظاهرات ومسيرات مؤيدة له، ولكن بحشود أقل من المعارضين. أقام الفريقان مراكز تجمع واعتصام على مدار الساعة (ليلاً ونهاراً) في الميدان الرئيسي في المدينة، يفصل بينهما شارع ضيق. وعلق المراقبون بأنه طيلة فترة المظاهرات والمسيرات والاعتصام التي استمرت لغاية ١٩٩١/٩/١٥ لم يقع أي صدام بين الفريقين، ولم يتبادلا اتهامات الخيانة والعمالة أو ألفاظاً جارحة (المثل الشيشاني يقول جرح السلاح يندمل، وأما جرح الكلمة الجارحة فلا يندمل ولا يشفى) وكان الضحية الوحيدة لهذه الأحداث فيتالي كوتسينكو – سكرتير الحزب الشيوعي لمدينة غروزني. وكان الشيوخ وكبار السن من كلا الفريقين يضبطون تصرفات مجموعاتهم، وكان العديد من المتظاهرين يقطعون الشارع الضيق الذي يفصل الفريقين للاستماع إلى كلمات ومهرجانات الفريق المقابل بدون حدة ولا تشنج، ويشتركون معاً في أداء الصلوات جماعة، وكذلك عقدت حلقات ذكر أو رقصات قوقازية، ويتقاسمون المواد التموينية التي يزودها المواطنون. ويعود الفضل في هذا إلى التراث الحضاري للشعب الشيشاني، الذي في غياب دولة وحكومة لعدة قرون، كانوا قد اقتبسوا وتقيدوا بعادات وتقاليد مبنية على الاحترام المتبادل.

وبسبب استمرار المظاهرات والمسيرات والاعتصام، وبسبب تردي الحالة الصحية لامرأة وشيخ كانا قد أعلنا الإضراب عن الطعام حتى يتخلى زفجاييف وأعضاء البرلمان عن السلطة، قدم بضع عشرات من الأعضاء استقالاتهم. وأخيراً عقد البرلمان جلسته الأخيرة بتاريخ ١٩٩١/٩/١٥ حيث استقال جميع أعضاء البرلمان ورئيسه زفجاييف. واتفق على تشكيل مجلس مؤقت مشكل من ٣٢ عضواً برئاسة حسين أحمدوف مهمته ممارسة السلطة خلال فترة الانتقال، ودراسة وتصديق مشاريع قوانين (كانت قد أعدتها لجنة شكلها المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني تتعلق بشكل الدولة والجنسية والانتخابات)، وإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية خلال فترة شهرين.

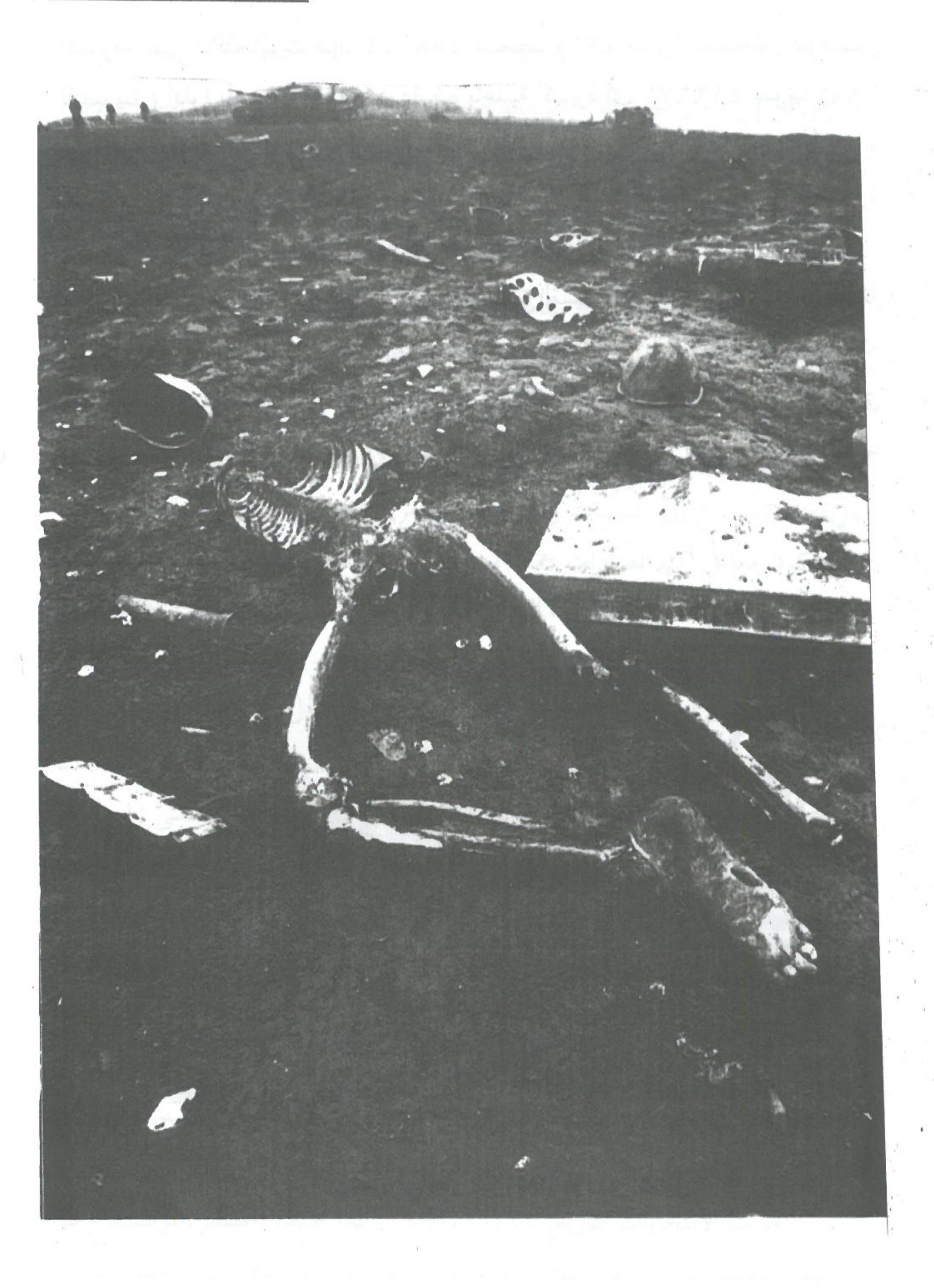
جرت الانتخابات بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٧ كما حدده المجلس المؤقت. وفاز دوداييف بمنصب الرئاسة ضد ثلاث منافسين. وحسب الأرقام التي إذاعتها اللجنة

المشرفة على الانتخابات فإن ٤٥٨١٤٤ شخصاً (٧٢٪ من المسجلين المؤهلين للتصويت) أدلوا بأصواتهم، وفاز دوداييف بأغلبية كبيرة أي ٤١٢٦٧١ صوتاً (٩٠٪ من الذين أدلوا بأصواتهم). اعتبرت السلطات الروسية هذه الانتخابات لاغية لأنها لم تجر وفق القوانين الروسية السائدة ، وادعت أيضاً بأن عدد الذين أدلوا بأصواتهم لم يزد عن ١٥٪ من مجموع الذين لهم حق التصويت.

وبتاريخ ١٩٩١/١١/٩ أدى دوداييف القسم القانوني وباشر سلطاته الدستورية. ولوحظ أنه أدى القسم واضعاً يده على المصحف الشريف الذي أمسكه مفتي الجمهورية، ولكنه كان يلبس زي جنرال في القوات الجوية السوفيتية. وعلق بعضهم منتقداً هذا الزي، وعلق آخرون بأنه قصد بتصرفه هذا أن يوجه رسالة لروسيا بأنه مستعد للتفاهم والتعاون معها.



الأسلوب الروسي في حل النزاعات – دمار شامل.



سياسة الأرض المحروقة.

الفصل الثالث
الموقف الروسي إزاء الأحداث

في غمرة الأحداث المتسارعة في الاتحاد السوفيتي، التي اتسمت بتنافس التيارات والتكتلات المختلفة على السلطة، ونزاعات حدودية وعرقية، لم تول موسكو اهتماماً كبيراً للأحداث الجارية في شيشانيا خلال الفترة التي تلت انعقاد المؤتمر الوطني الشيشاني في نوفمبر ١٩٩٠ وحتى المحاولة الانقلابية ضد غورباتشوف في آب ١٩٩١.

ففي الجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية برز يلتسين متمرداً على السلطة المركزية للاتحاد، وأعلن انسحابه من الحزب الشيوعي، وانتخب رئيساً لبرلمان الجمهورية ، وساند انتخاب البروفيسور رسلان خاسبولات النائب في ذلك المجلس عن جمهورية الشيشان نائباً أول له، وعدل دستور الجمهورية إلى نظام رئاسي يفصل بين منصبي رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان ، وتقلد منصب رئيس الجمهورية بسلطات دستورية واسعة جداً ، واختار الجنرال في السلاح الجوي السوفيتي الكسندر روتسكوي المعروف بتعصبه للقومية الروسية نائباً له، في حين اشغل خاسبولات مركز قائم بأعمال رئيس البرلمان إلى حين انتخاب رئيس جديد له. وفي شهر أيلول من ذلك العام جرى انتخاب خاسبولات رئيساً أصيلاً للبرلمان الروسي.

كان موقف يلتسين وتحركه الحازم والسريع عاملاً حاسماً في فشل المحاولة الانقلابية، فتمكن غورباتشوف من العودة إلى موسكو ليمارس مهام منصبه. إلا أن يلتسن، وباستخفاف علني بغورباتشوف، تحدى السلطة المركزية للاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي، وأعلن توجهه إلى تشكيل اتحاد جديد يضم روسيا وأوكرانيا وبيلوروسيا (الجمهوريات السلافية في الاتحاد)، مع إبقاء الباب مفتوحاً لانضمام جمهوريات سوفيتية أخرى. أما غورباتشوف الذي كان يخطط لتطوير هيكل الاتحاد السوفيتي بإعطاء استقلالية أكبر وصلاحيات أوسع للجمهوريات الاتحادية، ويتفاوض

مع جمهوريتي تتارستان والشيشان – انجوش لضمهما إلى الاتحاد كجمهوريات فدرالية، أيقن أمام إجراءات وسياسة يلتسين بأن خططه لم يعد لها حظ في التحقيق. فأعلن بأنه لم يعد جدوى من بقاء الاتحاد، الذي تقرر حله رسمياً اعتباراً من نهاية عام ١٩٩١. وبقي في مركزه كبطه عرجاء (Lame Duck) بدون نفوذ يذكر ، ينتظر نهاية الاتحاد، ونهاية مركزه في الحزب والإدارة.

وعت الجمهوريات الاتحادية الأخرى (بما فيها الجمهوريات الإسلامية) إلى أن العنصر الروسي (ممثلة بجمهورية روسيا) ينوي التمسك بالسلطة والامتيازات التي كانت تتمتع بها أيام الاتحاد السوفييتي. وأعرب نور سلطان نازارييف رئيس جمهورية كازاخستان في بيان ألقاه بتاريخ ١٩٩١/٨/٢٦ أمام اجتماع لمجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي عن شعور الشعوب غير الروسية حول الاستمرار في مشاركة الاتحاد وقال:-

"لقد بات واضحاً بأن الاتحاد السوفييتي لن يستمر كفدرالية. لقد أضعنا وقتاً طويلاً نلاحق الماضي. تعلمون بأنني كنت أؤيد بشدة الإسراع في توقيع اتفاقية الاتحاد المعدل (التي اقترحها غورباتشوف – المؤلف) ولا أزال مسانداً لها. إلا أن الأحداث الأخيرة أبرزت بأن الأوضاع مشحونة وتعرض إلى سفك الدماء.

"كيف انظر الآن إلى مستقبل الاتحاد ؟ إن جمهورياتنا التي عقدت اتفاقيات تنظيم هيكلية تعاون اقتصادي فيما بينها، كانت تتطلع إلى تحقيق تنمية واسعة عن طريق تعاون جميع الذين أبرموها، لأنه لا مصلحة اقتصادية لأي من الجمهوريات الفدرالية بأن تسلك طريقاً مستقلاً.

"ينبغي على المؤسسات المشتركة في الاتحاد الحالي الاستمرار في ممارسة اختصاصاتها، ومنها في رأيي حماية الحدود المشتركة، وإنشاء مجلس أعلى لضبط الأسلحة النووية . وكذلك الذين يتحكمون في أزرار إطلاق الصواريخ ، من خلال وتحت إشراف وزارة دفاع مشترك ، يتمثل فيها جميع أعضاء الاتحاد على قدم المساواة. وأرى أن يكون لكل جمهورية جيشها الخاص، وفي حالة وقوع تهديد خارجي تقوم وزارة الدفاع بتوحيد هذه الجيوش للدفاع عن الاتحاد".

"وأما بالنسبة للعلاقات الخارجية، فأرى أن تكون المشاركة بينها فقط في رسم السياسات العامة مثل نزع السلاح، وأن تكون لكل جمهورية وزارة خارجية خاصة بها تتولى النشاطات الدبلوماسية والاقتصادية وتعقد الاتفاقيات مع الدول الأجنبية. وأرى أن تكون لكل جمهورية إدارات قنصلية خاصة بها، بحيث لا يضطر مواطنو هذه الجمهوريات التعامل مع وزارة الخارجية للاتحاد السوفييتي لأغراض سفرهم للخارج أو دعوة ضيوف من الخارج.

" واقترح تغيير اسم (الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية المتحدة USSR) إلى اسم (الاتحاد الحر للجمهوريات المستقلة (Free Union of Sovereign Republics) " وفي إشارة خاصة لوضع الشيشان والأنجوش استطردنا زاراييف.

"وباصطلاح الجمهوريات، فإنني أعني جميع الجمهوريات بما فيها الجمهوريات ذات الحكم الذاتي التي أعلنت سيادتها وتلك التي تنوي ذلك. وبمعنى آخر ... فإنني اقترح عقد اتفاقية كونفدرالية (وليست فدرالية – المؤلف). فحينئذ فقط يمكننا أن نحقق المساواة بين الشعوب والقوميات ".

وحول الجمهوريات التي لا ترغب في الانضمام إلى اتفاقية الكونفدرالية قال:

" إنني اقترح حلاً عاجلاً لهذا الأمر، وذلك بمنح جمهوريات البلطيق ومولدافيا وجورجيا وأية جمهورية أخرى تعرب عن تطلعها للسيادة والاستقلال، الحق في الإقدام على ذلك من خلال قنوات شرعية وقانونية، بدون ربط منح هذا الحق بتسوية المطالبات المتبادلة بموضوع الديون الباهظة. إن حياة كل فرد ثمينة، وشعوبنا التي قدمت ثمناً عالياً لحبهم لحريتها، يجب أن لا تبقى الضحية بعد الآن ".

وبالنسبة لجهود وإجراءات تشكيل الاتحاد التي بذلت وتمت قبل المحاولة الانقلابية قال نازاراييف.

" إن معادلة ٩+١ (ويعني بها الاتفاقية التي وقعها بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٣ غورباتشوف مع تسع جمهوريات اتحادية كانت قد اختارت البقاء في الاتحاد) أصبحت الآن من الماضي. فالتكتيك الذي ينبغي أن نعتمده حالاً ، يجب أن لا يبنى على أساس

تشكيل مجلس وزراء مشترك، بل تشكيل مجلس اقتصادي مشترك ، يكـون ممثلو جميع الجمهوريات فيه على قدم المساواة وفي عائلة اقتصادية مشتركة. وأرى أيضاً أن نسـمح حتى للجمهوريات التي ترغب في الانفصال الاشتراك في هذا المجلس ".

واختتم نازارباييف كلمته:-

" هذه هي وجهة نظري بشكل عام حول الاتحاد في المستقبل. وختاماً أرجـو أن أوضح للجميع، بأن كازاخستان لن تعود أبداً لتصبح مكباً للنفايات أو شقيقاً أصغر لأي كان. لـن ندخـل الاتحـاد إلا علـى قـدم المسـاواة، وبنفـس الفـرص والحقـوق مـع الآخرين".

وبعد هذه الوقفة الشجاعة الصريحة من نازارباييف، بادرت جمهوريات أخرى (لم تكـن تجـرؤ في السـابق) إلى إعـلان سيادتها وفـك ارتباطهـا مـع أجهـزة الحـزب الشيوعي.

أما سلطات الجمهورية الروسية. فقد أصرت على موقفها (وحـدة الجمهوريـة الروسية، غير قابلة للتجزئة، وحدودها غير قابلة للتعديل). واستصدرت بياناً من غالبية الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ضمن الجمهوريـة الروسية (وبامتنـاع جمهوريـات الشيشان – انجوش، والقبرطاي – بلقـر، وتتارسـتان ، وبورياتيـا، وتوفـا، وتشوفاشيا) نشر في جريدة تاس بتاريخ ١٩٩١/٨/٢٩ بتأييد يلتسين واستنكار المحاولـة الانقلابيـة.

وجاء في البيان:-

"أن جمهورياتنـا تفضـل الإبقـاء علـى الفدراليـة الروسـية كوحـدة غـير قابلـة للتجزئة، وعائلة واحدة متعددة القوميـات. أننـا نـرى ضـرورة اتخـاذ إجـراءات طارئـة لتأمين استقرار الوضع السياسي في الجمهورية الفدرالية الروسية. وهـذا لـن يتحقـق إلا من خلال توقيع معاهدة اتحادية تأخذ بعين الاعتبار الأوضاع التي سادت في الجمهوريـة الفدرالية ".

وستطرد البيان :-

" إننا نناشد جميع مواطني وقوميات وشعوب روسيا العظمى أن ترص صفوفها وتضاعف جهودها في هذه الظروف الصعبة لحماية وحدة وقوة وطننا ".

وأضاف البيان :-

" أننا نناشـد وندعـو إلى وحـدة والتصـاق شـعوب جميـع جمهوريـات الاتحـاد السوفيتي، حتى تحظى بمكانة لائقة في العائلة الدولية ".

وبهذا التصـور (روسـيا غـير قابلـة للتجزئـة أو تعديـل الحـدود) كـان التعـامل الروسي مع أحداث شيشانيا التي مر ذكرها والغزو اللاحق .

شعر فريق يلتسين (وكان يضم الشيشانيان رسلان خاسبولات القائم بأعمـال رئيس برلمان الجمهورية الروسية، والجـنرال اصلانبـك اصلاخـانوف الجـنرال في قـوات وزارة الداخلية الروسية العضو ورئيس لجنة الشرعية في ذلـك البرلمـان (وكانـا عضويـن فيه ممثلين لجمهورية الشيشان – انجوش) بأن انتفاضـة وأحـداث شـهر آب في شيشـانيا فرصة مناسبة للتخلص من زفجاييف، الذي بالإضافة إلى كونـه شـيوعياً كـان يسـاند غورباتشـوف في محاولـة إقامة تشـكيلة جديـدة للاتحـاد يعارضهـا يلتسـين. وكـان خاسبولات واصلاخانوف في أواخر آب وأوائل أيلول على اتصال هاتفي مستمر مع دوداييف حول خطط تهدف إلى عزل زفجاييف. وبتاريخ ٢٦ آب هاتف خاسبولات دودابيف وطمأنه بأن الدبابات السوفيتية المتواجدة في قواعد عسـكرية في شيشـانيا لـن تتدخل ضد محاولة عزل زفجاييف وحل برلمـان شيشـانيا. وفي يـوم ٢٦ آب أيضاً قـام اصلاخانوف بزيارة إلى غروزني. وفي اجتماع عام حذر زفجاييف من استعمال القـوة في قمع المظاهرات.

وحضر هذا الاجتماع أيضاً سلامبك حجاييف الـذي كـان وزيـر الصناعـات الكيماوية، ومؤيداً لدوداييف ضد زفجاييف، وقال عنه:-

" لقد تأثرت بثبات موقـف دودابيـف وتصريحاته في الدعـوة إلى الديمقراطيـة. كان أول شيشاني يصل إلى رتبة جنرال ... بل جنرال في القوات الجويـة ممـا يشـير إلى كفاءة عالية ونضوج. ولما كانت زوجته روسية ، حسـبت بأنـه لـن ينـادي بشـعارات متطرفة ضد روسيا. بدا لي شخصية جادة من الوزن الثقيل.

"والشيء الوحيد الذي لم ارتح له هو العدد الكبير مـن رجـال حولـه باللبـاس العسكري . عزيت ذلـك إلى عقليـة جـنرال يحـب اسـتعراض الصفـوف المنتظمـة. وفي

زاوية صغيرة خلفية من دماغي تذكرت ما حدث في ألمانيا النازية عند تشكيل وحدات الأمن الخاصة (SS) ، إلا أنني لم أعر أهمية كبيرة إلى هذا الأمر في حينه ".

وصعد الإعلام الروسي الإثارة حول أحداث شيشانيا. فبتاريخ ١٩٩١/٨/٣٠ نشرت وكالة تاس خبراً من غروزني يفيد بأن وفوداً من جميع مدن وقرى شيشانيا تتوافد إلى غروزني لمساندة المتمردين، وأن أعداد المتظاهرين بلغت عشرات الألوف، وأن الحواجز أقيمت واغلق السير في الشوارع الرئيسية في غروزني.

وفي يوم ١٩٩١/٩/١ قامت وحدات من الحرس الشعبي التابع للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني. باحتلال مبنى مجلس الوزراء، وأذاع راديو موسكو بأن إعلاماً إسلامية خضراء (العلم الذي كان قد اعتمده المؤتمر الوطني الشيشاني وأصبح فيما بعد العلم الرسمي لجمهورية الشيشان – المؤلف) ترفرف في كل مكان. وعلقت الإذاعة بأن المراسلين في غروزني أفادوا بأنهم يعتقدون بأن المحرضين على المظاهرات هم النشطاء القوميين ذوي الميول الإسلامية. وهم يعارضون ارتباط جمهورية الشيشان مع الجمهورية الروسية أو الاتحاد السوفيتي.

وفي ٩/١١ قامت الحكومة الروسية بإيفاد مسؤولين كبيرين (جينادى بيربولس وميخائيل بولتورانين) إلى غروزني بقصد تهدئة الأوضاع. إلا أن الزيارة لم تكن ذات تأثير يذكر .

وفي ٩/١٤ قام خاسبولات بزيارة غروزني. وخاطب الجماهير مهنئاً بانتصار القوى الديمقراطية، واتهم زفجاييف بأنه ألعوبة بيد موسكو، وأنه كان مؤيداً للمحاولة الانقلابية. وترأس خاسبولات بتاريخ ٩/١٥ الجلسة الأخيرة لمجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان – انجوش، حيث جرى التصويت على حل المجلس وتشكيل مجلس مؤقت مشكل من ٣٢ عضواً، لممارسة السلطة خلال فترة انتقالية لغاية ٩١/١١/١٧ الذي كان محدداً لإجراء انتخابات جديدة.

ويرى بعض المحللين بأن خاسبولات كان قد عقد اتفاقاً مع دودايف لمشاركة السلطة والنفوذ في شيشانيا. وصرح خاسبولات فيما بعد بأنه كان قد اجتمع مع

دودايف لمدة ١٥ دقيقة، وأن دودايف أعطاه وعداً بأنه سيلتزم بالقانون والدستور. إلا أن دودايف قرر بعد عودة خاسبولات إلى موسكو أن ينفرد بالسلطة.

وسرعان ما توتر الوضع بشكل خطير. إذ قامت مجموعة من المجلس المؤقت بتاريخ ١٠/٥ بدعم من المخابرات العامة بمحاولة لاستبدال رئيس المجلس حسين أحمدوف. فاعتبر المؤتمر القومي للشعب الشيشاني ذلك محاولة من دائرة المخابرات لاغتصاب السلطة، وأعلن حل المجلس المؤقت ونقل السلطة خلال الفترة الانتقالية إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر.

وقررت اللجنة التنفيذية تقديم موعد الانتخابات القادمة إلى ٢٧ أكتوبر بدلاً من ١٧ نوفمبر الذي كان يتوافق مع موعد الانتخابات في روسيا.

وكان خاسبولات قد أرسل بتاريخ ٩/٣٠ برقية إلى غروزني يشكو فيها من تدخل جماعات غير رسمية في عمل المجلس المؤقت، فرد المؤتمر القومي للشعب الشيشاني برفض واستنكار تدخل روسيا في شؤون جمهورية الشيشان – انجوش.

أقيمت الحواجز والمتاريس في ساحة الحرية أمام مبنى الحكومة في غروزني. وقام الحرس الشعبي بالاستيلاء على مبنى دائرة المخابرات، ووضع اليد على كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر. وقال بسلان غانتميروف قائد الحرس " أن العملية كانت موفقة، حيث قام ٣٣ محارب جيد التدريب بالاستيلاء على المبنى خلال أربعين ثانية فقط، بدون إصابات سوى إصابة ضابط برتبة كولونيل بجرح بسيط ".

وعندما وصلت هذه الأنباء إلى فيكتور ايفانكو (Victor Ivanenko) الذي كان قد عين مؤخراً رئيساً لدائرة المخابرات الروسية بصلاحيات واسعة، قرر أن يذهب إلى غروزني لمحاولة استعادة مبنى المخابرات. ورافقه في هذه الزيارة يومي ٦ و ٧ أكتوبر كل من اندريه دونايف (Andrei Dunaev) وزير داخلية الجمهورية الروسية، والكسندر روتسكوي (Alexander Rutskoi) نائب رئيس الجمهورية. قال ايفاننكو في مقابلة مع مؤلفي كتاب (شيشانيا – حرب صغيرة مصغرة) بأنه ناقش على الطائرة التي أقلتهم إلى غروزني مع زميلية خطة عملهم، وأخبرهم بأنه مراعاة للعادات والتقاليد القوقازية، فإنه سيقوم بمقابلة الشيوخ (كبار السن) ويحاول أن يسترجع المبنى

دون اللجوء إلى القوة. فعلق روتسكوى: "دعني أخبركم كيف كنت أحل المشاكل في أفغانستان (خدم طيار المروحيات الجنرال روتسكوى في أفغانستان – المؤلف).

"إذ أُطلق علينا النار من قرية أو قُتل أحد رجالنا ... كنت أرسل طائرتين فلا يبقى للقرية أثر. وبعد أن أحرقت عدداً من القرى توقف إطلاق النار علينا. هذا هو الأسلوب الذي يجب أن نتبعه".

لم تكن تركيبة الوفد مناسباً لهذه المهمة، فمع أن ايفاننكو ودونايبف حاولا أن يبديا حسن النية، إلا أنهما كانا يمثلان أجهزة قمع. في حين أن روتسكوى المغرور المعروف بتطرفه للقومية الروسية وحدة مزاجه، فقد كان سبباً رئيسياً لتأزم الوضع وفشل مهمة الوفد. فعندما رفض دوداييف أن يتخلى عن مبنى المخابرات أغضب روتسكوى الشيشان بقوله:

"تصرفاتكم ليست ديموقراطية ... بل قرصنه". وعاد الوفد إلى موسكو خائباً.

كانت مزاجية روتسكوى الحادة، وتصريحاته المتهورة، وشوفينيته الروسية عوامل رئيسية في قطع الاتصال والتفاهم فيما بين فريق يلتسين والمؤتمر القومي للشعب الشيشاني. فعند عودة الوفد إلى موسكو شبه روتسكوى الوضع في شيشانيا لما كان يجري في نوغورنو كاراباخ. واتهم غمسخورديا (رئيس جمهورية جورجيا المناهض للنفوذ الروسي في بلاده) بإثارة الفتنة. وادعى بأن عصابة دودايف التي لا تتجاوز ٢٥٠ متطرفاً يبثون الرعب في شيشانيا، وأن الروس في الجمهورية معرضون للخطر .
وبناء على توصية روتسكوي اصدر البرلمان الروسي بياناً جاء فيه:

"بعد الاستماع إلى التقرير الذي قدمه الكسندر روتسكوي، والتداول في النداء الموجه من المجلس المؤقت في جمهورية الشيشان، وتقييم المدعي العام في الجمهورية للوضع القانوني والأمن والنظام فيها، فإن مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية الروسية يعبر عن قلقه العميق لتطور الأحداث في شيشانيا وتصاعد أعمال العنف من قبل تشكيلات غير قانونية، تقوم باحتلال مؤسسات رسمية واعتقال مسؤولين. كما تقوم جماعات فردية غير ملتزمة بممارسة سلطات الدولة وتصرفات

أخرى مخالفة للدستور. إن حياة وحقوق وممتلكات مواطني جمهورية الشيشان – انجوش أصبحت معرضة لخطر متزايد.

"وبهدف تطبيع الوضع وتثبيت النظام الدستوري في جمهورية الشيشان – انجوش، فإن مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية الروسية الاتحادية اصدر بتاريخ ١٩٩١/١٠/٨ القرارات التالية:

١- إلى أن يتم انتخاب مجلس السوفيت الأعلى القادم لجمهورية الشيشان – انجوش، يعتبر المجلس المؤقت الذي شكله مجلس السوفيت الأعلى السابق للجمهورية، الهيئة الشرعية الوحيدة في أراضي الجمهورية.

٢- ينبغي على الجماعات المسلحة غير الشرعية أن تسلم أسلحتها إلى سلطات وزارة الداخلية قبل منتصف ليلة ١٩٩١/١٠/١٠.

٣- الطلب من المجلس المؤقت لجمهورية الشيشان – انجوش العمل على استقرار الوضع في الجمهورية، وضمان الأمن ، وتطبيق القانون بدون تحفظ، وإجراء الانتخابات القادمة لمجلس السوفيت الأعلى للجمهورية بموجب قوانين الجمهورية الروسية السارية في الوقت الحاضر".

وبتاريخ ١٩٩١/١٠/٩ صعد روتسكوى هجومه على المؤتمر القومي للشعب الشيشاني إذ اتهمه في حديث طويل في التلفزيون الروسي بالتسبب بقتل كوتسينكو الذي مات بتاريخ ١٩٩١/٩/٦ أثر سقوطه من شرفة برلمان الجمهورية. ووصف روتسكوى اللجنة التنفيذية للمؤتمر "بعصابة مجرمين"، ودعا يلتسن إلى اعتقالهم استناداً إلى المادة ٢٨ من القانون الجزائي الروسي المتعلق باقتناء أسلحة غير مرخصة، والمادتين ٦٧ ، ٦٨ من القانون نفسه المتعلقين بأعمال إرهابية ضد السلطات الشرعية.

تسببت قرارات البرلمان الروسي الآنف ذكرها إلى تدهور الأوضاع في شيشانيا بشكل حاد وسريع. فالشيشان لا يقبلون تسليم أسلحتهم طوعاً، كما وأن هذه القرارات مثلت تدخلاً بالشؤون الداخلية للجمهورية الشيشانية وإنكاراً لاستقلالها وسيادة قوانينها. ووصف دودايف هذه القرارات بمثابة إعلان حرب على الجمهورية

الشيشانية. وأعلن حالة الطوارئ والاستعداد القصوى لقوات الحرس الوطني والمليشيا الشيشانية، والتعبئة العامة لجميع الذكور الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥-٥٥ عاماً.

وعلى ما جاء في مقالة ماري بينيغسن (Marie Bennigsen) فإن خاسبولات أيد موقف روتسكوى وصرح " بأن الشعب الشيشاني مجمع على أن يكون جزءاً من الفدرالية الروسية ... أن يكونوا معاً، ويعيشوا معاً، ويعالجوا الوضع الحالي المتأزم معاً. هذا ما يقوله الشعب . أن دوداييف ومناصروه لا يمثلون الشعب ".

وبتاريخ ١٠/١٨ طلب دوداييف من الشعب الشيشاني الاستعداد للحرب الذي بات وشيكاً بعد أن حشدت روسيا قوات كبيرة في جمهوريتي داغستان واوسيتيا الشمالية المجاورتين. وصرح بأن ٦٢٠٠٠ رجلاً سجلوا في الحرس الوطني والمليشيا الشعبية. وبدأت وفود من مختلف مناطق شمال القوقاز تفد إلى غروزني للتعبير عن تأييدها للمؤتمر القومي الشيشاني.

وبتاريخ ١٠/١٩ خرج يلتسين عن صمته حول أزمة شيشانيا، وقال في التلفزيون الروسي : "بأن الأوضاع في شيشانيا أصبحت غير محتملة، وأن تصرفات اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني وقيادتها مخالفة للدستور، وتسعى لزعزعة الوضع في الجمهورية والاستيلاء على السلطة من خلال ما تسميها الحرس الوطني والمليشات الشعبية". وأصر على إجراء انتخابات مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان، وكذلك إجراء استفتاء عام حول الوضع القانوني للجمهورية بتاريخ ١١/١٧ كما هو مقرر في روسيا، وبموجب القوانين السارية في الجمهورية الروسية.

وهدد " إذا رفض المؤتمر الوطني الشيشاني هذه الترتيبات، فإنه سيضطر لاتخاذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن النظام الدستوري ". وعلق حسين احمدوف رئيس المجلس الشيشاني المؤقت بأن هذا التصريح بمثابة المسمار الأخير في نعش الإمبراطورية الروسية.

وفيما بعد صرح يلتسين بأن الأزمة قد تتسع لتشمل جميع مناطق شمال القوقاز. وأعلن بأن البرلمان الروسي فوضه بإعلان حالة الطوارئ في جمهورية الشيشان.

واستبعد الحاجة إلى تورط القوات المسلحة حيث أن قوات وزارة الداخلية كانت في رأيه كافية لمعالجة الوضع. وبهدف الحد من معارضة الرأي العام الروسي لتدخل عسكري محتمل ادعى بأن أكثر من ٣٠٠٠٠٠ روسي مواطن في جمهورية الشيشان معرضون للخطر.

وفي فترة هذه الأحداث كان سفير الاتحاد السوفيتي في الأردن دبلوماسياً عريقاً، دمث الأخلاق، وموضع تقدير واحترام كل من يعرفه. ومع تبنيه رسمياً لسياسة روسيا (وحدة الجمهورية الروسية، غير قابلة للتجزئة، وحدودها غير قابلة للتعديل)، إلا أنه كان يعترف بالمعاناة والظلم الذي أصاب الشعب الشيشاني في العهد الشيوعي. كان يتفهم تطلعات الشعب الشيشاني للاستقلال والانفصال عن روسيا، إلا أنه لم يقر أسلوب دوداييف للتوصل إلى هذا الهدف.

وفي إحدى اللقاءات في مكتبي في عمان (بحضور زملائي في جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان - انجوش السادة عارف بهاء الدين ويوسف بلتو وأحمد بطل) سأل السفير: أخبروني من هودوداييف ؟

ابتسمت وقلت: " بالنسبة لنا نحن الأردنيين من أصل شيشاني، دوداييف هو رمز لكيان ودولة الشعب الشيشاني المستقلة، ولا دخل لنا بالتيارات السياسية المختلفة في جمهورية الشيشان. أما إذا سألتني من هو هذا الرجل ... فإن معرفتي به لا تتعدى لقاءات عابرة خلال انعقاد المؤتمر الوطني الشيشاني في نوفمبر ١٩٩٠ .

"إلا أن دوداييف هو أول شيشاني سمح له النظام الشيوعي خلال سبعين عاماً أن يصل إلى رتبة جنرال في القوات المسلحة أو الأمنية أو المخابرات السوفيتية، في حين أن العشرات من الشيشان الذين كانوا قد هاجروا إلى تركيا والأردن وسوريا والعراق وصلوا إلى هذه الرتبة بما في ذلك رئاسة الأركان. وفي يومنا هذا يوجد في العراق الشقيق ستة ضباط من أصل شيشاني في القوات العراقية يحملون رتبة جنرال أو فريق. وسبق لآخرين أن وصلوا إلى هذه الرتب وتقاعدوا من الخدمة .

"لا شك أن المخابرات السوفيتية KGB تعرف الكثير عن دوداييف، وهناك من يدعون بأن المخابرات هي التي تبنته حتى وصل إلى هذه الرتبة.

"ومن المعروف أن الهيئات الدبلوماسية للدول الكبرى ليست بمعزل عن دوائر مخابرات واستخبارات دولها. ولعل معلوماتك عن خلفية دوداييف أكثر مما لدي. فخبرني أنت ... من هو دوداييف ؟ ".

ابتسم الدبلوماسي وقال: " قد لا تصدق ... ولكنني حقاً لا أعرف عنه إلا ما تتداوله وسائل الإعلام ".

وفي غمرة هذه الأحداث، قام شامل بيساييف وزميلان له بخطف طائرة روسية إلى تركيا. وأوضح للسلطات التركية بأن الهدف من العملية هو لفت نظر العالم إلى خطورة التدخل الروسي في شيشانيا. سمحت السلطات التركية للطائرة بالعودة إلى روسيا، ولبيساييف وزميليه مغادرة تركيا إلى شيشانيا. وكانت هذه العملية أول ظهور لبيساييف الذي برز فيما بعد كأقدر وأشهر قادة الشيشان في حرب التحرير، وإلحاق الهزيمة بقوات الغزو الروسية.

كما سبق وذكرت ... جرت الانتخابات البرلمانية والرئاسية في شيشانيا يوم ١٠/٢٧ وهو التاريخ الذي حدده المؤتمر القومي الشيشاني، وليس يوم ١١/١٧ متزامنة مع الانتخابات الروسية كما طالبت السلطات الروسية. وفاز دوداييف برئاسة الجمهورية. وفي اليوم التالي ١٠/٢٨ فاز خاسبولات برئاسة مجلس السوفيت الأعلى للجمهورية الروسية ، إذ كان قبل ذلك قائماً بأعمال الرئيس بالوكالة.

وكان أول مرسوم أصدره دوداييف بعد انتخابه رئيساً للجمهورية، إعلان شيشانيا كجمهورية مستقلة، في حين أن أول تصريح لخاسبولات بعد انتخابه رئيساً أصيلاً لمجلس السوفيت الروسي الأعلى كان ادعاءه بأن انتخابات شيشانيا لم تراع معايير الديموقراطية. وأصدر البرلمان الروسي قراراً بأن الانتخابات الشيشانية باطلة. وبتاريخ ١٩٩١/١١/٧ أصدر يلتسن مرسوماً بإعلان حالة الطوارئ في جمهورية الشيشان، وصادق البرلمان على المرسوم الروسي بتاريخ ١٩٩١/١١/١٠.

وكان رد البرلمان الشيشاني على هذه الإجراءات منح سلطات استثنائية طارئة لدوداييف الذي أعلن الأحكام العرفية وتعبئة وحشد قوات الحرس الوطني.

كانت شعوب شمال القوقاز أثناء الحرب العالمية الأولى قد توحدت وشكلت بتاريخ ١٩١٨/٥/١١ (جمهورية اتحاد شمال القوقاز) التي اعترفت باستقلالها تركيا وألمانيا والنمسا والمجر وبقية الدول المتحالفة معها ،كما اعترفت بهذا الاستقلال السلطة السوفيتية الروسية . إلا أنه بعد أن استقر الأمر للسلطات الشيوعية، قامت بتاريخ ١٩٢١/١/٢١ بإعادة احتلال القوقاز وحل جمهورية اتحاد شمال القوقاز وتجزئتها إلى وحدات إدارية متعددة مرتبطة بالجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية.

أحيت الأحداث الجارية في شيشانيا في تسعينات القرن الماضي تطلعات شعوب شمال القوقاز للتحرر من الاستعمار الروسي ، والاستقلال وإعادة تشكيل دولتها الاتحادية. فتشكلت هيئة شعبية اسمها مجلس الشعوب الجبلية القوقازية اختير موسى شابينوف من القبرطاي رئيساً لها. وفي أواخر آب/١٩٩١ (بعيد المحاولة الانقلابية في موسكو) وجه شابينوف الرسالة التالية للشعب الشيشاني:-

"إن اليقظة السياسية وشجاعة الشعب الشيشاني تهز مشاعرنا. لقد أصبحتم القدوة لجميع شعوب القوقاز. لقد بدأت المظاهرات والمسيرات في مدينة نالتشك دعماً لإخوانهم الشيشان. وأعرف أن الإبخاز مستعدون لتقديم أية مساعدة تريدونها. نفكر بعقد جلسة لمجلس الشعوب الجبلية القوقازية في غروزني في المستقبل القريب. إن مركز الكفاح السياسي في المنطقة قد انتقل إلى جمهورية الشيشان ، وفيها سيتقرر مصير القوقاز. إن جميع الجمهوريات والشعوب الممثلة في مجلس الشعوب الجبلية القوقازية تساند بدون تحفظ إجراءات اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني ورئيسها جوهر دوداييف".

وبالإضافة إلى المظاهرات والمسيرات في جمهورية القبرطاي – بلقر، بدأت تحركات شعبية وطنية في أنحاء أخرى من القوقاز وخاصة في جمهورية داغستان ومقاطعتي الكارتشاي – شركس وأديغه ذات الحكم الذاتي.

كما نشطت الحركات الصوفية النقشبندية والقادرية، ووجهت وجندت مكانتها المعنوية والروحية ورابطتها الأخوية والصوفية لمساندة المؤتمر القومي للشعب الشيشاني.

وفي يوم عيد الثورة البلشفية الموافق ١٩٩١/١١/٧ ذهب يلتسين إلى استراحته في زافيدوفو (Zavidovo) خارج موسكو، وانعزل في إحدى خلواته المشهورة . وتعذر على المسؤولين الاتصال به حتى هاتفياً.

فانتهز روتسكوي (نائب الرئيس) هذه الفرصة ، وأخذ المبادرة لوضع خطة للإطاحة بدوداييف بالقوة قبل أدائه القسم القانوني الذي كان مقرراً يوم ١٩٩١/١١/٩. وذكر ايفاننكو رئيس المخابرات، بان روتسكوى استدعاه ووزير الداخلية الروسية اندريه دونابيف، والنائب العام للجمهورية الروسية ستيبانكوف إلى اجتماع في وقت متأخر من ليلة ١١/٧، وأخبرهم بخطته، وهددهم بمحاكمتهم واتخاذ أقسى الإجراءات ضدهم إذا سعوا لإفشال الخطة. وفي نفس الليلة أرسل ٦٠٠ جندي من قوات وزارة الداخلية جواً إلى مطار خانكالا العسكري في غروزني، على أن يعززها في اليوم التالي بقوات إضافية. وتطورت عملية الإنزال هذه لتصبح أولى مهازل تخطيط العمليات العسكرية الروسية الفاشلة التي تكررت فيما بعد في شيشانيا. وانكشف الوضع المهلهل التي غدت عليه القوات الروسية ... معنويات منهارة، ومستويات ضبط متدنية، وقيادة غير مؤهلة. فقوات التعزيزات الجوية التي أرسلت في اليوم التالي هبطت في مدينة فلادى قفقاسيا عاصمة اوسيتيا الشمالية في حين أن السلاح والذخيرة أرسلت إلى مدينة موزدوك في إقليم ستافروبول الروسية. ولم يوضح فيما إذا حدث ذلك نتيجة تخبط في التخطيط أم تصرف متعمد مقصود.

وبمواجهة التهديد الروسي، توحدت كلمة وإرادة الشعب الشيشاني، وانضمت حشود المظاهرات التي كانت معارضة لدوداييف إلى المظاهرات المؤيدة له. واحتشد أكثر من نصف مليون شخص من جميع أنحاء الجمهورية ومناطق قوقازية مجاورة في شوارع وميادين غروزني والمطارات.

لم تتمكن القوات التي هبطت في مطار خانكالا العسكري الخروج من طائراتها بسبب محاصرة الحرس الوطني الشيشاني لها، إلا أن الحرس قام بتزويد هذه القوات بالطعام والمؤن الضرورية.

وإزاء فشل خطته أصيب روتسكوى بنوبة هستيرية، واتصل مع وزير دفاع الاتحاد السوفيتي شابوشنيكوف (Shaposhnikov) ووزير الداخلية بارانيكوف (Barannikov) يطلب تزويده بعدة ألوية عسكرية متواجدة في شيشانيا لقمع ثورة شيشانيا. وكانت القوات العسكرية هذه تابعة للاتحاد السوفيتي وليس للجمهورية الروسية، وقائدها العام غورباتشوف وليس يلتسين. وذكر غورباتشوف: " بأن الوزيرين المذكورين اتصلا به واخبراه بطلب روتسكوي بتزويده بألوية عسكرية، فرفضت ذلك وأمرتهما أن لا يحركا أية قوات إلا بأمري ".

وقال: أنه اتصل بخاسبولات الذي كان بدوره يعارض إرسال القوات إلى شيشانيا ، وقلت له :

"هل جننتم يا جماعة ؟ ولماذا تحاولون توريطي في هذه المهزلة ؟ وأين رئيسكم؟ " فأجابني خاسبولات : " أنا أيضاً أحب أن أعرف أين هو".

وبعد ظهر يوم ١١/٩ (وكان دوداييف قد أدى القسم الدستوري في الصباح) ذهب نائب وزير الداخلية الروسي فياتشيسلاف كوميساروف (Vyacheslav Komissaro) إلى غروزني، واجتمع بدوداييف الذي وافق على السماح للقوات التي هبطت في مطار خانكالا بمغادرة شيشانيا براً. وقد غادرت فعلاً بواسطة حافلات إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية المجاورة. وكمبادرة تكريم لرفاق السلاح القدامي سمح دوداييف لهم الاحتفاظ ببنادقهم الشخصية (بدون ذخيرة)، إلا أنه احتجز الطائرات التي كانت قد أقلتهم إلي شيشانيا.

وبوجه معارضة من روتسكوي، اجتمع البرلمان الروسي في موسكو. وبعد مناقشة تطور الأحداث، اعتبر البرلمان الإجراءات الروسية غير صحيحة ومخالفة للدستور، وقرر إلغاء حالة الطوارئ في شيشانيا، وطالب بحل الخلاف عن طريق المفاوضات، فحال بذلك دون إسالة الدماء بلا سند قانوني بعد أن اكتسب برلمان ورئيس الجمهورية الشيشانية الشرعية الدستورية في انتخابات عامة حرة.

وكانت جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – الجوش الأردنية في الأردن قد قامت بنشاط إعلامي مكثف في فترة هذه الأحداث تأييداً لاستقلال جمهورية الشيشان واستنكاراً للتدخل الروسي في شؤونها، تمثلت بإرسال مذكرات إلى السفارات العاملة في الأردن، ومسيرة شعبية كبيرة إلى مقر ممثليه الأمم المتحدة في عمان.

دعاء المقاتل ..... يالله أنصر المجاهدين.

الفصل الرابع
طموحات وتفاؤل

في الفترة التي تلت فشل روسيا في قمع المسيرة الشيشانية نحو السيادة والاستقلال. انشغلت في صراعات داخلية . إلا أنها ظلت تعتبر جمهورية الشيشان جزءاً من روسيا، وتمكنت من حرمان الجمهورية من اعتراف دولي دبلوماسي باستقلالها.

وأما الشيشان، فإن مختلف تياراتهم السياسية والاقتصادية، أجمعت على هدف سيادة واستقلال جمهوريتهم أولاً، وطموحات بعلاقات فيدرالية مع جيرانهم شعوب شمال القوقاز ثانياً، ومشاركة في علاقات كونفدرالية مع جمهوريات جنوب القوقاز وحتى روسيا وجمهوريات سوفيتية اتحادية سابقة ثالثاً.

حوار صحفي أردني مع مسؤولين شيشان.

كان الصحفي الأردني شاكر الجوهري أول صحفي عربي يزور جمهورية الشيشان بعد تولي دوداييف السلطة في كانون الثاني ١٩٩٢ وأجرى مقابلات مع الرئيس دوداييف، ورئيس البرلمان، ووزير الخارجية، والقائم بأعمال وزير الدفاع وغيرهم . ونشر مطالعاته وانطباعاته في مؤلفه (الشيشان .... تفاؤل .... وقلق) ولعل لقاءاته مع المسؤولين تعبر عن البرنامج الذي كان المسؤولون الشيشان يطمحون في تحقيقه. ولاحظ الجوهري الصراحة والشفافية الكاملة لدى كل من قابلهم، وعدم محاولتهم التهرب من الإجابة على الأسئلة حتى الحساسة والمحرجة منها.

ويشير شاكر الجوهري إلى حب الشيشان للعرب عامة، مع تقدير وشعور وود خاص للأردن قيادة وشعباً. فمن مظاهر هذا الحب إصرار دوداييف أن تكون المقابلة في منزل أخيه الكبير بيكمرزا (وكان دوداييف لا يمتلك في تلك الفترة منزلاً خاصاً به) على وجبة عشاء أعدته زوجة الرئيس وزوجة أخيه. ويشيد الجوهري بعادات الشيشان وخاصة المتعلقة باحترام الأكبر سناً . إذ أن الرئيس امتنع عن الجلوس والتدخين أمام

أخيه الكبير ، مما حدا بهذا أن يغادر الغرفة ليتيح حرية أوسع لأخيه الصغير- رئيس الجمهورية . وأعرب دوداييف عن الأمل (في أن يكون جلالة الملك الحسين المعظم أو رئيس دولة يقوم بزيارة جمهورية الشيشان المستقلة) .

مقابلة مع الرئيس الشهيد جوهر دوداييف
جرت المقابلة بتاريخ ١٩٩٢/١/٢٨

وفيما يلي إجابة دوداييف على بعض أسئلة الصحفي الأردني منقولة عن النشرة حرفياً :

سؤال: ما هي الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى قيام ثورتكم ولماذا تمت الثورة في التوقيت الذي حدثت فيه ... ؟

جواب: إذا لم تأت الثورة في وقتها المناسب فإنها لا تنجح. ولقد انتظرنا هذه الثورة منذ ثلاثمائة عام. ولو أنها حدثت من قبل لما تشتت الشعب الشيشاني في دول المنطقة الأخرى.

بدون الثورة وبالأسلوب الذي تمت فيه فإنه لا يمكن لنا أن نحصل على حقوقنا... وبدون الثورة فإن الشعب الشيشاني سيبقى مشرداً.

إن الثورة هي الطريق الذي هدانا إليه الله سبحانه وتعالى وقد سرنا عليه. أنها مسؤوليتنا التي كان لا بد أن نطلع بها من احل تهيئة الطريق أمام الأجيال القادمة كي تتمتع بحريتها.

سؤال: ما هو تصوركم لمستقبل جمهورية الشيشان انجوش .. شكل نظام الحكم الدائم .. ملامح الدستور.. طبيعة النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي ... ؟

جواب: أنا اعتقد أن أكثر شعب يعشق الحرية والديمقراطية هو الشعب الشيشاني . نحن في الأساس نتمتع بعادات ديمقراطية موروثة.

إن الطريق الذي سنتبعه في هذه الجمهورية هو الديمقراطية، وعدم التفرقة بين أي إنسان وآخر يعيش على أرضها، والمساواة التامة بين سكانها في الحقوق

والواجبات. ولقد عملنا على صياغة دستورنا من أحدث الدساتير العالمية، وإذا وجدنا مواد دستورية أكثر حداثة فإننا لن نتوانى عن الأخذ بها والعمل بموجبها.

ولقد عرضنا دستورنا الذي لم يصدر بعد على خبراء من الأمم المتحدة وخبراء عالميين من دول ليست أعضاء في الأمم المتحدة، شهدوا جميعهم بديمقراطية بنود الدستور. ونحن نستطيع أن نتحدى بدستورنا أي دستور آخر في العالم.

فيما يتعلق بالاقتصاد فإننا لن نتبع النظام الرأسمالي ولا النظام الاشتراكي . سنتبع النظام الذي يلائم الشعب والدولة .. سنأخذ كل ما هو حسن ويلبى احتياجاتنا من كل نظام.

بعض الأراضي يجب أن توزع على الشعب. بعض الأراضي لا تستطيع أن نوزعها على الشعب خشية أن يؤدي ذلك إلى إثارة الحساسيات بين أبناء الشعب. بعض المصانع التابعة للدولة يمكن أن تحول ملكيتها إلى الشعب غير أن مصانع أخرى لا يمكن أن تؤول ملكيتها في الوقت الراهن إلى القطاع الخاص. وهناك صناعات تحتاج إلى تطوير من خلال استقدام خبرات من دول أخرى في إطار التعاون بين الدول وإقامة المشاريع المشتركة.

غير أنه في نهاية المطاف يجب أن تؤول ملكية كافة وسائل الإنتاج إلى الشعب وتعتمد الدولة في دخلها على الضرائب.

سؤال: هل تعتزمون المطالبة باستعادة الرئيس السابق من موسكو ومحاكمته ؟

جواب: نحن نعتبر الرئيس السابق أخا لنا وليس من أخلاقنا أن نستعيده من أجل محاكمته. ثم أن الرئيس السابق ليس هو الملام الوحيد على أخطاء الماضي . أنها مسؤولية النظام الشيوعي.. ولو كانت هذه هي أخلاقنا لقدمنا للمحاكم الكثير من المسؤولين السابقين وليس الرئيس فقط.

أن أفضل أمر يمكن أن نفعله هو محاكمة النظام السابق كنظام من خلال معرفة الأضرار التي ألحقها بالشعب ومحاكمة هذه الأخطاء.

سؤال: ما هو موقفكم من الشيوعيين الشيشان ؟

جواب: أنا اعتبرهم مساكين لأنهم اصبحوا شيوعيين بالإكراه من قبل الدولة.

سؤال: هل تفكرون بالمطالبة باستعادة الأراضي الشيشانية التي تم ضمها في فترات سابقة إلى جمهوريات جورجيا وروسيا وأوسيتيا ... ؟

جواب: لن أفرط بمتر واحد من أراضي الشيشان. لن استولي على أراضي الغير لكني لن أسمح لأحد بأن يستولي على أراضينا.

ونحن لا نسمح لأحد أن تكون له أطماع في أراضي الشيشان.

سوف نستعيد أراضينا دون إراقة قطرة دم أو إطلاق رصاصة واحدة.

سؤال: هل تمت مفاتحة الجمهوريات المعنية بذلك ؟ ...

جواب: نعم.

سؤال: ما هي الجمهوريات التي تمت مفاتحتها ؟

جواب: الأوسيتيين جاءوا من تلقاء أنفسهم وعرضوا إرجاع أراضينا قبل أن نطلب منهم ذلك. لقد طلبوا منا أن نفصل بينهم وبين اخوتنا الانغوش وتعيد لهم أراضيهم. ولقد قبلت هذا العرض بشرطين.

الأول: أن تطلب اوسيتيا خروج القوات الروسية التي جاءت لمهاجمة جمهورية الشيشان من أراضيها.

الثاني: أن لا تسمح اوسيتيا للروس بالتدخل في المفاوضات بيننا.

وقد وافقوا على ذلك:

أن أساس الفتنة بين الانغوش والاوسيتيين هو تدخلات الروس، ولا تزال الأمور عالقة حتى الآن.

أننا نأمل أن تُحل كل هذه المشكلات سلمياً ودون إطلاق رصاصة واحدة أو إراقة أية دماء.

قبل يومين كان يوجد لدينا وفد اوسيتي أجرى محادثات هدفت إلى توحيد اقتصاد دول شمال القفقاس . وقد وقعنا اتفاقية بهذا الخصوص لقيت قبولاً حتى من قبل بعض المقاطعات الروسية.

ليس لنا مكان نذهب إليه غير هذه الأرض ونحن دعاة سلام وأخوة مع جميع الجيران. وبدون السلام والاخوة لن تكون علاقات شعوب المنطقة افضل مما هي عليه الآن.

لقد كانت الأطراف الأخرى في المنطقة قلقة من احتمال أن نبدأ ببيعهم النفط وفقاً للأسعار العالمية، ولكن هذه الدول إذا تعاملت معنا بأخوة ومحبة فإننا سنطبق معها نظرية الدول الأولى بالرعاية لدى تصدير النفط لها.

سؤال: ما هي خططكم للنهوض بالشعب الشيشاني واللحاق بركب الحضارة العالمية... ؟

جواب: في الوقت الحاضر فإني أعطي أهمية كبيرة لتثبيت اللغة والعادات الشيشانية .. إنني أريد من الشيشان أن يعودوا إلى لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ... أن لا يكونوا أقل من أي شعب من شعوب العالم تمسكاً باللغة والعادات والتقاليد.

سؤال: ما هي التغيرات التي حدثت منذ إعلان الاستقلال وتؤكد استقلالكم. خاصة الاستقلال الاقتصادي ... وماذا تم على صعيد الاعتراف العالمي...؟

جواب: لقد مضى على إعلان استقلالنا شهرين فقط تحقق خلالهما ما لم يحدث خلال ثلاثمائة عام.

حقنا في الاستقلال والتصرف بأرضنا وثرواتنا معروف . لقد حاول الروس أن يحولوا بيننا وبين هذه الحقوق ولجأوا إلى محاولة استخدام القوة مؤخراً لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق شيء.

إن استقلال جمهورية الشيشان حقيقة واقعة. لقد تمكنا خلال الشهرين الأخيرين من الخروج من الإمبراطورية الروسية.

قمنا بصياغة دستورنا وقوانيننا وهذه إنجازات غير قليلة.

على صعيد الاعتراف الدولي بنا فإنه توجد أربع دول جاهزة لإعلان الاعتراف باستقلال جمهورية الشيشان وإقامة علاقات دبلوماسية معها.

لقد وضعنا خلال الشهرين الماضيين ٦١ قانونا حديثاً لم تتمكن الإمبراطورية الروسية من وضع مثيل لها بعد . لقد انسحبت روسيا من الاتحاد السوفيتي بقوانينها القديمة و لم تتمكن بعد من سن قوانين جديدة.

ومن بين الجمهوريات التي انسحبت من الاتحاد السوفيتي فإننا الدولة الوحيدة التي عملت على وضع دستور جديد وقوانين جديدة منسجمة مع القانون الدولي. وهذا يعني أننا تقدمنا في هذا المجال وتكريس الاستقلال اكثر من الدول الأخرى التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي . وإن شاء الله فإننا سنواصل السير على هذا الطريق.

سؤال: هل تتوقعون حدوث مفاوضات مع روسيا للاعتراف باستقلالكم أم إنكم ترجحون إقدامها على محاولة عسكرية أخرى لإلغاء هذا الاستقلال..؟ وما هو القاسم المشترك الذي يمكنكم أن تتصوره بين الاستقلال الذي أعلنتموه والرفض الذي لقيه هذا الاستقلال من قبل روسيا؟

جواب: لو كان بإمكان الروس أن يقضوا على حركتنا ويستخدموا القوة ضدنا لما تقاعسوا عن ذلك. ولو كان بإمكانهم أن يحققوا شيئاً من خلال القوة لما انتظروا علينا حتى هذا اليوم.

انهم في الوقت الحالي غير قادرين على أن يلحقوا بنا أية مضايقات. ومن جهتنا فإننا لم نترك لهم أي طريق يلجأون إليه غير طريق الاعتراف والمفاوضات.

لو وصلت الأمور إلى حد خوض القتال فإن الروس لن ينتصروا. والشيشان منتشرون في كل مكان حتى داخل روسيا ذاتها. أن موسكو لا تستطيع أن تواجهنا في مائة جبهة معاً.

صحيح أن أرضهم واسعة وسلاحهم كثير لكن الذين يقابلوهم في هذه الحالة هم شباب مؤمن مصمم على حماية الاستقلال.

سؤال: إلى أي حد ينسجم إعلانكم للاستقلال مع بقاء رئيس شيشاني لبرلمان روسيا الاتحادية ..؟

جواب: كيفما كان الأمر فانه يظل شيشانياً منا وفينا .. لا مشكلة في ذلك.

سؤال: هل تفكرون بمطالبة روسيا بتعويضات تدفع للشعب الشيشاني عن سنوات النفي. ؟

جواب: نقوم الآن بتحضير الوثائق للمطالبة بالتعويضات . لقد كنا قبل الاحتلال الروسي أكثر الشعوب تمتعا بالراحة من بين الشعوب التي أُلحقت قسراً بالإمبراطورية الروسية التي عانينا على يديها كما لم يعان أي شعب أخر.

ولنا الآن خمسة مطالب:

أولاً: إعادة الاعتراف بالجمهورية الشيشانية التي كانت قائمة قبل عام ١٩٢١.

ثانياً: إعادة الروس لكل ما نهبوه من بلادنا خلال سنوات النفي الذي فرض على الشعب الشيشاني بأكمله في الفترة بين عامي ١٩٤٤و ١٩٥٧.

ثالثاً: نريد حصتنا من انتاج كافة المواد الأولية لروسيا الاتحادية طوال السنوات الماضية .. نريد حصتنا من ماس وذهب ونفط وما إلى ذلك.

رابعاً: نريد حصتنا من الأسلحة الروسية باعتبارنا كنا عضوا في روسيا الاتحادية.

خامساً: إذا تم طرد الشيشان من جمهورية قازاخستان فإننا نريد تعويضات عن ذلك، ويبلغ عدد الشيشان في قازاخستان خمسين ألف مواطن.

وأود أن ألفت النظر إلى واحد من التقاليد الشيشانية الأساسية وهو ذلك التقليد الذي يحول دون هروب الشيشاني من أية مواجهة ، ويجعله يفضل الموت على الهرب. إنني أريد أن أؤكد هنا أن صفة الهرب لا يمكن أن تلحق بأي شيشاني ولا لمرة واحدة. إن الشيشاني يموت مجاهداً ولا يهرب.

سؤال : يبدو أن هناك خلافا قديما مستعصياً بينكم وبين قازاخستان ربما يعود جانب منه إلى سنوات النفي. ألا تفكرون في كيفية تجاوز هذا الخلاف؟

جواب : من الممكن تجاوز هذا الخلاف ونحن مستعدون لذلك بالمحبة والسلام وليس بالاكراه ، إذا كان هناك من يفكر في إكراهنا على شيء فنحن أيضاً لدينا طرقنا التي يمكن أن نلجأ إليها في مثل هذه الحالة.

سؤال: هل فكرتم بإمكانية الدعوة إلى إقامة رابطة تجمع الجمهوريات الإسلامية التي كانت داخل إطار الاتحاد السوفيتي أو روسيا الاتحادية دون أن يتعارض ذلك بالضرورة مع الرابطة التي تجمع الآن بين الجمهوريات السوفيتية السابقة ... ؟

جواب: لدينا مثل هذه الفكرة. عندما أعلنت الجمهوريات السلافية الثلاث (روسيا الاتحادية، أوكرانيا، روسيا البيضاء) عن إجراء تنسيق فيما بينها، سارعت أنا إلى الدعوة لإقامة رابطة تجمع الجمهوريات الإسلامية.

فور أن أعلنت هذه الدعوة سارعت الجمهوريات السلافية إلى إعلان قبولها دخول قازاخستان إلى رابطة الكومنولث السوفيتي بعد أن كانوا يعارضون ذلك من قبل. كما وافقوا على ضم الجمهوريات السوفيتية الأخرى إلى هذه الرابطة.

أنا أدرك أن قازاخستان لم يكن بإمكانها أن لا تدخل في هذه الرابطة. غير أنه يوجد شباب مسلم في جمهوريات قازاخستان وأوزباكستان وأذربيجان وداغستان وغيرها وحتى في أفغانستان يدعو إلى إقامة رابطة إسلامية تجمع دول المنطقة.

أما بخصوص الرابطة التي تضم الآن إحدى عشر جمهورية سوفيتية سابقة فإني اعتقد أنه سينفرط عقدها من تلقاء نفسه حتى لو لم نقم نحن بالعمل على ذلك. الآن روسيا الاتحادية وأوكرانيا تجري بينهما مناوشات قد تصل إلى حد القتال، في حين أن علاقاتنا كجمهوريات إسلامية تتطور نحو الأفضل.

لقد جاءنا أناس من جمهورية داغستان وجمهورية أذربيجان وقالوا لنا قودونا وفقاً للطريقة التي ترونها مناسبة. لقد أبلغونا بوقوفهم إلى جانبنا واستعدادهم للوقوف معنا وحتى للانضمام إلينا.

من جهتي قلت لهؤلاء الاخوة : قوا أنفسكم واستقلالكم واعملوا على تقوية الاخوة والمحبة بين بلداننا.

بهذه الطريقة تكون العلاقات أقوى لأنني لا أريد أن استغل مجيء أنصار لنا من جمهوريات أخرى لتخريب العلاقات بين الجمهوريات الإسلامية.

سؤال: في حالة تجديد الدعوة إلى إقامة رابطة تجمع بين الجمهوريات الإسلامية، ما هو الموقف بين الجمهوريات الإسلامية، ما هو الموقف الذي تتوقعونه من رئيس قازاخستان نزار بابيف ...؟

جواب: نحن نستطيع إقناع الرئيس نزار بابيف بالموقف الذي نريده.

إني أفكر بالذهاب إلى الماآتا ومقابلة الرئيس نزار بابيف، باعتباره رئيس أول جمهورية إسلامية نووية . هل تنصحني بذلك ..؟

والواقع أن الأسلحة النووية الموجودة فوق أراضي قازاخستان ليست خاضعة للرئيس نزار بابيف .. أنها تحت سيطرة الروس وأود أن ألفت نظرك إلى أن ٦٠٪ من سكان قازاخستان في الوقت الحالي هم من الروس. إن الروس يسعون للعمل ضد الإسلام في قازاخستان كما يسعون لذلك أيضاً من خلال أرمينيا. ومن جهته فإن الرئيس نزار بابيف لا يعمل إطلاقاً من خلفية إسلامية.

سؤال: لماذا لم تتقدموا بطلب انضمام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ... ؟

جواب: لم نكن قد رتبنا أوضاعنا قبل انعقاد القمة الإسلامية الأخيرة في دكار لكننا شاركنا في المؤتمر الشعبي الإسلامي الذي عقد في بغداد. نحن ليس من عادتنا أن نطلب استضافتنا من قبل أي حد .. كان المفروض أن توجه لنا الدعوة لحضور مؤتمر دكار وعندما دعانا العراق لبينا دعوته.

سؤال: ولكن الدول هي التي تتقدم بطلبات انضمام للمنظمات الدولية والإقليمية .. كذلك فإن الكثير من الدول تتقدم من دول أخرى بطلبات للاعتراف بها.

جواب: لو تقدمنا بطلبات انضمام ومشاركة في كل مؤتمر لقال البعض عنا إننا نحب الظهور. ثم لماذا احضر مؤتمراً إذا لم يكن بإمكاني أن أحقق شيئاً من خلال هذا المؤتمر. إننا إذا حضرنا مؤتمراً يجب أن يكون لنا دوراً فاعلاً فيه لا أن نكون مجرد صورة فقط.

سؤال: ما هو حجم القوات المسلحة والأسلحة التي خرجتم بها من روسيا الاتحادية؟

جواب: ما كان يقع داخل أراضينا فهو لنا وإذا لم يكفنا نأخذ أكثر.

سؤال: ما هي وسيلة الأخذ .... ؟

جواب: يحاول الروس أن يخرجوا بعض الأسلحة من بلادنا لكنهم لم يتمكنوا.

سؤال: هل أجريتم اتصالات مع دول غربية أو إسلامية بشكل مباشر أو غير مباشر وعن ماذا أسفرت ... ؟

جواب: لقد أجرينا اتصالات مع تركيا وإيران وباكستان وأميركا وإنجلترا وألمانيا.

سؤال: علمت إنكم بعثتم برسالة إلى الرئيس بوش ... ما هو مضمونها...؟

جواب: طلبت من الرئيس بوش حين يتكلم مع الحكومة الروسية أن يتكلم معهم أيضاً عن قضيتنا وأن يتفهموها. وبالمناسبة يوجد الآن في بلادنا دبلوماسي من السفارة الأمريكية في موسكو وآخر من السفارة النمساوية بهدف تفهم الوضع وتقدير الموقف.

سؤال: كيف تقيمون قبول سمو الأمير الحسن ولي عهد الأردن للرئاسة الفخرية لجمعية أصدقاء جمهورية الشيشان أنغوش ... ؟

جواب: لقد أعجبت وسررت جداً بذلك. وكيف لا أسعد والشيشان في الأردن قد لقوا الحماية والرعاية منذ وصولهم إلى هناك ثم ها هو ولي عهد الأردن يتفهم الآن قضيتنا إن هذا يدل على انه يحترم قومنا.

سؤال: في الوقت الذي تطرحون فيه استقلالكم على المجتمع الدولي للاعتراف ببلادكم نود أن نعرف موقفكم من القضايا العربية الرئيسية... بداية موقفكم من كفاح الشعب الفلسطيني لدحر الاحتلال الصهيوني والتوصل إلى حل عادل للقضية الفلسطينية؟

جواب: يزعجنا جداً ما تعرض له الفلسطينيون من احتلال لأراضيهم وإخراجهم منها وكذلك احتلال بعض الأراضي السورية.

مهما تكن الخلافات القائمة بين العرب فان الاحتلال الإسرائيلي كان يجب أن يجمعهم لمواجهته والعمل على تحرير أراضيهم.

قد يختلف أخوين يعيشان في منزل واحد ولكنهما يتفقان فوراً إذا واجههما خطر مشترك.

لن يعم السلام إذا لم ترجع الأرض التي منحها ا لله للشعب الفلسطيني إليه. إن ا لله يعلم لمن أعطى هذه الأرض ... لأي شعب .. إن ا لله يعطي الأرض للإنسان كما

يعطيه الروح. وبالتالي فان احتلال اليهود لأرض فلسطين هو مقاومة وتحد لإرادة اللّه.

ومهما طال الزمن لا بد أن يعود الحق لأصحابه.

سؤال: ما هو موقفكم من كفاح الشعب العراقي لرفع الحظر الاقتصادي؟

جواب: إنني أشعر بالظلم الفادح للحصار غير العادل وغير الإنساني المفروض على الشعب العراقي.

إن العدوان الغربي الأمريكي على العراق جرى الاستعداد له منذ وقت طويل جداً وهو ليس الأمر الآني. عندما تم التفاهم الأمريكي – الروسي كان لابد من أيكال مهمة جديدة للقوات الأمريكية التي كانت ترابط في دول أوروبا الغربية. وكانت هذه المهمة هي السيطرة المباشرة على منابع النفط والقضاء على القوة التي بناها صدام حسين ونشر الفتن بين العرب أنفسهم.

سؤال: هل تتوقعون تواطؤاً أوروبياً أمريكياً روسياً لنزع الأسلحة النووية من قازاخستان؟

الأسلحة النووية الموجودة في قازاخستان كما ذكرت لك سابقاً هي تحت سيطرة الروس . وإذا أراد الروس سحب هذه الأسلحة فان الأمر لا يحتاج إلى أي تحرك دولي خاصة وان قازاخستان لا تملك القوة الكافية لمنع روسيا من سحب هذه الأسلحة.

سؤال: ما هو مستقبل العلاقات بين جمهورية الشيشان وجورجيا بعد سقوط الرئيس جيمسي خورديا ...؟

جواب: إذا تولى أناس آخرون السلطة في جورجيا فإننا يجب أن نعرف من الذين يحركونهم وسنعرف كيف يمكن أن نتعامل معهم في ضوء سلوكهم اتجاهنا.

الشعب الجورجي يحب الشعب الشيشاني وتوجد بين الشعبين أواصر اخوة تاريخية وثيقة.

حتى لو عادانا النظام الجديد في جورجيا وهو الأمر الذي نـأمل أن لا يحـدث، فإننا سنعمل على إحلال الوفاق والتنسيق والتعاون مع الشعب الجورجي الـذي تربطنـا به علاقات صداقة قوية.

سؤال: الحركة التي استهدفت الرئيس جيمسي خورديا هل تجعلكم تفكرون في إمكانية عمل الروس على تدبير حركة مماثلة في جمهورية الشيشان...؟

جواب: لـو تركنـا لهـم المجال لفعلوهـا . ألم يرسـلوا الجيـش الروسـي للقضـاء علـى استقلالنا، وها نحن نقاومهم منذ عام كامل. أنهم بعد أن انسحب جيشهم يرسلون لنـا الآن المتآمرين بهـدف القيـام بعمليات تخريـب وتجسـس ولكننـا نلقـي القبـض عليهـم ونعيدهم إلى روسيا.

مقابلة مع رئيس البرلمان حسين احمدوف

وأما رئيس برلمان الجمهورية حسين احمدوف فقال في معرض حديثه " الوضـع الاقتصادي في بلادنا واضح ولا يحتاج إلى حديث ... ليس هناك في وضعنـا الاقتصادي الحالي ما يمكن أن نعتز به. وهذا ما يرافق كل ثورة في العالم. قبل الثورة كـانت هنـاك علاقات تجارية مع الجمهوريات المجاورة ومع روسيا. وهـو الأمـر الـذي توقـف الآن بانتظار تبلور الأمور ".

وفيما يلي إجابته على بعض الأسئلة التي وجهها الصحفـي . ومـع أن حسـين احمدوف كان يشغل مركز رئيس برلمان الجمهورية، إلا أن حوار الصحفـي معـه كـان حول الوضع الاقتصادي في الجمهورية الفتية اكثر من القضايا التشريعية.

سؤال: هل هنالك حظر اقتصادي مفروض عليكم من قبل الروس ...؟

جواب: روسيا تعاني من الجوع أكثر منا وليس لديها ما يمكن أن تمنعه عنا. الأوضـاع الاقتصادية والمعيشية السائدة في جمهوريـات الاتحـاد السـوفيتي السـابق معروفـة في كـل مكان وهي خارجة عن سلطة الحكومة الروسية. فمن لديه سلعة يريـد أن يبيعهـا كـي يحصل على النقود.

سؤال: أتريد القول أن هناك حظراً رسمياً غير ملتزم به ...؟

جواب: نعم. لقد أعلنت روسيا الحظر بهدف إرهاب الشيشـان وإظهـار هيبتهـا فقـط ولكنه لا يوجد شيء لدى روسيا يمكن أن تبعث به إلينا ... أنه حظر وهمي فقط.

سؤال: علمنا أن الكثير من المصانع في جمهوريـة الشيشـان متوقفـة أيضـاً .. كـم عـدد المصانع المتوقفة عن العمل وما هو العدد الإجمالي للمصانع في بلادكم ؟ وما هي طبيعـة إنتاجها؟

جواب: لا توجد لدينا مصانع متوقفة عن العمل. توجد في بلادنا اكثر من مائة مصنـع متعـددة الأحجـام مـن بينهـا مصنـع للحديـد والصلـب ومصفاتـان للبـترول ومصـانع بتروكيماوية وغيرها.

سؤال: ما هو تقديركم للحجم الكلي السنوي للإنتاج الوطني ؟؟

جواب: أولا أود أن أنوه إلى إن المصانع الموجودة في جمهورية الشيشان هي من المصانع الكبيرة المعروفة في الاتحاد السوفيتي، غير أنه ليس بالإمكـان إعطـاء أرقـام لإنتـاج هـذه المصانع نظراً لعدم استقرار سعر صرف الروبل في الوقت الحالي. ومع هـذا يمكـن لي أن أؤكد أن حجم السلع المصنعة التي صدرت من المصـانع الموجـودة في أراضـي جمهوريـة الشيشان إلى الجمهوريات السوفيتية الأخرى يساوي ثلاثة أضعاف ما صـدر مـن هـذه الجمهوريات إلى جمهورية الشيشان.

سـؤال: هـل وضعتـم مشـروع ميزانيـة عامـة للدولـة بعـد إعـلان الاسـتقلال أم ليـس بعد..؟

جواب: الدراسة قائمة من اجل إعداد الميزانية غير أننا سنتريث في إعلانها لحين تشكيل الوزارة. نحن الآن قائمين بأعمال الوزراء فقط.

سؤال: هل توجد في ذهنك أرقاماً تقريبية لمعدلات الإنفاق العام والدخل القومي ...؟

جواب: بلغت أرقام الدخل بميزانية العام الماضي مليار روبل ويفـترض أن تزيـد ميزانيـة العام الحالي عشرين ضعفاً على الأقل نظراً لانخفاض سعر صرف الروبل بذات المقـدار. والواقع أن مقدار الدخل القومي الحقيقـي يجـب أن يكـون عشـرة مليـارات روبـل لان كمية الإنتاج الذي كان يأخذه الـروس مـن جمهوريـة الشيشـان أكـثر بكثـير ممـا كـان

يستهلك محلياً. ولو كنا نبيع ما يأخذه الروس لدول أخرى لارتفع حجم الدخل القومي في الميزانية بشكل كبير.

منذ قيام الدولة السوفيتية وحتى الآن لا توجد أرقاماً حقيقية عن حجم الدخل القومي أو الإنفاق العام. وهذا ما أثبته العلماء.. كل الأرقام التي كانت تسجل من قبل الروس كانت ملفقة وقد اكتشف البرلمان وجود تلاعب كبير جداً في الإحصاءات السوفيتية وبأرقام خيالية فيما يخص كافة الجمهوريات بما في ذلك جمهورية روسيا ذاتها. ولذلك فإنه لا توجد الآن على الإطلاق أرقاماً حقيقية عن حجم الإنتاج أو الدخل لأي من الجمهوريات السوفيتية.

سؤال: ما هو الهدف من هذا التلاعب بالأرقام ...؟

جواب: كانت السلطة بيد الشيوعيين الذين كانوا يتلاعبون بالأرقام كيفما يحلو لهم. لقد كان الشيوعيون فقط هم الذين يعيشون في مستوى معيشي جيد من دون سائر أبناء الشعوب السوفيتية وذلك بفضل السرقة.

يوجد الآن في البنك المركزي الروسي أربعة ملايين دولار لحساب جمهورية الشيشان هي كل ما أمكن موسكو حجزه فقط.

سؤال: هل تعتزمون مطالبة روسيا بفروقات أسعار عن السلع التي كانت تصدر لها في السنوات السابقة دون أن تدفع أسعاراً مجزية لها ...؟

جواب: منذ إعلان الاستقلال وحتى الآن فان جميع المراسلات التي تمت مع موسكو انحصرت موضوعاتها في بحث مبدأ اللقاء وجدول أعمال المفاوضات. في الفترة الأخيرة اتفقنا رسمياً على الالتقاء في كييف عاصمة أوكرانيا. لم يحدد تاريخ لعقد اللقاء لكنه في اعتقادي قريب جداً . ومن بين أوراق العمل المقدمة من جانبنا لهذا اللقاء المطالبة بفروق الأسعار عن السلع التي كانت تصدر من جمهورية الشيشان.

سؤال: هل لديكم أرقاماً تقديرية لمطالباتكم؟

جواب: لا توجد أرقاماً محددة، إننا إذا أردنا أن نحسب بدقة حجم مطالباتنا فإن روسيا لا تستطيع الوفاء بها خلال مائة سنة لأنها واصلت عملية الشراء بأسعار بخسة طوال أربعمائة سنة.

سؤال: ما هو حجم إنتاجكم النفطي في الوقت الحالي ...؟

جواب: كان يتراوح حجم إنتاجنا النفطي بين ٢٥ و ٢٧ مليون طن سنوياً، الآن خفضنا إنتاجنا إلى ما بين ٤ و ٥ ملايين طن في السنة.

سؤال: هل توجد لديكم حقول لإنتاج الغاز الطبيعي إلى جانب الغاز المصاحب للنفط؟

جواب: لدينا النوعين الغاز المصاحب وحقول الغاز .

سؤال: كم تبلغ كميات الإنتاج وحجم المخزون ؟

جواب: لا توجد لدينا أرقام.

سؤال: بشكل عام هل توجد لديكم خبرات كافية في إنتاج النفط أم إنكم تحتاجون إلى خبرات أجنبية؟

جواب: الخبراء الشيشان كانوا يرسلون في السابق للاستفادة من خبراتهم في أذربيجان وسيبيريا وسوريا والجزائر واليمن والعراق.

ونستطيع القول انهم خبراء جيدين غير إننا في حاجة إلى خبراء في التكنولوجيا الحديثة المماثلة لما هو موجود في الولايات المتحدة واليابان.

سؤال: المصانع الموجودة في جمهورية الشيشان هل يقوم بشتغيلها خبراء شيشان أم روس ومن قوميات أخرى ..؟

جواب: لم يكن مسموحاً للشيشان بتولي إدارات المصانع. لذلك فإنه وحتى الآن لا تزال نسبة الروس هي الأعلى من بين المسؤولين عن المصانع.

الآن وبعد الثورة فإننا نعمل على تأهيل عناصر شيشانية لتولي إدارة المصانع وقد اسندت بعض المناصب لهم.

سؤال: إذن فما هو حجم الضغط الاقتصادي الذي يمكن أن تشكله روسيا إذا سحبت خبرائها من مصانعكم ...؟

جواب: لا يوجد مثل هذا الاحتمال ونحن من جانبنا لا نريد مغادرة الخبراء الروس لعدم وجود خبراء بديلين لهم.

والخبراء الروس لن يتركوا العمل في مصانعنا لأنهم لن يحصلوا في روسيا على المستوى المعيشي الذي يتمتعون به هنا خاصة وأنه لا توجد لهم وظائف في روسيا.

الخبراء الروس في جمهورية الشيشان توفر لهم المساكن والسيارات وغيرها.

كما أن الوضع المعيشي في بلادنا أفضل من الوضع المعيشي في روسيا.

سؤال: ما هو تصوركم لمستقبل العلاقات الاقتصادية والتجارية بين بلادكم والدول العربية والإسلامية ..؟

جواب: نحن لن نكون عائقاً أمام نمو العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الدول العربية والإسلامية. بالعكس كان بإمكان هذه الدول أن تستغل الفرصة وتبادر هي إلى إقامة العلاقات التجارية معنا.

حتى الآن فان الموقف الذي نعرفه لهذه الدول هو رغبتها في انتظار معرفة ما إذا كانت روسيا تريد الاعتراف باستقلالنا أم لا. كان بإمكان هذه الدول أن تجد طريقة للتعامل معنا ومع الجمهوريات الإسلامية الأخرى حتى لو لم تعترف بنا.

سؤال: الانطباع السائد عن كافة الصناعات السوفيتية إنها لم تكن في مثل جودة الصناعات اليابانية والغربية خاصة لجهة الشكل و " الفينشنغ ".. هل يوجد اتجاه لديكم لعقد اتفاقات مع المصانع اليابانية والغربية لتحسين الصناعات الشيشانية كي تصبح هنالك إمكانية للتسويق في بلدان العالم ..؟

جواب: فكرنا في ذلك. ونحن ميالون إلى جعل صناعاتنا مماثلة للصناعات اليابانية. وسنعمل كل جهدنا من اجل أن تصبح صناعاتنا منافسة للصناعات الأخرى من حيث الشكل والفاعلية. وسنسعى لعقد اتفاقات مع المؤسسات اليابانية لهذا الغرض غير أن الاتصالات لم تبدأ بعد.

سؤال: هل ستمنحون جنسية جمهورية الشيشان لمن يبقى لديكم من الروس...؟

جواب: لقد أصدرت فعلاً مثل هذا القرار الذي ينص على منح الجنسية الشيشانية لكل مواطن يرغب في العيش فوق ارض هذه الجمهورية.

مقابلة مع وزير الخارجية شامل أمين بينو

وأما وزير الخارجية شامل أمين بينو (ابن شقيق مؤلف هذا الكتاب) فيصفه الصحفي " صاحب لسان عربي ... وصاحب عقل وقلب عربيين أيضاً " إذ غادر الأردن عام ١٩٧٠ وعمره ١٢ عاماً ويحمل جنسية مزدوجة (أردنية وشيشانية) .

تلقي الدراسة الابتدائية في الأردن، واكمل الدراسات الإعدادية والثانوية والجامعية في غروزني قبل أن يلتحق بجامعة موسكو لإتمام دراساته العليا.

ويقول الصحفي الجوهري بأن وزير الخارجية الشاب يترجم نفسه في ورقة العمل التي يريد أن يحملها إلى المفاوضات المرتقبة مع الروس. إنها تتضمن بنداً رئيسياً هو اعتراف روسيا باستقلال بلاده. فان فعلت فانه يمكن الاتفاق على انخراط جمهورية الشيشان في رابطة الدول المستقلة ذات السيادة التي حلت محل الاتحاد السوفيتي، وكذلك تنسيق قضايا الجمارك وشبكات الطريق والسكك والطاقة والكهرباء بين بلاده وروسيا. ويضع الوزير في مقدمة سياسته الخارجية العلاقات مع روسيا أولاً، ثم جمهوريات القوقاز المجاورة.

وفيما يلي إجابته على بعض أسئلة الصحفي:-

سؤال: لماذا تم اختيارك لوزارة الخارجية.. هل هنالك توقعات بأن تكون إقامتك السابقة في الأردن عاملاً مساعداً يؤدي إلى انفتاح في العلاقات بين جمهورية الشيشان والدول العربية ؟

جواب: يمكن .. وعلى العموم فان هذا السؤال من الأفضل أن يوجه إلى سيادة الرئيس جوهر دودايف. من جهتي فإني اعتقد أن الرئيس يفضل أن يحيط نفسه بمساعدين يصدقونه القول دون أن تتطابق آرائهم السياسية مع آرائه بالضرورة.

أنا اعتقد أن سبب اختياري يعود إلى نظرتي إلى السياسة الخارجية للبلاد بما فيها نظرتي للعلاقات مع الدول العربية.

سؤال: هل نستنتج من ذلك وجود تباين في وجهات النظر إزاء السياسة الخارجية بينك وبين الرئيس ..؟

جواب : لا يوجد تباين؟

سؤال: ما هي وجهة نظرك إزاء السياسة الخارجية لجمهورية الشيشان ؟

جواب: ابتداء فان علاقاتنا الخارجية مع جمهورية روسيا الاتحادية يجب أن تكون ممتازة. وأنا أفضل أسلوب التباحث المباشر مع الأطراف الأخرى.

علاقاتنا مع جمهورية روسيا الاتحادية وجمهوريات القفقاس هي الأهم في علاقاتنا الخارجية.

هذا الاتجاه دفعني إلى معارضة اتجاه برز هنا يدعو إلى تدخل جمهورية الشيشان عسكرياً في أحداث جورجيا الأخيرة. وسياستنا الحالية إزاء ما يجري في جورجيا هي عدم التدخل والاتصال مع الطرفين.

هنا لابد من الإشارة إلى أهمية العلاقات مع الأردن. وهذه بالفعل واحدة من أسباب اختياري وزيراً للخارجية. في الأردن توجد جالية شيشانية كبيرة. وأنا كنت مواطناً أردنياً في يوم من الأيام ولا أزال احمل جواز السفر الأردني لـلان إلى جانب جواز السفر الآخر. الأردن وفرالامكانية للشيشان للحفاظ على لغتهم وعاداتهم. كان لهم وزن معين في السياسة داخل الأردن.

جمهورية الشيشان يجب أن تكون من وجهة نظري عضواً في رابطة الجمهوريات المستقلة الذي يضم الدول الأعضاء في الاتحاد السوفيتي السابق باعتبارنا دولة مستقلة ذات سيادة.

سؤال: ما هي النقاط والقضايا التي سيشتمل عليها ملف المفاوضات الذي ستحملونه معكم إلى كييف حيث ترجح أن تعقد المفاوضات في عاصمة أوكرانيا؟

جواب : النقطة الأولى والوحيدة هي الاعتراف باستقلال جمهورية الشيشان. وإذا وجدنا الاستعداد لهذا الاعتراف فانه يمكن أن تشمل المفاوضات بعد ذلك كافة المجالات التي تتعلق بعلاقاتنا الاقتصادية أولاً ثم السياسة.

أما بالنسبة لقفقاسيا فإنها كانت مركز الصراع بين الشمال والجنوب.. روسيا من جهة وتركيا وإيران من الجهة الأخرى. ولذلك فإننا نرى أن تتحول منطقة القفقاس إلى مركز قوة يمكن من خلاله الاتصال مع الشمال والجنوب.

إذا القينا نظرة إلى الخارطة نتبين أهمية الموقع الجغرافي لمنطقة القفقاس. ومن جهة أخرى فان هذه المنطقة تشهد تمازجاً بين حضارات متنوعة. يوجد شيعة في أذربيجان وسنة في شمال القفقاس .... ومسيحيون في الجنوب.

حضارياً نحن مؤهلون لان نكون مركز تفاعل ولقاء بين الحضارتين الغربية والشرقية. المجتمع الشيشاني كمثال هو مجتمع إسلامي من الناحية الحضارية غير أن سيكلوجيتيه اقرب إلى ديناميكية المجتمع الغربي وبالذات المجتمع الأمريكي. نحن مجتمع ديناميكي لا مجتمعا اتكالياً نحن شعب (أكشن) نتوكل على ا لله ثم نتحرك.

سؤال: نفهم من حديثك أنكم تقرون كافة الشروط التي يمكن أن تضعها موسكو من اجل اعترفها باستقلالكم ..؟

جواب: بطبيعة الحال . نحن نعترف أن روسيا دولة عظمى مقارنة بجمهوريتنا وان لها مصالح. وإذا أردنا أن نؤسس دولة يجب أن نكون واقعيين.

الواقع يقول أن لروسيا مصالح ومن الممكن أن تكون لها مصالح في منطقة القفقاس. وفي ذات الوقت فأنه توجد مصالح لشعوب القفقاس في روسيا الجنوبية.

سؤال: إذن فإنكم تريدون انتهاج سياسة براغماتية ..؟

جواب: بالضبط.

سؤال: كيف تنتظرون إلى التنافس التركي الإيراني على توطيد العلاقات مع جمهوريات القفقاس على أمل أن تتمكن كل دولة من الدولتين من استعادة أمجاد الماضي .. الإيرانيون يفكرون في بعث أمجاد الدولة الصفوية التي كانت تحكم يوماً بعضا من جمهوريات القفقاس وكذلك تركيا تفكر في بعث أمجاد الخلافة العثمانية التي كانت تحكم دولاً قفقاسية أخرى؟

جواب: بالنسبة لإيران فإن إمكانياتها السياسية في القفقاس ضئيلة جداً لأنها لم يكن لها تأثير في دول المنطقة باستثناء أذربيجان أما تركيا فقد كان لها تأثير في أرمينيا وجورجيا وشمال القفقاس.

من جهة أخرى فإن إمكانيات تركيا الآن اكبر من إمكانيات إيران بكثير. قد يختلف الوضع بعد عدة سنوات غير إني أتحدث عن الواقع الراهن.

سؤال: عن أية إمكانيات تتحدث السياسة أم الاقتصادية؟

جواب: اقتصادياً وسياسياً.

طرق المواصلات بين شمال القفقاس وتركيا اسهل. ثم إن تركيا دولة علمانية وبالتالي فان سياستها في شمال القفقاس لن تجد رد فعل سلبياً من قبل الولايات المتحدة أو الدول الغربية الأخرى أو من روسيا.

ومن الناحية الاقتصادية فان تركيا اكثر تقدماً من إيران ... على الأخص في النواحي الاقتصادية التي تهمنا نحن مثل الصناعات الخفيفة والمتوسطة.

أما إذا تحدثنا عن النفط فان دور إيران يمكن أن يكون اكبر من دور تركيا. وقد تساهم القدرات الإيرانية في تطوير المنشآت النفطية في أذربيجان وفي غروزني أيضاً في المستقبل.

سؤال: هل بادر الأتراك إلى الاتصال بكم ... ؟

جواب: نعم لقد بادروا.

سؤال: إلى أين وصلت الاتصالات مع الأتراك؟

جواب: كانت الاتصالات مع تركيا قائمة وبشكل ممتاز حتى قبل أن نعلن استقلالنا. كذلك فإن علاقاتنا الاقتصادية مع تركيا كانت ممتازة ... وكان لتركيا نشاط سياسي في القفقاس منذ ما قبل البيروسترويكا.

سؤال: بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يبدو أن الفرصة باتت مواتية لتركيا كي تملأ الفراغ الاقتصادي في جنوب الإمبراطورية المنهارة .. بل في اعتقادي أن الفراغ الاقتصادي كان قائماً حتى في ظل وجود الاتحاد السوفيتي .. إلى أي حد هذه النظرة الصحيحة ؟

جواب: هذه نظرة صحيحة من حيث الواقع. غير أنه يجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً أن شعوب القفقاس كانت أنشط اقتصادياً من شعوب أسيا الوسطى أو روسيا... ولهذا فإنه قد تكون المنطقة مجالاً حيوياً للنشاط الاقتصادي التركي دون أن يعني ذلك بالضرورة إنها تمثل منطقة فراغ اقتصادي. نحن توجد لدينا مصانع وشركات منتجة وفي رأيي أنه إذا صحت الأمور السياسية في دول القفقاس فإن الغلبة في التنافس الاقتصادي ستكون لها وليس لتركيا.

سؤال: تعني فيما يخص الميزان التجاري ... ؟

جواب: الميزان التجاري والنشاط الاقتصادي.. نحن لدينا إمكانيات لترويج إنتاجنا في السوق التركي.

سؤال: ما هي السلع التي يمكن أن تصدروها لتركيا...؟

جواب: مشتقات النفط والمواد الزراعية.. القفقاس كانت من أخصب مناطق روسيا.

سؤال: هل يوجد علماء نوويين شيشان تحديداً ...؟

جواب: لم اهتم بالأمر لكنه لا بد من وجودهم لأنهم عملوا في مجال تصنيع الصواريخ. وجمهورية الشيشان كانت مركز تصنيع وقود الصواريخ النووية السوفيتية.

يوجد لدينا اختصاصيون. ونحن حتى الآن لم نجمع الخبراء الشيشان من كل أنحاء روسيا. داخل روسيا الاتحادية يقيم الآن حوالي مائتي ألف شيشاني يعملون ويعيشون هناك. ونعتزم أن نعد كشوفاً بأسماء وعناوين هؤلاء وطبيعة عملهم من اجل الاستفادة منهم في إنشاء الدولة المستقلة.

مدير جامعة غروزني الآن هو شيشاني ، عمل طوال عمره في جامعة موسكو وهو العالم المعروف محيي الدين اسرائيلوف.

سؤال: هنالك تصوراً بأن المستقبل سيشهد تنافساً تركياً روسياً كبيراً في منطقة القفقاس.. في ضوء علاقاتكم السابقة مع روسيا التي تعتزمون استمرارها ... من تعتقدون أن علاقتكم الاقتصادية الاقتصادية معه ستكون أقوى ... تركيا أم روسيا...؟

جواب: نحن نرى روسيا سوقاً تجارياً لا غير .

سؤال: سوقاً لمنتوجاتكم.

جواب: نعم وكسوق لاستيراد المواشي منها . من ناحية تركيا فان علاقاتنا التجارية معها ستكون اكثر ديناميكية.

الصراع الاقتصادي الروسي التركي سيكون من وجهة نظري لمصلحة تركيا خاصة في جنوب القفقاس وبعض الجمهوريات في جنوب القفقاس. وتوجد اتفاقات اقتصادية تربطنا مع تركيا في الوقت الحاضر.

على كل فان الصراع لن يكون بين تركيا وروسيا فقط. وإنما مع أوكرانيا أيضاً التي تعتبر طاقة اقتصادية كبيرة. أن أوكرانيا ليست أصغر من روسيا اقتصاديا. وان كانت أقل منها مساحة ومن حيث عدد السكان.

سؤال: أين موقع العالم العربي في استراتيجيتكم السياسية والاقتصادية؟

جواب: في الوقت الحالي فإنه لا يوجد أي تأثير للعالم العربي على الوضع في الاتحاد السوفيتي بشكل عام. وفي جمهوريات القفقاس بشكل خاص.

بالطبع توجد لدى الدول العربية إمكانيات اقتصادية لكنها تضع في اعتبارها الأول السياسة الأمريكية والأوروبية التي تدافع عن مصالح العالم الإسلامي في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

الأطراف العربية التي لها نشاط سياسي الآن في منطقة القفقاس وروسيا هي فقط العراق وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية . أما الدول الخليجية التي لديها إمكانيات استثمارية كبيرة فان سياستها تجاه جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق تأخذ في اعتبارها الأول السياسة الأمريكية والأوروبية.

الفلسطينيون فقط طلبوا فتح مركز ثقافي فلسطيني في غروزني وغيرهم لم يأتنا أي عربي.

سؤال: هل تم الاتفاق على فتح هذا المركز؟

جواب: لقد وقعت فوراً قراراً بالموافقة ودون تفكير.

سؤال: متى سيتم افتتاح المركز ؟

جواب: المسألة مرتبطة بالإجراءات وقد كتبت رسالة إلى سفير دولة فلسطين وأبديت الاستعداد لتوفير مقر لهذا المركز. نحن مستعدون لإقامة علاقات مع أي دولة عربية أو إسلامية. أن نمارس علاقاتنا سياسياً وثقافياً واقتصاديا. لكني لا اعتقد بوجود اتجاه لدى الدول الإسلامية وخاصة العربية لممارسة سياسة نشطة في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية.

وللأسف فان النشاط السياسي العربي الآن تراجع عما كان عليه في الستينات والسبعينات.

سؤال: بالمناسبة علمت أنك كنت تعد رسالة دكتوراه عن القضية الفلسطينية. أين وصلت؟

جواب: تقريباً وصلت الرسالة إلى نهايتها لكني لم أتمكن من مناقشتها التي كانت مقررة في شهر ديسمبر الماضي وذلك بسبب وفاة ليزا الصديقة والزوجة. لذلك فقد طلبت إجازة من الجامعة لمدة سنة.

سؤال: هل تقدم لنا فكرة عن الملامح الأساسية لرسالة الدكتوراه ..؟

جواب: الواقع أن الرسالة ليست عن القضية الفلسطينية بشكل عام لكنها عن تطور المجتمع الفلسطيني وآرائه السياسية في الأردن من تأييد الحل العسكري إلى تأييد الحل السلمي للقضية الفلسطينية.

الفلسطينيون في الأردن تحولوا عن الصراع من اجل تحرير الأرض إلى الصراع من اجل العيش.

سؤال: يفهم من ذلك أنك ضد عملية التحول هذه ..؟

جواب: كنت ضدها فعلاً لكن الواقع السياسي الحالي تغير. الناصرية والتعصب القومي التقدمي الذي كان سائداً في الستينات والسبعينات لم يعد قائماً الآن. أنا لا أتحدث عن مفاهيم اليسار واليمين. إنما عن آمال وتطلعات الشعوب.

أنا اعتقد أن أي شعب كالشعب الشيشاني أو الفلسطيني يجب أن تكون لديه دولة مستقلة حتى يتقدم. منظمة التحرير حتى في حالة حدوث مفاوضات بينها وبين إسرائيل فإنها لا تستطيع الدفاع عن مصالح الشعب الفلسطيني لأنها لا تملك مقومات الدولة.

سؤال: نستطيع أن نستشف أنك كنت على علاقات جيدة مع منظمة التحرير أو بعض فصائلها ..؟

جواب: نعم وذلك أثناء فترة تواجدي في موسكو .. كانت علاقات صداقة مبنية على التفاهم والتباين في الآراء.

سؤال: التباين حول ماذا ..؟

جواب: حول مشكلة فلسطين ومشاكل العالم الإسلامي والعربي.

سؤال: ماذا كانت وجهة نظرك ..؟

جواب: أنا أرى أن الصراع في العالم حاليا هو أساسا بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية البروتستنتينية لأن العالم الغربي وأمريكا بالذات يسودها الآن المذهب البروتستنتي ونظرته في التعامل مع الشعوب الأخرى. وإذا دققنا النظر نجد أن المذهب البروتستنتي يسود الآن في الدول الغربية الأكثر تقدما وقوة وتأثيرا في صنع القرار الدولي وليس المذهب الكاثوليكي.

سؤال: ربما لو لم تكن شيشانيا كانت تخضع بلادك للاحتلال الروسي لكنت تقدميا وماركسيا ..

جواب: ماركسيا .. لا .. هذا غير ممكن.

سؤال: على الأقل لما فكرت دينيا في فهم السياسة الدولية ..

جواب: أنا لست ماركسيا كما أني لست فقيها .. أنا مسلم عادي تفكيري السياسي ناتج عن تبادل الأفكار مع أصدقائي أثناء فترة الدراسة في موسكو وفي جمهورية الشيشان وهو ناجم عن الواقع السياسي القائم في العالم.

أنا أرى أن انتصار البروتستانت كحضارة في أوروبا الغربية وأوروبا مهد لها الطريق للانتصار في المواجهات الدولية .. والمعني بحضارة البروتستنت هي حضارة الإنتاج التي انطلقت من فلسفة تقول أن قيمة الإنسان تكمن في إنتاجه والدعوة إلى إقامة الجنة على الأرض. لكن هذه الحضارة وصلت الآن إلى مرحلة الإنتاج من أجل الإنتاج والاستهلاك.

سؤال: وبهذا فإنهم أقاموا الجنة في مكان وجهنم في مكان آخر فوق الكرة الأرضية ..

جواب: اتفقنا .. هذا ما أريد الوصول إليه.

في الحضارة الإسلامية تجد أن القيم السائدة هي القيم الروحية غير المادية.

سؤال: دعنا ننتقل إلى مسألة الهيمنة الأمريكية البروتستنتينية على العالم .. هل تقرون بها كجمهورية الشيشان وتتعاملوا معها كأمر واقع ..؟

جواب: بطبيعة الحال. نحن ننتهج سياسة براغماتية.

سؤال: هل هنالك ما لم أسألك عنه وتود الحديث فيه ..؟

جواب: أريد أن أقول أني أرغب في رؤية السياسة الخارجية للدول العربية وقد أصبحت أكثر التزاما بالقضايا والمصالح العربية والإسلامية من التزامها بمصالح الغرب أو روسيا الاتحادية.

مقابلة مع القائم بأعمال وزير الداخلية / إبراهيم سليمانوف

وأما القائم بأعمال وزير الداخلية (لم يكن قد تم تعيين وزيراً أصيلاً بعد) فقال: " أن الهدوء الحالي لا يقلل من إصرار الشيشان على بناء جيش وطني ".

وكشف بأن عدد الضباط الشيشان في القوات السوفيتية ٢٥٠ ضابطاً فقط. وأما عدد الذين يلتحقون بالخدمة الإلزامية في القوات السوفيتية منهم حوالي ١٢٠٠٠ شيشاني سنوياً. ومدة الخدمة سنتان ماعدا في القوات البحرية فهي ثلاث سنوات.

وكشف عن التوصل إلى اتفاقية مع موسكو تقضي باستعارة الضباط والجنود الشيشان للعمل في جيشهم الوطني. وكشف أيضاً بأن ١٥٠ طالباً من الشيشان لا يزالون في المعاهد والكليات العسكرية الروسية، ولم تنقطع دراستهم بعد الاستقلال.

وجواباً على سؤال فيما إذا كانت عضوية الحزب الشيوعي شرطاً لمن يريد الالتحاق بالقوات السوفيتية .. أجاب: " كان يشترط بالنسبة للضباط، وأما بالنسبة للمكلفين بالخدمة الإلزامية، فلم تشترط عضوية الحزب ".

وجواباً على سؤال: " كيف يمكن الآن ضمان ولاء الضباط الشيوعيين للثورة الشيشانية؟ ". أجاب " لقد كان الانضمام للحزب الشيوعي صورياً فقط بهدف الالتحاق بالكليات العسكرية ومن ثم الجيش . وكما تعلم لم يكن ممكناً تولي مراكز قيادية في الجيش لغير الضباط الشيوعيين" وابتسم واستطرد: " هناك مثالان على ذلك ... الرئيس وأنا ". وكان المتحدث ضابطاً سابقاً في القوات السوفيتية برتبة مقدم.

الشيشان تفاؤل.. وقلق

اخراج:
نتاشا المعاني

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

٣٢٣٫١١٠٣٤٠٤٧
شاك شاكر الجوهري
الشيشان تفاؤل وقلق / شاكر الجوهري ـ عمان :
دار الجميع للنشر، ١٩٩٢

(٥٠) ص
ر . أ (١٥٩/٣/١٩٩٢)
١ـ الأوضاع السياسية ٢ـ الشيشان ـ اوضاع
اجتماعية أ ـ العنوان

الفصل الخامس
معوقات وقلق

نرى في إجابات المسؤولين الشيشان على أسئلة الصحفي الأردني شاكر الجوهري بأن الحكم الوطني في الجمهورية المستقلة كانت له تطلعات وطموحات متفائلة في تحقيق:-

١- تثبيت استقلال وسيادة الجمهورية، والحصول على اعتراف دولي بهذا الاستقلال، والتوقف عن اعتبارها جزءاً من روسيا.

٢- تنشيط اقتصاد الجمهورية، وتنمية مواردها، وتوفير حياة افضل لمواطنيها.

٣- إنشاء علاقات ثقافية وتجارية واقتصادية وسياسية مع الخارج .

إلا أن هذه الطموحات لم تتحقق إلى المدى الذي تفاءلوا به. إذ واجهت الجمهورية عوائق صعبة بالنسبة لدولة فتية صغيرة.

ويمكن تلخيص أهمها في الأمور التالية:-

١- كان للجمهورية خصم عملاق، دولة نووية عظمى، الأكبر مساحةً والأكثر موارداً في العالم. وعضو دائم مع حق صوت الفيتو في مجلس الأمن الدولي، تدعي بان الجمهورية الشيشانية لا تزال جزءاً منها، وتعارض استقلال الجمهورية، وتمارس جميع أنواع الضغوط السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية لمنع الغير من الاعتراف بهذا الاستقلال.

٢- شيشانيا بلد داخلي صغير، غير متصل ببحار مفتوحة، يحيط به الخصم من جميع الجهات ما عدا حدودها الجنوبية مع جورجيا وهذه عبارة عن سلسلة جبلية شاهقة لا تمر عبرها طرق أو ممرات صالحة لسير المركبات.

٣- جميع الطرق البرية. والسكك الحديدية، وخطوط البترول والغاز والكهرباء مرتبطة بالدولة الخصم، التي تستطيع أن تتحكم بحركة الانتقال والتصدير والاستيراد من والى الجمهورية. وحتى المجال الجوي مقيد أيضاً.

٤- كانت شيشانيا قبل حرب التحرير الأخيرة من أكثر مناطق القوقاز غموضاً بالنسبة للعالم الخارجي. مارست سلطات روسيا القيصرية والشيوعية سياسة عزلها باعتبارها منطقة عسكرية مغلقة يحظر على الأجانب زيارتها إلا بتصريح خاص يصعب الحصول عليه. كما كان الشيشان في فترة النفي الجماعي (١٩٤٤- ١٩٥٧) مقيدي الحركة وفي شبه عزلة حتى عن الشعوب السوفيتية الأخرى. ولذلك فإن الاهتمام العالمي بإنشاء علاقات معها كان محدوداً.

٥- السمعة القاسية التي دأبت روسيا على نشرها عن الشيشان (بأنهم أشد شعوب القوقاز شراسة). والإساءة إلى سمعتهم من خلال إعلام مركز مبالغ فيه عن ما سمي (بالمافيا الشيشانية) التي كانت مجالات نشاطاتها في موسكو وروسيا وليست في شيشانيا، والادعاء بان السلطات الشيشانية متأثرة ومتعاونة مع هذه المافيات، مما ولد انطباعاً بعدم الاستقرار وانعدام الأمن في الجمهورية فلم يجرؤ رأس المال (الأجنبي) على دخول الجمهورية للاستثمار .

٦- وكما ذكرت سابقاً فإن فريق يلتسن في موسكو (وفيه بعض المتنفذين الشيشان) كان قد اتخذ جانب دوداييف (متوهمين بأنه سيكون اسهل مراساً واكثر تعاوناً) ضد زفجاييف الذي بالإضافة إلى كونه شيوعياً ملتزماً، كان يساند غورباتشوف في محاولة إقامة تشكيلة جديدة للاتحاد السوفيتي يعارضها يلتسن. إلا أن دوداييف بعد انتخابه رئيساً لجمهورية الشيشان وتوليه السلطة فيها كشف عن نياته الاستقلالية ورفض مخططات فريق يلتسين، بل صمم على السير قدماً في إجراءات الاستقلال فانقلب الفريق ضده، وخطط لإسقاطه وإفشال الحكومة الوطنية.

٧- لم تكن الاستثمارات في النشاطات الصناعية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي (ما عدا الجمهورية الروسية) تهدف إلى الفائدة العائدة على الجمهورية المعنية بالذات، بل الفائدة العائدة على الاتحاد ككل. ولذلك كانت فروع الصناعات المهمة توزع على جمهوريات متعددة لتبقى معتمدة اعتماداً كلياً على المخطط الصناعي لمجموع الاتحاد السوفيتي، وعلى أساس توجه اشتراكي لاستبعاد أي ميل إقليمي نحو الاكتفاء الذاتي أو الحد من التعاون في بناء اقتصاديات الاتحاد بشكل عام. وأية محاولة من قادة

الجمهوريات غير الروسية لتحقيق توازن اقتصادي لبلادهم كانت تعتبر (تفكير قومي ذو أفق ضيق، يعود إلى طموح هؤلاء القادة لتحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي، وخلق بناء اقتصادي مستقل ومتكامل داخل حدود بلادهم). وقد تصل عقوبة مثل هذه الميول الوطنية إلى الإعدام. ولذلك فإن صناعات جمهورية الشيشان غير المتكاملة، والمعتمدة على استيراد وتصدير خارجي أصيبت بشلل شبه كامل، وتسببت في بطالة كبيرة في الجمهورية.

٨- يعتبر الراتب التقاعدي قانوناً وعرفاً وممارسة عالمية حقاً مستمراً للمتقاعد على الجهة التي كانت تقتطع نسباً مقرره من دخله لهذه الغاية، حتى ولو تبدل شكل ومقر هذه الجهة . فمثلاً في الأردن، فإن الموظفين السابقين في حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، وكذلك الذين انخرطوا في (قوة حدود شرقي الأردن) التي كانت تتبع القيادة البريطانية لا يزالون وورثتهم المؤهلين قانوناً يتقاضون رواتب تقاعدية من الخزينة البريطانية بعد نصف قرن من تغير الأوضاع . إلا أن روسيا قامت اعتباراً من آذار ١٩٩٣ بقطع الرواتب التقاعدية المستحقة للشيشان إلا عن فئات اندمجت في المعارضة المتعاونة مع روسيا . وكانت تهدف من وراء ذلك الضغط على السلطات الشيشانية وأحداث تذمر شعبي ضدها .

٩- قامت روسيا بحجب حصة جمهورية الشيشان من موارد الجمهورية الروسية الاشتراكية المتحققة لجمهورية الشيشان قبل استقلالها . كما وضعت اليد على وجمدت الأرصدة المتحققة لجمهورية الشيشان ومؤسساتها لدى الخزينة والبنك المركزي الروسي، وهذا التصرف تسبب في شل إمكانيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية.

١٠- عانت جمهورية الشيشان من عدم توفر معلومات وأرقام حقيقية عن مواردها وحجم الإنتاج والدخل فيها. فالسلطات الشيوعية كانت تحجب هذه المعلومات الضرورية أو تتلاعب بها وتلفقها لأغراض دعائية.

١١- كانت الجمهورية تعاني من نقص في الكوادر المؤهلة لوضع خطط اقتصاد السوق والخصخصة. كان التخطيط في العهد السوفيتي يتم مركزياً في موسكو ،

ويفرض على الجمهوريات والأقاليم اعتمادها بدون مناقشة . ولذلك فان الكوادر المحلية لم تكن مدربة لمثل هذه المهمات.

١٢- وكان هناك نقص في الكوادر الإدارية المستوعبة لأساليب الإدارة الحديثة التي تعتمد على توزيع الصلاحيات وتحديد المسؤليات والواجبات، وإتاحة الفرص للمبادرات الفردية والتجديد.

١٣- وكذلك كانت حالة الكوادر الدبلوماسية، فكما اعترف وزير الخارجية في لقائه مع الصحفي الأردني كانت هذه الكوادر ناقصة بل غير موجودة. إذ أن السلطات الشيوعية لم تتح للشيشان الانخراط في السلك الدبلوماسي أو الخدمة في سفاراتها في الخارج إلا لعدد لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة وفي وظائف لا تتعدى كاتباً بسيطاً.

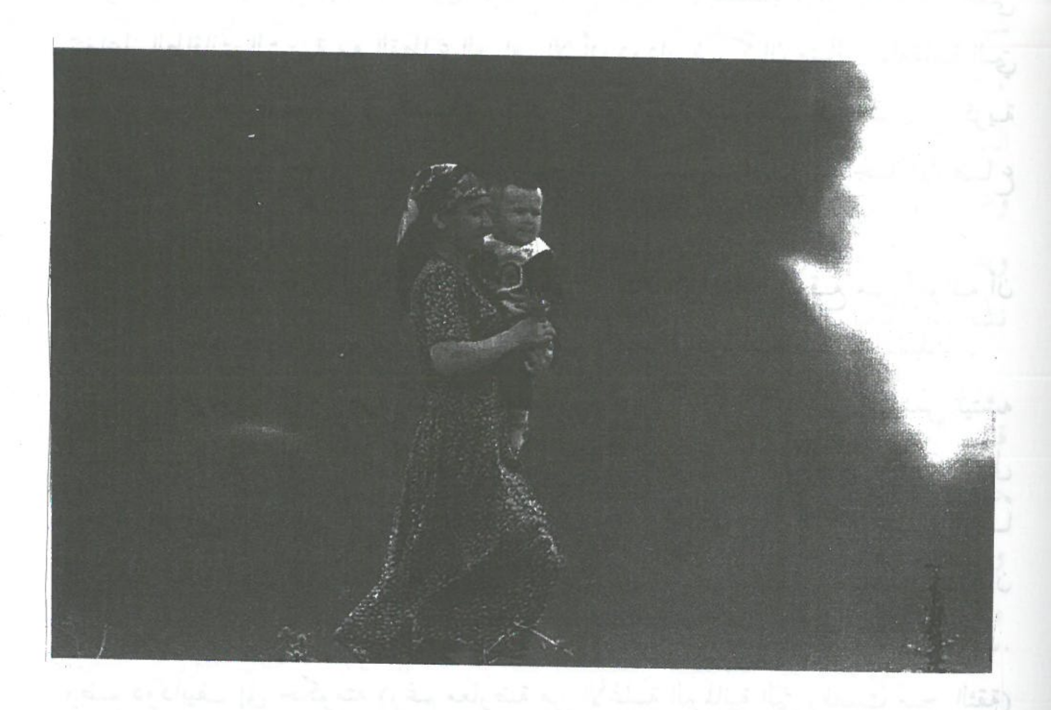
١٤- كان الرئيس دودايف نفسه قد تربى في المؤسسة العسكرية السوفيتية التي لم تتح لكبار قادتها انفتاحاً وافقاً واسعاً إلا في الأمور المتعلقة باحترافهم العسكري . وكان اتصالهم مع العالم الخارجي محدوداً جداً. وحرص الحزب الشيوعي على أن تكون له السيطرة على جميع المؤسسات في الاتحاد السوفيتي بما فيها المؤسسة العسكرية. وكان ستالين قد بث الرعب في قلوب قادتها، إذ قام وحتى قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بإعدام ثلاثة من مجموع خمس مارشالات في القوات السوفيتية،وتصفية جميع قادة المناطق والألوية والفرق و ٥٠٪ من قادة الكتائب والسرايا . وكان القادة تحت مراقبة القوميسار السياسي (ممثل الحزب) في وحدته العسكرية . وكانوا يتحاشون الاتصال أو محاولة الإطلاع على ما يجري في الخارج. وانتشرت نكتة في الاتحاد السوفيتي السابق بأن الصوت الوحيد الذي لا يخاف منه المارشلات فورشيلوف وكالينين وبولغانين هو الصوت الذي يصدر عن احتكاك الميداليات المعدنية المعلقة على صدورهم.

وعلى هذا، فإن دودايف ، الجنرال في القوات الجوية وقائد سرب قاذفات قنابل نووية ، لم تتح له أثناء خدمته العسكرية فرص الاتصال والتعرف على ما يجري في الخارج، بل ولم يتح له الاندماج حتى في المجتمع الشيشاني . كان يعمل بعقلية قائد ميدان، يصدر أمراً تنفذه وحداته بدون نقاش ، وفي مركزه كرئيس لجمهورية الشيشان

لم تتوفر له هيئة أركان مؤهلة ومقتدرة تدرس وتضع الخطط المناسبة. ففي الدورة الثانية للمؤتمر الوطني الشيشاني في حزيران ١٩٩١ تمت السيطرة للتيار الراديكالي، وانسحب المثقفون المعتدلون الذين كانوا قد نظموا الدورة الأولى للمؤتمر التي صدرت عنها قرارات إعلان الاستقلال والسيادة.

١٥- استعان دودايف بجماعات تفتقر المؤهلات المطلوبة والانتماء الكافي لبناء جمهورية فتية. فبعض من ساعده في الوصول إلى السلطة، متطلعين إلى منافع شخصية انقلبوا عليه عندما لم تتحقق لهم المنافع بالشكل الذي كانوا يتطلعون إليه ، وانتقلوا إلى المعارضة ، بل إن بعضهم انضم إلى المعارضة المسلحة المتعاونة مع السلطات الروسية .

لم يوفق دودايف في اختيار بعض اقرب معاونيه (واذكر بأنه اقر بذلك أمام مجموعة من الأردنيين الشيشان في زيارة له للأردن. وعزا ذلك إلى انقطاعه عن شيشانيا خلال فترة دراسته وخدمته العسكرية الطويلة فعلقت على قوله " لا اعتبر هذا حجة مقبولة من رئيس دولة" و لم يعترض على تعليقي).



طفلي اليتيم وديعتك يالله ..... لقد أحرقوا المنزل وهدموا الميتم.

المسار الاقتصادي

لم يوفق دوداييف في البداية في تشكيل حكومة قادرة على التعامل مع المعوقات .ففي يناير ١٩٩٢ عرض على الدكتور سلامبيك حجاييف، آخر وزير للصناعات الكيماوية في الاتحاد السوفيتي، مركز نائب رئيس الوزراء (كان دوداييف بموجب دستور جمهورية الشيشان يجمع بين مركزي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء) إلا أنه اعتذر عن قبول المنصب. وحول اعتذاره هذا جاء في كتاب (شيشانيا حرب صغيرة مظفرة) على لسانه " لم أرغب أن آخذ دوراً في هذه المرحلة، لان نظرته للأمور كانت سلطوية ، كان بعقلية قائد عسكري نموذجي ... يصدر الأوامر فتطيعه وحداته بدون مناقشة. قلت له ينبغي علينا أن نطمئن المواطنين بأننا في مسيرتنا نحو الاستقلال، لن نتوانى عن توجيه اهتمام جدي لتحسين الوضع الاقتصادي خطوة فخطوة. ويتعذر ذلك إذا حصرت جميع القطاعات والنشاطات الاقتصادية بيد الدولة كما أرادها هو. أخبرته بان الوسيلة الوحيدة لتحسين الوضع هي تحرير الاقتصاد بدون تأخير، حتى تتفاعل الطاقات الشعبية مع القطاع العام. إلا أن دوداييف كان متأثرا بالعقلية التي سادت في الاتحاد السوفيتي في السابق، بأن جميع القرارات يجب أن تكون مركزية بتوجيه قائد الفريق الحازم . قلت له هذا المنهج ليس الأسلوب الأمثل لمعالجة الأوضاع الصعبة" .

وفي لقاء معه في الأردن قال حجاييف : "كان دوداييف يتوقع من أعوانه أن يكونوا رؤساء دواوين وليس وزراء بصلاحيات لأخذ المبادرة للتخطيط والتنفيذ " .

وعرض اكثر من مرة كان آخرها بتاريخ ١٩٩٢/٤/١٥ ، على المهندس ليتشه عمخانوف الذي كان قد اشرف في نوفمبر ١٩٩٠ على عقد وتنظيم الدورة الأولى للمؤتمر الوطني الشيشاني أن يتولى منصب نائب رئيس الجمهورية. إلا أنه اعتذر أيضاً لأسباب مماثلة لتلك التي أبداها حجاييف. فقام دوداييف حينئذ بتعين الشاعر زيلمحان يندرباييف نائباً لرئيس الجمهورية، وهو الذي تولى الرئاسة بعد استشهاد دوداييف. وضم دوداييف إلى حكومته (رغم معارضة من الأغلبية البرلمانية التي رفضت منح الثقة) كلاً من يراغي محمدوف كنائب لرئيس الوزراء مسؤول عن الشؤون الاقتصادية،

وقريبه بسلان جانتميرو مسؤولاً عن الشؤون الأمنية، وفيما بعد رئيساً لبلدية غروزني. إلا انهما اختلفا معه فيما بعد، وانضما إلى معارضة لم تتورع عن استعمال القوة في محاولات لعزله . ويقود جانتميرو الآن المليشيات التي تدعى روسيا بأنها تناصرها في الحرب الجارية الآن . إلا أن اكبر أخطاء دودايف في اختيار أعوانه كان تعيينه الإرهابي رسلان لابا زانوف كقائد لحرس رئاسة الجمهورية. وكان لابازانوف عند وقوع أحداث الاستقلال في السجن لأحكام صدرت ضده لأسباب إجرامية. واستطاع أثناء هذه الأحداث الهروب مع بعض أعوانه وانضموا إلى الحرس الجمهوري، إلا أنه اختلف مع دودايف فيما بعد وانضم إلى المعارضة المسلحة . وعندما قامت القوات الروسية بغزو شيشانيا تعاون لابازانوف معها وانضم إليها برتبة مقدم. وبقي في خدمة القوات الروسية حتى اغتياله على يد أحد أعوانه في قضية (اخذ ثأر).

كان دودايف خلال حملة الانتخابات الرئاسية يبذل الوعود بأن يسود الرخاء في شيشانيا التي ستصبح (كويت الاتحاد السوفيتي السابق). إلا أن اعتماد اقتصاد شيشانيا على روسيا أدى إلى توقف ٨٠٪ من المصانع والمؤسسات ، والى بطالة بنسبة ٧٠٪ من القوى العاملة، وإلى انخفاض بنسبة ٨٠٪ في الإنتاج الوطني. وعجزت السلطة عن دفع أجور العاملين فيها، وتوقفت روسيا عن دفع رواتب المتقاعدين. وعانت أغلبية المواطنين من ضيق مادي. ما عدا فئات قليلة أثرت في هذه الظروف وبدت عليها مظاهر ثراء سريع مفاجئ، فاتهمت بنهب مرافق الدولة والاندماج في نشاطات المافيا.

بدأ تذمر علني من سوء الأوضاع. فمثلاً البروفيسور جبرائيل جاكايف رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة غروزني قال في لقاء مع مجلة (نيزافيسبا جازينام) بتاريخ ١٩٩٤/٦/٢٥ " لا أجد معني للاستقلال الجذري في ضوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشيشان، ولا يمكن للشعب الشيشاني أن ينال الاستقلال إلا بالطرق السلمية".

وفي لقاء مع صحيفة ازفسستيا بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٠ قال المؤرخ الجنرال حاجي مرادابراهيمبيلي: "هناك قسم في القوى الشيشانية المعارضة لدودايف، يرى بأن

بلادهم حصلت على الاستقلال قبل أن تتهيأ الظروف الاقتصادية والقانونية المواتية لذلك. وهم مستعدون لتفهم المصالح الروسية، غير انهم لن يتنازلوا عن سيادة وطنهم " واستطرد : " إن وجود المصالح شيء، والتدخل الروسي للإطاحة بالرئيس المنتخب دوداييف شيء أخر ".

قد يصبح النفط في كثير من البلدان المنتجة (كما هو الحال في منطقتنا في الشرق الأوسط). نعمة أو نقمة، مصدر رخاء اقتصادي أو سبب أطماع ومؤامرات خارجية ونزاعات داخلية . وكانت صناعة النفط ومصير وارداتها سبباً للنزاعات وموضع التساؤلات والاتهامات في شيشانيا.

استمرت مصافي النفط في غروزني (وهي ثاني أكبر مصافي النفط في الاتحاد السوفيتي السابق) تعمل بكامل طاقتها. وفي حين قامت روسيا بإغلاق فروعها وسحب ممثليها في مختلف المؤسسات الاقتصادية والثقافية في شيشانيا ، فإنها احتفظت بممثلين لوزارة التجارة الخارجية في غروزني واستمر تزويد المصافي بالنفط الخام من كازاخستان وأذربيجان وغيرها، وتصدير الإنتاج بعد التصفية إلى روسيا وغيرها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وإلى الخارج أيضاً . ولم يكشف للان كيف ومن هي الجهات التي أدارت هذه العمليات . وقيل انه كان لتشيرنوميردن رئيس وزراء روسيا ودوداييف دوراً فيها ، إلا أن عائداتها لم تدخل في موازنة الحكومة الشيشانية. وعزيت المنازعات بين دوداييف وبعض أعوانه، واغتيال اثنين من أعوانه في لندن وصحفي في غروزني إلى التنافس على توزيع هذه الموارد.

وفي بداية حرب ١٩٩٤- ١٩٩٦، التي جرى خلالها تدمير شامل لأحياء كاملة في غروزني، حرص الجانبان على عدم إلحاق أضرار كبيرة بهذه المصافي.

وأمام التذمر الشعبي من الوضع الاقتصادي، لجأت السلطات الشيشانية إلى حلول، لم تكن جذرية لمعالجة الوضع ومن بينها:-

١- التساهل في جباية الضرائب واثمان المياه والغاز والكهرباء، مما أدى إلى التبذير والهدر.

٢- توزيع كوبونات حصص منتجات نفطية مجانية للمواطنين.

٣- تثبيت أسعار بعض المواد الغذائية والاستهلاكية الأساسية في حين أنها كانت قد تحررت في باقي أنحاء الاتحاد السوفيتي. فمثلاً الخبز بقي سعره في شيشانيا أقل من خمس سعره في الجمهوريات المجاورة . وبقي دوداييف مصراً على تثبيت سعره إلى أن قامت الحكومة برفع السعر عندما كان خارج البلاد. وانتهز التجار الانخفاض الكبير في أسعار المواد الأساسية في جمهورية الشيشان، وعدم وضع قيود وضوابط لبيعها، فأخذوا يشترونها بكميات كبيرة ويشحنونها إلى خارج الجمهورية، فأفرغت الأسواق المحلية . وأدت هذه السياسة إلى تآكل موارد ميزانية الحكومة.

٤- أصبحت شيشانيا كسوق ومنطقة تجارية حرة. تدخل إليها وتخرج منها البضائع بدون قيود ومعفاة من رسوم الاستيراد والتصدير والجمارك. فأصبحت غرزوني ومدناً شيشانية أخرى. اكبر أسواق حرة في المنطقة. يفد إليها ويتسوق فيها التجار والمواطنون من مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتي السابق.

وقد حركت هذه السياسة اقتصاد الجمهورية التجاري، حتى أن خاتشوكايف رئيس هيئة الاستثمارات الأجنبية في شيشانيا صرح في مايو ١٩٩٤:-

"إن الجمهورية لا تحتاج إلى صناعات روسية بما في ذلك مصانع تكرير البترول لان لديها دعامة اقتصادية هامة ممثلة بتجارها المكوكيين الذين يطيرون للخارج ويعودون بالبضائع".

وعلق دوداييف عنهم : " كيف لا نقدرهم، يخاطرون ويجتازون العوائق الحدودية لعدة بلدان، ويوصلون إلينا احتياجاتنا ".

ونشرت جريدة ازفستيا بتاريخ ١٩٩٥/٥/٣١ : " جرى في شهر نيسان تسيير ٧٢ رحلة إلى ١٧ دولة أجنبية على طائرات توبيلوف ١٥٤ التي استأجرتها غروزني. واستقل كل رحلة ستون راكباً يحمل كل منهم عشرة آلاف دولار وعادوا بما قيمته ٤٠ مليون دولار، أي ما يعادل بالروبلات ٩٠٪ من ميزانية الحكومية الشيشانية ".

وأنا شخصياً سافرت مع رحلات التسوق المكوكية هذه في صيف ١٩٩٤ من استنبول إلى غروزني والعودة . إذ اخترتها حتى لا أتأخر عن تشييع جنازة زوجة

شقيقي أمين، لان الحصول على التأشيرة من السفارة السوفيتية في عمان ومن ثم تأمين مقعد بالطائرة من موسكو إلى غروزني كانت تستغرق فترة طويلة بسبب بيروقراطية الدوائر السوفيتية، ومزاج الموظفين المعنيين . كان اسم الرحلة في دليل الرحلات، وعلى لوحة الطائرات المغادرة في مطار استنبول الدولي (استنبول / باكو). إلا أن الطائرة لم تهبط في مطار باكو بل حلقت فوقه دورة واحدة وتابعت إلى مطار غروزني. وفي مطار غروزني سمح لي بالدخول بدون تأشيرة فيزا أو مساءلة جمركية أو أمنية.

وفي طريق العودة كان اسم الرحلة (باكو / استنبول). إلا أن الرحلة بدأت في غروزني وتوجهت مباشرة إلى استنبول بدون التوقف في باكو.

جلست على المقعد المجاور لي في رحلة العودة إلى استنبول سيدة أخبرتني بأنها من بلدة اورس مارتان، وان زوجها من عشيرة بينو (أي عشيرتي). وصفت لي السيدة الإرهاق الذي يتعرض لها تجار المكوك. قالت: (اشترينا بطاقة السفر غروزني / استنبول/ غروزني مع سماح ٥٠ كيلو غرام وزن إضافي من الأمتعة مقابل ٣٠٠ دولار أمريكي. سنصل إلى استنبول ونكمل إجراءات الدخول إلى المدينة مع الفجر (مغادرة الطائرة لمطار غروزني كانت حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل)، ثم نذهب إلى الفندق لحجز الغرف . وبدون استراحة سنذهب إلى المصانع والأسواق للتسوق خلال يومين. وقبل ظهر اليوم الثالث سنقوم بحزم البضاعة التي نشتريها ونغادر الفندق قبل الساعة الواحدة ظهراً إلى المطار حتى لا ندفع للفندق أجرة ليلة إضافية. وننتظر في قاعة المغادرين حتى موعد إقلاع الطائرة المتجهة إلى غروزني الذي يكون عادة مع الفجر. وعندما نصل إلى غروزني نذهب مباشرة إلى البازار بدون المرور على منازلنا حتى نبيع البضاعة التي جلبناها. وثم نبدأ الاستعدادات للرحلة التالية بدون فترة استراحة.

كنت قبل رحلتي هذه انتقد ظاهرة تجارة المكوك التي لم يعهدها الشيشان. ولكن بعد أن وصفت لي السيدة الفاضلة وشاهدت بنفسي الإجهاد الذي يتعرض له، أصبحت اكن كل التقدير والإعجاب لجهدهن.

حاول دوداييف أن يفك الارتباط الكلي لشيشانيا مع الاقتصاد الروسي وإنشاء علاقات وعقد صفقات اقتصادية مع دول أخرى. وكانت شركات أمريكية اهتمت بقطاع النفط وأرسلت ستاً من خبرائها إلى غروزني، إلا أن موظفاً في السفارة الأمريكية في موسكو اسمه وليم اندرسون اجتمع بهم هناك وأقنعهم بالمغادرة . غير أن هذا لم يمنع دوداييف من أن يسافر في خريف ١٩٩٢ إلى ولاية تكساس حيث عقد اتفاقية مع شركة (En Force) لتزويد شيشانيا بمعدات لصناعة النفط تسدد قيمتها البالغة ٢٠٠ مليون دولار أمريكي بالنفط الخام، وبناء مجمع نفطي كبير في شيشانيا يعمل فيها حوالي ٢٠٠ أمريكي . وذكر عثمان ايماييف محافظ البنك المركزي الشيشاني في تلك الفترة بان ولاية تكساس وقعت وثيقة اعتراف باستقلال جمهورية الشيشان. إلا أن عدم استقرار الوضع السياسي في الجمهورية عطل هذه الجهود.

وفي أكتوبر ١٩٩٢ ذهب دوداييف إلى لندن وزار مجلس العموم البريطاني، وتداول مع النائبين دون دوفر وجيراردنيل من حزب المحافظين إمكانيات التعاون في قطاع الإنشاءات.

وكان رسلان اوتسييف رجل الأعمال والمستشار الاقتصادي لدوداييف، يعيش مع شقيقه نزاربيك في لندن، قد وقع اتفاقية مع مؤسسة (Thomas de la Rue) البريطانية لطبع وصك عملة ورقية ونقدية وجوازات سفر وطوابع بريدية ووثائق أخرى باسم جمهورية الشيشان. وكان عثمان يتفاوض أيضاً مع الممول الأمريكي جوزيف ريف على قرض قيمته ١٧٣ مليون جنيه إسترليني يسدد بالنفط الخام. إلا أن اغتيال الشقيقين في لندن في شباط ١٩٩٣ عطل هذه الصفقات. وقامت مؤسسة توماس لارو بإلغاء الاتفاقية من جانب واحد . وتمكن عثمان ايماييف محافظ البنك المركزي الشيشاني من استرداد الدفعة الأولى التي كانت الجمهورية قد دفعتها للمؤسسة المذكورة مع تعويض للأضرار التي لحقت الجمهورية نتيجة إلغاء الاتفاقية.

وبذل دودايف محاولات أخرى لإنشاء علاقات اقتصادية وعقد صفقات أعمال أو تجارة مع عدد من البلدان. ولعل أوثق علاقات عمل له مع أقطار عربية

كانت مع السودان التي زارها ثلاث مرات وعقد معها اتفاقيات تعاون، وبالأخص تقديم خبرات شيشانية في مجال النفط.

النشاط السياسي والإعلام

أتاحت سياسة إعادة البناء والمصارحة (البيروسترويكا، والغلاسنوت) التي أعلنها غوبارتشوف فرصة لشعوب وقوميات الاتحاد السوفيتي لممارسة قدر كبير من نشاطات سياسية واقتصادية وإعلامية خارج أطر الحزب الشيوعي. وعند تشكيل السلطة الوطنية الشيشانية المستقلة أزيلت جميع القيود التي تحد من هذه النشاطات. وقد كفل دستور جمهورية الشيشان الذي صودق عليه بتاريخ ١٩٩٢/٣/١٧، والقوانين التي صدرت بموجبه ، حق تشكيل الأحزاب السياسية، وعقد الاجتماعات العامة، وأتيح التعبير عن الرأي بمختلف الوسائل المكتوبة والمسموعة والمرئية، ونشر الصحف وفتح محطات الإذاعة والتلفزيون.

تأسست في الجمهورية أحزاب وتجمعات سياسية عديدة من تيارات وذات برامج متباينة، إلا أنها كانت جميعها تجمع على التمسك بمبدأ استقلال وسيادة الجمهورية. وقد مارست هذه الأحزاب، سواء المؤيدة أو المعارضة لسياسة حكومة دوداييف، نشاطاتها بكل حرية وبدون تدخل من السلطة.

ومع أن متطلبات التمويل أعاقت إنشاء محطة إذاعة وتلفزيون خاصة، فانحصرت بمؤسسة الإذاعة والتلفزيون الرسمية، إلا أن إدارة هذه المؤسسة كانت مستقلة تحت إشراف اللجنة الوطنية للإعلام. وعند زيارة بعثة انترناشيونال اليرت (International Alert) للجمهورية في أيلول وأكتوبر ١٩٩٢، كان تلفزيون الجمهورية يبث لمدة خمس ساعات مساء كل يوم، اربع ساعات من الوقت باللغة الشيشانية وساعة واحدة باللغة الروسية . كما أن بث محطتي تلفزيون روسية كان يغطي الجمهورية ليلاً ونهاراً.

وقد أكد مدير التلفزيون الشيشاني للبعثة بان الأحزاب والتجمعات المعارضة يتاح لها وقتاً كافياً لعرض سياساتها وبرامجها. وقال: " لقد كافحت في العهد السابق

مدة ثلاثين عاماً أطالب بحرية الإعلام". واستطرد " أن التلفزيون يجب أن يكون مستقلاً. إلا أن وضعنا يختلف عن الصحافة، فنحن مؤسسة حكومية، ومن الطبيعي أن نؤيد الرئيس والحكومة". وأما رؤساء تحرير الصحف فأفادوا جميعاً بأنهم يتمتعون بحرية نشر غير مقيدة، ولا يتعرضون لأية ضغوط، إلا أن الصحف الحكومية تتمتع بدعم مالي وتسهيلات للتمويل.

ومن حق الشيشان الاعتزاز بالسجل المشرف المتعلق بمراعاة مبادئ الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعددية السياسية. لم تقع في الجمهورية في تلك الفترة أو أثناء الأحداث والمظاهرات والانتخابات الرئاسية والبرلمانية التي أدت إلى سقوط بقايا النظام الشيوعي ووصول السلطة الوطنية للحكم قمع أي حزب أو تجمع معارض، أو اعتقال أو إيذاء جسدي أو اغتيال أي شخص على خلفية سياسية أو تنافس على السلطة.

المسار السياسي والدبلوماسي

مقابل اضخم جهاز دبلوماسي استخباراتي ومعلوماتي، لأكبر دولة في العالم مساحة وأغزرها موارداً، وأقواها سلاحاً، عضو مؤسس لهيئة الأمم المتحدة، يشغل مقعداً دائماً مع حق صوت النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي، كان الجهاز الشيشاني شبه معدوم إلا من إطار سمي وزارة الخارجية.

شامل بينو (ابن شقيق المؤلف)، أول وزير في حكومة دوداييف يصادق البرلماني الشيشاني على تعيينه وبإجماع الأصوات، أقر بهذا الواقع للصحفي الأردني شاكر الجوهري وقال:

"لا توجد لدينا إمكانيات بشرية لإجراء الاتصالات اللازمة مع المجتمع الدولي . هذه أول وزارة خارجية في تاريخ الشعب الشيشاني، ولذلك لا توجد لدينا كوادر دبلوماسية كافية. يوجد بعض الشيشان يعملون في وزارة الخارجية الروسية التي ورثت وزارة الخارجية السوفيتية، وقد طلبنا منهم العودة وتجاوب بعضهم. يوجد معي جهاز

صغير ، وزملاء متطوعون ليست لديهم تجربة في العمل السياسي. وهناك الكثير من المشاكل مع روسيا وكذلك شمال القوقاز ولكن لا توجد كوادر مؤهلة لدراستها ".

ويذكر بينو بأنه خلال توليه وزارة الخارجية ذهب إلى جورجيا ثلاث مرات على رأس وفود شيشانية. الزيارتان الأولى والثانية كانت بهدف التوسط بين الأطراف المتنازعة على السلطة عندما تحول الخلاف بين رئيس جمهورية جورجيا السابق زافيد غمسخورديا ومعارضيه إلى صراع مسلح . وأما الزيارة الثالثة فكانت عندما تأزم الوضع بين جورجيا وشيشانيا بعد طرد غمسخورديا من الحكم ولجوئه إلى شيشانيا. وعند الزيارة الثالثة هذه كان شيفارنادزه على رأس السلطة في جورجيا.

ويقول بينو "بأني كنت أعي الفارق الكبير في الخبرة والسمعة والمركز الدولي. بيني كشاب مبتدئ بدون خبرة وبين هذا السياسي المخضرم العريق. ولم أر فائدة في التظاهر بأني ندله".

ويستطرد : "رأيت أن استثير عاطفة الانتماء إلى شعبين قوقازيين متجاورين للتقرب منه فقلت له ما معناه. أخي الكبير ... أنني أعرف بأنني أمثل فقط تلميذاً مبتدئاً أمام دبلوماسي وأداري عريق تقر بقدراته جميع المجتمعات الدولية. ولذلك فإنني لم احضر لا تفاوض معك، بل حضرت في طلب نصح أخ قوقازي كبير حول افضل الوسائل لتنقشع هذه الغمامة التي بدأت تلبد سماء العلاقات بين شعبينا الجارين".

ويستطرد شامل " قام شيفارنادزه من مقعده على الجانب المقابل من الطاولة وتوجه نحوي وعانقني ، وبدلاً من أن يعود إلى مقعده جلس بجانبي وقال ما معناه: بأنه بالرغم من أننا شعبان متجاوران تجمعنا تقاليد وقيم مشابهة إلا أن هناك عوامل ترجح وضع الشعب الجورجي مقارنة بالشيشان في نظر العالم الغربي بشكل خاص ومنها:

١- مساحة جمهوريتنا (٧٠٠٠٠ كم٢) حوالي أربع أضعاف مساحة جمهوريتكم (١٩٣٠٠كم٢).

٢- عدد سكان جمهوريتنا (٥٤٤٢٠٠ نسمة) أكثر من أربع أضعاف سكان جمهوريتكم (١٢٧٠٠٠ نسمة).

٣- جمهوريتنا متصلة بالبحار المفتوحة ولها حدود مع دول مستقلة علاقاتنا معها ودية، وحتى خلافاتنا الداخلية مع الابخاز والاوسيت مؤقته وستزول قريباً ، أما جمهوريتكم فبلد داخلي يحيط بها خصمكم (أكبر دولة في العالم) ما عدا حدودها الجنوبية معنا، التي هي عبارة عن سلسلة جبلية عالية لا تعبرها أية طرق صالحة لسير المركبات.

٤- كوننا مسيحيين، ولتواجد جاليات جورجية الأصل في الدول الغربية، يسهل علينا إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية معها. وأما انتم كمسلمين فتعتبرون في صدام مع الحضارة الغربية المسيحية مما يشكل عائقاً أمام إقامة علاقات وثيقة معها. وجالياتكم المهاجرة المتواجدة في تركيا وبعض البلاد العربية غير قادرة على تقديم عون فعال لكم.

٥- إن تصريحات ووعيد بعض مسؤوليكم بأنكم ستقطعون البترول عن روسيا تهديد لا وزن له. أن إنتاجكم الحالي من البترول اقل من ٢٪ من إنتاج روسيا، والجزء الأكبر من النفط الخام الذي يجري تصفيته في جمهوريتكم يستورد من روسيا أو جمهوريات سوفيتية سابقة. وجميع خطوط استيراد النفط الخام أو إعادة تصدير مشتقاته بعد التصفية تمر عبر روسيا. ففي هذا المجال فان حاجتكم في مجال النفط لروسيا أكثر من حاجة روسيا لكم.

وبالإضافة إلى علاقات الجوار، وتشابه التراث والتقاليد والعادات، ووحدة المصالح والأهداف بعيدة المدى، فإنني اشعر بعاطفة شخصية قوية مع الشيشان، فقد كان شقيقي الكبير مع الوحدة الشيشانية التي أفنيت أثناء دفاعها الباسل عن قلعة بريست ضد الغزو النازي، واحب أن يكون لي دور في أن نجعل الغمامة التي بدأت تلبد سماء العلاقات الدافئة بين شعبينا تنقشع في اقرب وقت. واقترح أن نعمل معاً لتحقيق ما يلي:-

١- توقف الطرفين عن أية إجراءات توتر العلاقات الودية بين بلدينا.

٢- إنشاء طريق صالحة لسير المركبات على مدار السنة بين بلدينا. فيصبح بوسعكم الاستيراد والتصدير والاتصال مع العالم الخارجي من خلال موانئنا على البحر الأسود، مع تسهيلات خاصة في المعابر البرية والتي تربطنا بتركيا.

٣- مد خط أنبوب بين بلدينا لتصدير فائضكم من مشتقات النفط إلى بلدنا والى الخارج عبر ميناء باطوم.

٤- إننا على استعداد لبذل جهدنا وان نكون حلقة وصل بينكم والعالم الغربي، ونساعدكم على إقامة علاقات تجارية وثقافية معها.

ومقابل هذه التسهيلات نطلب منكم:-

١- كفوا عن التدخل في أزمتنا في ابخازيا . أنكم بتدخلكم تساندون الموقف الروسي الذي يسعى لضعضعة الوضع في جورجيا لإجبارها على الدخول في منظمة كومنولث الدول المستقلة (كانت جورجيا ومولدافيا ودول البلطيق رافضة الدخول في تلك المنظمة في ذلك الوقت).

٢- هذا الشخص الموجود عندكم (ويعني غامسخورديا الذي التجأ بعد طرده من جورجيا إلى شيشانيا) عاملوه كضيف، فنحن القوقازيون نعتز بإكرام الضيف، ولكن لا تعاملوه كرئيس دولة في المنفى ولا تسمحوا له القيام بنشاطات في بلادكم ضد النظام الجورجي. لم يكن لي دور في عزله. لأني كنت في حينه غائباً عن جورجيا ومشاكلها بل ومعتزلاً النشاطات السياسية. ألا أن غالبية الشعب الجورجي طالبت بعودتي وتحملي المسؤولية الحالية. إن وضع غامسخورديا شأن جورجي داخلي، لا تتدخلوا فيه.

ويقول بينو : بأنه كان مقتنعاً بتحليل شيفارنادزا للوضع، وانه كان يعني ما قاله حول توثيق العلاقات بين جورجيا وشيشانيا. ونقل انطباعاته للرئيس دوداييف . إلا أن دوداييف قال : "إن غامسخورديا هو الرئيس الشرعي لجورجيا، والمعارضين له متمردين على السلطة الشرعية، ولا نية لي في أن تعامل معهم". ويقول بينو بان موقف دوداييف هذا جعله يصر على الاستقالة التي قدمها للمرة الثالثة.

كان غامسخورديا مناضلاً ضد التسلط الروسي في بلاده، وتعرض للاعتقال اكثر من مرة، ونجح في انتخابات رئاسة الجمهورية بأغلبية كبيرة، إلا انه كان يحمل ميولاً دكتاتورية، وقومياً جورجياً متطرفاً، واستعمل القوة ضد تطلعات ابخازيا واوسيتيا الجنوبية للانفصال عن جورجيا. وعندما انهزم أمام قوات المعارضة فر أولاً إلى أرمينيا التي طلبت منه مغادرتها. فالتجأ إلى شيشانيا حيث استقبله دوداييف كرئيس دولة مجاورة. وسمح له بمزاولة النشاط السياسي. وعقدت في غروزني جلسة لما سمي ببرلمان جورجي في المنفى. وعندما مات جرى تشييع جنازته في غروزني بمراسيم عسكرية كبيرة. وكان ذلك تقديراً لتأييده عندما كان في السلطة في جورجيا للجمهورية الشيشانية في نزاعها مع روسيا .

وبالإضافة لتبنيه نشاطات غامسخورديا. تعرضت مبادرات أخرى قام بها دوداييف للانتقاد، ومنها على سبيل المثال:-

١- كان هونيكر السكرتير العام للحزب الشيوعي وحاكم ألمانيا الشرقية السابق قد التجأ بعد سقوط نظامه إلى روسيا ودخل إحدى مستشفياتها. إلا أن ألمانيا الشرقية طالبت بتسليمه لمحاكمته على الجرائم التي اقترفها خلال حكمه. فقررت روسيا سحب حق اللجوء عنه وأبعاده. عرض دوداييف استضافته في شيشانيا بدعوى انه مريض وشيخ ، إلا أن عرضه هذا فسر كمناكفة لروسيا اكثر من تعاطف مع عجوز مطلوب في بلده لمحاكمته على جرائم اقترفها خلال حكمه في ألمانيا الشرقية.

٢- اعتبر قطاع واسع من الشيشان مشاركة بضع مئات من المتطوعين الشيشان (بقيادة شامل بيساييف) في نزاع ابخازيا وجورجيا تدخلاً غير مبرر في الشؤون الداخلية لجمهورية مجاورة. بل قيم بعض المحللين هذا التدخل كمساندة عملية لروسيا التي كانت تسعى لفصل ابخازيا عن جورجيا وضمها للفدرالية الروسية.

٣- اعتبر تبنى دوداييف لمنظمة كونفدرالية شعوب شمال القوقاز سعياً منه لحث هذه الشعوب على الانفصال عن روسيا. وكانت هذه المنظمة الأهلية قد عقدت أول اجتماع لها في ابخازيا وانتخب السيد موسى شانيبوف القبرطاي من مدينة نالتشك رئيساً لها، والسيد يوسف سوسلامبيكوف رئيس لجنة العلاقات الخارجية في برلمان

جمهورية الشيشان مقراً لها . ومع أن ١٦ قومية من شمال القوقاز كانت ممثلة فيها، إلا انه لم تتمثل فيها مؤسسات حكومية إلا من جمهورية الشيشان، كما أن تمثيل عشائر داغستان كان محدوداً جداً. وفيما بعد انتقل مقر المنظمة إلى جمهورية الشيشان وأُعتبر دوداييف راعيا لها. وكان للبعض شكوكاً في فعالية هذه المنظمة، وادعوا بان تبني ورعاية دوداييف لهذه المنظمة غير الفعالة يولد تخوفاً وشكوكاً لدى روسيا ، ومبرراً لاتهام الشيشان بالتدخل لضعضعة الأنظمة الموالية لروسيا في شمال القوقاز.

٤- رأى البعض إن إصرار دوداييف على اعتراف روسي مسبق باستقلال وسيادة جمهورية الشيشان قبل الدخول في مفاوضات لتنظيم العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية والخدمات العامة، أضاع فرصاً ربما كانت ستؤدي إلى فك الحصار الاقتصادي، والعزلة السياسية عن شيشانيا . وكان قطاع كبير من الشعب الشيشاني لا يمانع في أن تكون جمهورية مستقلة منضمة إلى كومونولث الجمهوريات المستقلة الذي تشكل بعد حل الاتحاد السوفيتي السابق.

٥- وجهت انتقادات لتصريحات صدرت عن مسؤولين قصيري النظر في السلطة الشيشانية بأن الرد على أي اعتداء روسي على شيشانيا سيكون (حرق موسكو ومدناً روسية أخرى). هذه التصريحات الغبية أضرت بشكل كبير بصورة الشيشان كشعب يطمح بالسلام ويسعى إلى إنشاء علاقات تعاون مع جميع الدول بما فيها بل وأولها روسيا .

٦- قام دوداييف بزيارات مكوكية إلى بعض الدول مثل دول البلطيق والسعودية والكويت والعراق والسودان ولبنان والأردن وتركيا وجمهورية شمال قبرص وبريطانيا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة. ومع أنه اجتمع برؤساء بعض هذه الدول، إلا أن زياراته هذه لم تكن وفق برنامج منظم ومخطط محدد وأهداف معينة. ولذلك فإنها لم تسفر عن اعتراف أي منها باستقلال وسيادة جمهورية الشيشان ، وإنشاء علاقات محددة لها صفة الاستمرارية ، أو مساندة مادية أو دبلوماسية ، مما حدى بوزير الخارجية أن يصرح بأنه "ينبغي أن نركز الجهد لحل مشاكلنا مع الشمال (أي روسيا) حتى يفتح لنا الطريق لإنشاء علاقات مع الغرب والجنوب (أي أوروبا والبلدان الإسلامية)".

الوضع الأمني

رافق انهيار الاتحاد السوفيتي، تدهوراً سريعاً في الوضع الأمني والاقتصادي في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي السابق. ونشبت داخل بعضها أو مع جيرانها نزاعات حدودية وعرقية اتسمت بعضها بمواجهات عسكرية على مستويات مختلفة. وساء الوضع المعيشي للمواطنين وعمت البطالة وارتفعت الأسعار بنسب تصاعدية سريعة . وانهارت قيمة الروبل إلى الحضيض، وامتلأت شوارع موسكو ومدن أخرى بالمتسولين والمدمنين على المخدرات. وفي غمرة فوضى وغياب سلطة القانون تشكلت مافيات مارست نشاطات إجرامية شملت عمليات سلب وتزوير وخطف الرهائن والاغتيالات وغير ذلك، قاست منها شيشانيا مثل باقي الاتحاد السوفيتي السابق.

يعود هذا التدهور في روسيا لسبب رئيسي وهو الفساد الذي استفحل في التسعينات من القرن الماضي في مؤسسات الدولة في موسكو على أعلى المستويات . وضمن خطة الانتقال إلى الاقتصاد الحر التي شملت خصخصة لمؤسسات الدولة، شكل عشر أفراد (خمس منهم يهود) كارتيلا مكنت سبعة بنوك من السيطرة على ، أو الشراء بأسعار رمزية بخسة جداً ، أكبر مصادر الثروات الطبيعية والمجمعات الصناعية ووسائل الإعلام من صحافة ومحطات الإذاعة والتلفزيون وغير ذلك. وقال أحدهم (بوريس بيرزوفسكي) بأنهم يسيطرون على ٥٠٪ من الناتج الوطني الإجمالي لروسيا وهؤلاء العشرة هم:

١- فكتور تشيرنوميردن – رئيس الوزراء سيطر على مؤسسة Gazprom للطاقة واصبح أغنى رجل في روسيا.

٢- فلاديمير بوتانين – نائب رئيس الوزراء سيطر على بنك Oneximbank ومجمع Norilsk Nickel الصناعي وجريدة Komsomskaya Pravda وغير ذلك.

٣- اناتولي تشوباس وزير الخصخصة، ومدير حملة يلتسين للانتخابات الرئاسية، ومسؤول تخصيص النفقات العسكرية.

٤- بيوترآفن – وزير التجارة الخارجية ومن أكبر أصحاب بنك Alpha .

٥- بوريس بيريزوفسكي – نائب سكرتير مجلس أمن الدولة الروسي (جنسية روسية إسرائيلية مزدوجة) امتلك محطة تلفزيون ORT، كما سيطر على محطة التلفزيون المركزي للدولة ، ومحطة روسيا المستقلة للتلفزيون ، ومجلة Nazavisimaya وغيرها.

٦- فلاديمير جوينسكي – سيطر على بنك The MOST Group ومحطة التلفزيون NTV وجريدة Sygodnya ومجلة Itogi وغير ذلك.

٧- ميخائيل جوردوركوفسكايا – رئيس بنك Menatep .

٨- الكسندر سمولنسكي – سيطر على بنك Stolichny .

٩- ميخائيل فريدمان – من اكبر أصحاب بنك Alpha.

١٠- Tatiana Dyachenko – ابنة يلتسين المدللة ومستشارته المقربة، وبالاشتراك مع عشيقها تشوباس قادت حملة يلتسين للانتخابات الرئاسية.

وهذه المجموعة التي كانت نواة (حزب الحرب) بالنسبة للنزاع الروسي الشيشاني قامت بتمويل ٥٠٠ مليون دولار لحملة يلتسين لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٦ (مع العلم بأن الحد الأعلى للصرف على الحملة بموجب القانون الروسي كان ٣ مليون دولار فقط) ، واستعانت بأمريكيين مختصين في العلاقات العامة والحملات الانتخابية بما فيهم خبيراً كان قد تولى رئاسة الحملة الانتخابية للحزب الجمهوري في أمريكا.

قال سيرجي كوفاليوف مفوض حقوق الإنسان الروسي عن نشاطات هذه المجموعة " سرقات ... سرقات .. يسرقون كل شيء ولا يستطيع أحد أن يمنعهم " .

وكان هم هذه المجموعة الإثراء السريع بدون مخاطرة، وذلك بتصدير المواد الخام بدون تصنيع، فتدنى قيمة الإنتاج الصناعي الروسي إلى أقل من ٦٠٪ من إنتاج أسبانيا. وحسب تقارير البنك الدولي، قدرت قيمة صادرات روسيا عام ١٩٩٥ حوالي ٧٩,٥ بليون دولار منها ٥٨,٢ بليون دولار (٧٣٪ من قيمة الصادرات) مواد خام (نفط، غاز، معادن، خشب، أحجار كريمة ... الخ). في حين أن قيمة الصادرات من البضائع المصنعة قدرت حوالي ٢١,٣ بليون دولار منها ٤,٧ بليون دولار سيارات

و٦,٢ بليون دولار خامات مصنعة و ٣,٥ بليون دولار معدات متنوعة و ٦,٩ بليون دولار بضائع مصنفة أخرى.

وقد أدت المعاناة المعيشية وكذلك التنافس على نهب موارد البلاد إلى شيوع الإجرام، ونشوء مافيات ومجموعات إرهابية وإجرامية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي السابق . ومن بينها ما سميت (المافيا الشيشانية) التي عملت الدعاية الروسية على الإشارة إليها وإبرازها في إعلام مكثف.

وكما جاء في كتاب (شيشانيا – شاهد قبر القوة الروسية Chechnya Tombstone Of Russian... فإن روسيا ما عدا كونها قوة عسكرية نووية ولها مقعد دائم وحق صوت الفيتو في مجلس الأمن الدولي، غدت من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى التعليمية في مصاف دول العالم الثالث.

ومن الأسباب التي بررت بها روسيا غزوها لجمهورية الشيشان المستقلة في ديسمبر ١٩٩٤ . زعمها بأن السلطة الشيشانية كانت واقعة تحت تأثير منظمات المافيا التي تقوم بنهب موارد البلاد.

والحقيقة أن المافيات في الاتحاد السوفيتي السابق والفدرالية الروسية نشأت وتجذرت وكان مركز نشاطاتها في روسيا وبالأخص العاصمة موسكو، والسلطات الروسية هي الواقعة تحت تأثيرها بل وتقوم برعايتها. جاء في كتاب (Russia & Chechnya, The Permanent Crisis, " أن اتهامات الحكومة الروسية بأن شيشانيا أصبحت خاضعة للعصابات الإجرامية مضللة. صحيح بأن ما سميت بالمافيا الشيشانية كان لها وجود في القوقاز وفي أنحاء أخرى من الفدرالية الروسية، غير أن المئات من المافيات انتعشت وتجذرت في جميع أنحاء روسيا بتعاون وتنسيق مع مسؤولين حكوميين مدنيين وعسكريين.

وفي هذا الصدد قال (Mintry Algorkin)، نائب وزير الداخلية الروسي المسؤول عن مكافحة الجريمة المنظمة، "بأنه كانت في روسيا عام ١٩٩٤ حوالي ٢٥٠٠ منظمة مافيا يتراوح عدد أعضاء الواحدة من عشرة إلى عدة مئات، وعمت نشاطاتها جميع أنحاء روسيا. كانت حوالي ٤٠٠ من هذه المافيات تغلب عليها صبغة عرقية من

شمال وجنوب القوقاز وغيرها من قوميات الفدرالية الروسية ، واحدة منها المافيا الشيشانية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار بان عدد سكان جمهورية الشيشان حوالي ١,٣ مليون نسمة ٢٢٪ منهم من الروس، فإن الادعاء بأن العصابات الإجرامية الشيشانية كانت تخل بالأمن في روسيا غير صحيح".

"إن المافيا الشيشانية كانت متجذرة وناشطة خارج حدود الجمهورية الشيشانية، ولا علاقة بين الغزو الروسي للشيشان ومكافحة الإجرام في روسيا".

كما زعمت روسيا بأن المقاتلين الشيشان هم تجمعات عصابات متمردة خارجة على القانون، تنشر الفوضى والإرهاب في شيشانيا.

ونسبت إلى من دعتهم بعصابات شيشانية وجماعات إرهابية إسلامية عمليات وقعت في جنوب روسيا.. منها عمليات احتجاز باصات مع ركابها من الطلاب والمدنيين للمطالبة بفدية مالية كبيرة مقابل إطلاق سراحهم، ومقتل عاملين في مؤسسة الصليب الأحمر ، وكذلك ممثلي شركة اتصالات دولية، واختفاء خبير إغاثة أمريكي، واختطاف شخصيات ومراسلين روس، واختلاس ما يزيد عن ٧٥٠ مليون دولار أمريكي من بنوك روسية من خلال سندات مالية مزورة، وسلب قطارات، وكذلك تفجير مجمعات سكنية في موسكو ومدن روسية أخرى أودت بحياة اكثر من ٣٠٠ من قاطنيها المدنيين ، وانفجارات في مترو موسكو وغيرها.

إلا أن السلطات الروسية لم تقدم أية أدلة على تورط الشيشان بهذه العمليات، ولم تسم أية جهة محددة ولم تقدم أحداً للمحاكمة لعلاقته بهذه العمليات. وأخذت الاتهامات توجه إلى أوساط روسية عليا (سياسية وبوليسية) بأنها كانت وراء التخطيط والإيعاز بتنفيذ هذه العمليات لغايات انتخابية، أو كمبرر لإشعال حروب فساد تمكن هذه الأوساط من نهب وسرقة أموال قروض صندوق النقد الدولي وغيرها وتحويلها إلى حسابات مسؤولين فاسدين في بنوك خارجية قبل وصولها إلى موسكو. وكذلك تصدير خامات روسيا (نفط ... حديد .. خشب.. الخ) قبل تصنيعها. وبيع اسلحة ومعدات القوات الروسية بدعوى صرفها أو استهلاكها في حروب الشيشان.

وكان فاسلاف هافل رئيس التشيك ممن وجه هذا الاتهام إلى السلطات الروسية في مقابلة له نشرت في العدد ١٩٩٩/٤٥ من مجلة دير شبيغل الألمانية الأسبوعية ، إذ قال : "بان العمليات الإرهابية في جنوب روسيا والقوقاز هو إرهاب روسي ومن تخطيط وتنفيذ وكالات روسية". وبثت شبكة CNNTEXT بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٦ خبراً بأن الملياردير الروسي (Boris Berezovsky) (الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في الكرملين قبل وقوع خصام بينه وبين بوتين على خلفية اقتسام المغانم) صرح بأنه سيطلب من الاتحاد الأوروبي إجراء تحقيق حول اتهامات بأن الوكالات السرية الروسية هي التي خططت ونفذت عمليات تفجير المجمعات السكنية التي أودت بحياة أكثر من ٣٠٠ من المدنيين القاطنين فيها. وعرض فيلما يتهم الأجهزة الأمنية بترتيب هذه التفجيرات .

وكان ضابط مخابرات روسي سابق قد اتهم أيضاً المخابرات الروسية بتنفيذ هذه التفجيرات وجاء في العدد الصادر بتاريخ ٢٠٠٢/٧/٢٧ من جريدة الرأي بان (النيابة الروسية تستدعي عضواً في لجنة التحقيق في اعتداءات ١٩٩٩) . ليس بين المتهمين أو الذين يجري معهم التحقيق حول هذه التفجيرات أي شيشاني بل أجهزة الأمن الروسية.

ولعل اشد اتهام مباشر للوكالات الأمنية الروسية بأنها المسؤولة عن تنظيم عمليات إرهاب كانت تعزوها إلى الشيشان للإساءة إلى سمعتهم ومبرراً لغزو جمهوريتهم، هو ما ورد في كتاب (The War in Chechny) بأن غموضاً احاط بالعمليات الإجرامية والإرهاب التي سادت في حينه ونفذت في ظروف حرب وبتخطيط أجهزة عمليات متخصصة ، لكي يتعذر تحديد مسؤوليتها أو العثور على شهود عنها.

كانت الدعاية الروسية تروج بأن نظام دوداييف، نظام إجرامي، يقترف الجرائم بحق سكان جمهورية الشيشان (التي أدعت روسيا بأنها جزء من الفدرالية الروسية). هذه الدعاية تطلبت وقوع عمليات إجرامية، وعندما لم يقدم نظام دودابيف على اقترافها، كانت هناك ضرورة لاقترافها على أن تعزى إلى نظام دودابيف.

وورد في مقالة نشرها (Algirdas Endriukaitis) عضو البرلمان الليتواني، ورئس اللجنة البرلمانية الدولية للتحقيق في القضية الشيشانية في جريدة (Lietruvos Aidas) اليومية بتاريخ ١٩٩٧/١٠/٢٣ بأن روسيا قامت خلال حرب ١٩٩٤-١٩٩٦ بتشكيل فرق متخصصة لافتعال أحداث وظروف تمس بسمعة النظام الشيشاني وقال:-

"بأنه جرى عام ١٩٩٤ الإفراج عن ٢٠٠٠ من المجرمين العتاة من سجون روسيا والشيشان. واقامت المخابرات الروسية مركزاً في منطقة (Prudboja) في إقليم فولغاغراد لتنظيم هؤلاء المجرمين وتدريبهم على القيام بعمليات قتل واختطاف وسلب وما شابهها للإساءة إلى سمعة الشعب والنظام الشيشاني. وعند انتهاء الحرب لم تكن روسيا بحاجة إلى تشكيل وتدريب مجموعات جديدة لاقتراف مثل هذه العمليات، إذ كان بوسعها الاختيار من التنظيمات السابقة ممن يناسب المهمة المقصودة.

وأضاف "أن بعض هذه المجموعات كانت بدائية تناسب عمليات بسيطة أو متوسطة، إلا انه كانت هناك مجموعات أفضل تنظيماً وتدريباً وتسليحاً تناط بها مهمات خاصة مثل اختطاف شخصيات مهمة. وكانت المجموعة تقوم ببيع الرهينة إلى الجهة التي أمرت بتنفيذ العملية. وتقوم هذه الجهة بدورها بنقل الرهينة إلى خارج جمهورية الشيشان أو الاحتفاظ بها داخل الجمهورية. وحتى في حالات نقل الرهينة إلى خارج الجمهورية، كان الترتيب المتبع إجراء مفاوضات إطلاق سراحه داخل الجمهورية بقصد الإساءة إلى سمعة الشعب والنظام الشيشاني.

وأما اختطاف شخصيات مهمة فكان بمشاركة من:-

- المجموعة المدربة التي تقوم بتنفيذ علمية الاختطاف.
- الممثل المحلي المقيم للمؤسسة البوليسية الذي يقوم بنقل أوامر تنفيذ العملية.
- المؤسسة البوليسية (المخابرات) التي تقوم بالتخطيط والأمر بتنفيذ العملية بناء على متطلبات سياسية وتوجيهات دوائر عليا.

"وحسب هذا التنظيم تكون المجموعة التي تنفذ العملية هي التي يتردد ذكرها في الحملة الإعلامية، ويكون إثبات تورط المؤسسة الرئيسية متعذراً.

"وفي الوقت الحاضر (أكتوبر ١٩٩٧) توجد في جمهورية اوسيتيا الشمالية المجاورة للشيشان مركزاً للمخابرات الروسية، أنيطت به مهمات التخطيط والإشراف على تنفيذ عمليات من النوع الذي يسئ إلى سمعة الشعب والنظام الشيشاني، وتولد انطباعاً بأن شيشانيا أصبحت ملاذاً لتجمع المجرمين بحيث أصبح من المتعذر على المواطنين أن يعيشوا في سلام واطمئنان.

"كما وأن التوقف عن دفع الأجور ورواتب التقاعد، والحصار الاقتصادي، وإغلاق المطارات، والامتناع عن التعويض عن خسائر وإضرار الحرب، يقصد منها بأن تولد شعوراً بأن الشيشان لا يستطيعون العيش بدون روسيا".

وختاماً هناك قناعة واسعة بأن أجهزة المخابرات الروسية، والتشكيلات والمجموعات الإجرامية التي جندتها ودربتها هي المسؤولة عن الإجرام والإرهاب في القوقاز كما قال الرئيس التشيكي هافل في لقائه المشار إليه في هذا البحث. والرئيس بوتين بعقلية رئيس لدائرة المخابرات التي نظمت وجندت هذه المجموعات ، لم يتورع عن تفجير تجمعات إسكانية وقتل مئات من مواطنيه المدنيين حتى يجد مبرراً لغزو الشيشان بغية رفع شعبيته وضمان نجاحه في انتخابات مقبلة.

وتتناقل وسائل الإعلام العالمية الآن بان المافيا الروسية تغلغلت في كل القارات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بجرائمها المنظمة بدءاً من كارتل المخدرات في كولومبيا إلى تهريب الأسلحة في إفريقيا ، مروراً بالأوساط الرياضية. وقال ضابط في أحد أجهزة الشرطة الغربية المسؤل عن مكافحة الجريمة المنظمة "إن أي بنية إجرامية في العالم لم تصل إليه الحد الذي وصلت الجريمة المنظمة الروسية من نفوذ سياسي في بلد غني بالموارد الطبيعية".

وجاء في العدد الصادر بتاريخ ٩ / ١٠ / ٢٠٠٢ من جريدة الرأي الغر

٣٢٧ جريمة قتل مأجورة في روسيا خلال العام الماضي

"موسكو-(أف ب)- يعتبر اغتيال حاكم منطقة ماغادان آخر حلقات سلسلة من الجرائم المأجورة التي ارتكبت في روسيا وبلغ عددها ٣٢٧ جريمة عام ٢٠٠١ وقد طاولت كل شرائح المجتمع من رجال أعمال إلى نواب ورؤساء بلديات ومسؤولي جمارك أو مسؤولين في شرطة الضرائب.

ومن بين الجرائم ٣٢٧ التي ارتكبت العام الماضي في روسيا ١٤٢ منها فقط كشفت ملابساتها بحسب النيابة العامة.

وفي الثمانينات خلال المرحلة السوفيتية، بلغ عدد الجرائم في العام ٥٠ جريمة حدا أقصى.

وكانت جريمة قتل النائبة الليبرالية في سان بطرسبرغ غالينا ستاروفويتوفا التي تحظى باحترام كبير في أوساط جمعيات حقوق الإنسان، أثارت صدمة كبيرة في روسيا. و لم تكشف ملابسات هذه الجريمة رغم اعتقال العديد من المشتبه بهم.

وتنفذ ٩٠ في المائة من هذه الجرائم "لأسباب اقتصادية" باعتبار أن رجال الأعمال ومنهم أجانب هم ابرز ضحايا هذه الظاهرة . وتنفذ هذه الجرائم عادة بالرصاص غير إن وضع متفجرات في سيارة الضحية هي أيضا من الوسائل المستخدمة. وتقول الشرطة أن ١١١ مجموعة إجرامية تعمل في روسيا . وأدين ١٥٠ شخصاً في هذه الجرائم خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ولكن في حوالي ثمانين في المائة من هذه الحالات، أدين القتلة المأجورين وليس المخططين لهذه الجرائم، حسب ما قال أخيراً المسؤول في النيابة العامة يوري لكانوف".

وبعد انتخابه رئيساً أصيلاً للفدرالية الروسية ، قام بوتين بإصدار قوانين تقلص وتحد من صلاحيات الرؤساء والحكام المنتخبين للجمهوريات والمقاطعات والأقاليم ذات الحكم الذاتي في الفدرالية الروسية إلا انه لم يتخذ أية إجراءات رادعة و لم يصدر أية تشريعات تحد من نشاط المافيات الروسية ، وفساد الدوائر التي تقوم بنهب وسرقة موارد الدولة المختلفة.

الفصل السادس

المعارضة الشيشانية ومراكز القوى الروسية

كما ورد في الفصل الثاني من هذا الكتاب، توصل دوداييف إلى الحكم من خلال نزاع على السلطة بين مؤسسات الحكم الشيوعي في جمهورية الشيشان – انجوش والمؤتمر القومي للشعب الشيشاني، رجحت فيه كفة المؤتمر واستقالت كوادر مؤسسات الحكم الشيوعي في الجمهورية ممثلة بالبرلمان، وكذلك السكرتير الأول للحزب ورئيس برلمان الدولة دوكة زفجاييف . إلا أن هذه الكوادر التي انتقلت إلى المعارضة بقيت نشيطة ولها أنصار بين الجماهير التي كانت قد أخذت تتذمر من تدهور في الوضع الاقتصادي وأحوال المعيشة. وأما زفجاييف نفسه فقد انتقل إلى موسكو وتولى مراكز في الإدارة الروسية وكان له موقف ضد نظام دوداييف خلال الغزو الروسي لشيشانيا (١٩٩٤- ١٩٩٦) كما سيرد فيما بعد.

وكما ورد في الفصل الثاني أيضاً ... كان التيار الراديكالي قد سيطر على الدورة الثانية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني الذي عقد في حزيران ١٩٩١، فانسحبت مجموعة من المثقفين الذين نظموا عقد الدورة الأولى للمؤتمر . وقد شكلت هذه المجموعة حزباً معارضاً سموه (حركة وطن الأباء) اعتمدت أسلوب معارضة ديموقراطية تسعى لاكتساب ثقة شعبية تمكنها من الوصول إلى الحكم من خلال صناديق الاقتراع. وفي زيارة لي مع شقيقي أمين لرئيس هذه المجموعة المهندس عمخايوف الذي كان يرأس اللجنة التي نظمت انعقاد الدورة الأولى للمؤتمر، شرح بأن حركته تعارض محاولات مجموعات المعارضة التي تدعو لإسقاط نظام دوداييف من خلال انقلاب أو أساليب غير ديمقراطية ، حتى لا تصبح سابقة كما هي الظاهرة في دول العالم الثالث. وشامل بينو أول وزير خارجية في نظامه استقال بعد اختلافه مع

دوداييف على خلفية التعامل مع جورجيا وانضم إلى هذه الحركة كما انضم إليها سلامبيك حجاييف والبروفيسور جبرائيل جاكاييف رئيس كلية السياسة في جامعة غروزني .

وحتى المجموعة الراديكالية التي سيطرت على الدورة الثانية للمؤتمر القومي عام ١٩٩١ وأوصلت دوداييف للحكم، انفرط عقدها، وانتقل بعض ابرز أعضائها إلى معارضة دوداييف. منهم حسين احمدوف ويوسف سوسلامبيكوف ويراغي محمدوف (الذي فتح مكتباً في شقته في فندق في موسكو باسم رئيس وزراء حكومة الثقة الوطنية) ، ولكنهم كانوا معارضين لتدخل روسيا في الشؤون الداخلية لجمهورية الشيشان وكذلك الغزو العسكري الروسي للجمهورية. إلا أن البعض الآخر من المعارضين، ومنهم بسلان غانتميروف ورسلان لابازانوف وسلامبيك حجاييف تعاونوا مع حركة عمرا فتزخانوف التي تبنتها روسيا ودعمتها بالقوة العسكرية كما سيرد فيها بعد .

ومن ابرز الشخصيات الشيشانية التي كانت تقيم في موسكو، وكان لها دور كبير في دعم دوداييف أثناء نزاعه مع زفجاييف (الذي كان يعتبر مناصراً لغورباتشوف أثناء نزاعه مع يلتسين) كان رسلان خاسبولات رئيس البرلمان الروسي والجنرال اصلانبيك اصلاخانوف رئيس اللجنة الشرعية في البرلمان المذكور . وكان هذان الشيشانيان البارزان عضوين عن الجمهورية الشيشانية في البرلمان الروسي. وكانا يعارضان انفصال الجمهورية عن الفدرالية الروسية.

وصل اصلانبيك اصلاخانوف إلى رتبة جنرال في قوات وزارة الداخلية الروسية، وقامت وحدته بحماية البيت الأبيض (مقر الحكومة الروسية) أثناء محاولة المجموعة الشيوعية المتطرفة الانقلاب على غورباتشوف في أغسطس ١٩٩١ عندما وقف يلتسين رئيس البرلمان الروسي ونائبه رسلان خاسبولات ضد هذه المحاولة واستطاعا إفشالها. ورافق اصلاخانوف رئيس الحكومة الروسية بيغور جيدار أثناء

زيارته لشمال القوقاز عندما وقع النزاع الدامي بين الانجوش والاوسيت عام ١٩٩٢، الذي تسبب في مقتل المئات من الانجوش وطردهم جميعاً (حوالي ٦٠٠٠٠ شخص) من لواء بريغورودني المتنازع عليه، ولم يسمح لهم بالعودة لمنازلهم وأملاكهم لغاية تاريخه. وكان اصلاخانوف ضمن وفد البرلمان الروسي الذي قام برئاسة خاسبولات بزيارة الأردن وبعض بلدان الشرق الأوسط عام ١٩٩٣. جلسنا معه (أنا واللواء المتقاعد عبد اللطيف سيد بطل والدكتور فخري الداغستاني) في غرفته في فندق شيراتون حوالي أربع ساعات في حديث ودي بعيد عن الرسميات والقيود، وأخذت انطباعاً جيداً عن وعيه . وكان قد اتصل معي هاتفياً يطلب مني حضور ندوة عن مستقبل جمهورية الشيشان عقدت في موسكو في شهر نوفمبر عام ١٩٩٤، إلا أنني اعتذرت لأنني اعتبرت بأن عقد الندوة في موسكو في ذروة النزاع الروسي مع نظام دوداييف يعتبر انحيازاً للجانب الروسي. وقد صدق ظني، إذ صدرت عن الندوة بيانات تندد بنظام وشخص دوداييف .

وأما البروفيسور رسلان خاسبولات، فكان لا يقل شهرة عن دوداييف في روسيا وخارجها. وكانت شعبيته (حسب زعمه) الأكبر في شيشانيا. اقتصادي وسياسي بارز، رئيس دائر الاقتصاد الدولي في الأكاديمية الاقتصادية الروسية ويحمل درجات وأوسمة علمية فخرية عديدة. انتخب نائباً عن جمهورية الشيشان – انجوش في البرلمان الروسي. وقف مع يلتسين ضد الحركة الانقلابية التي قام بها المتشددون الشيوعيون في أغسطس ١٩٩١. وعندما انحل الاتحاد السوفيتي انتخب نائباً أول لرئيس البرلمان الروسي بوريس يلتسين وعندما صدر دستور الفدرالية الروسية وانتخب يلتسين رئيساً للفدرالية تم انتخاب خاسبولات رئيساً لبرلمان الفدرالية. ومع انه كان من رواد حركة تحرير الاقتصاد الروسي إلا انه اختلف حول مسار هذه الحركة وكان معارضاً للصلاحيات الواسعة التي منحها الدستور لرئيس الجمهورية . وترأس الجانب البرلماني في النزاع على الصلاحيات بين الحكومة والبرلماني الروسي الذي أدى أفي أكتوبر

١٩٩٣ إلى قصف مبنى البرلمان بالدبابات ، أدى إلى تدمير بعض طوابقه وقتل اكثر من ١٤٠ شخصاً من الذين تواجدوا فيه، واعتقال خاسبولات وحليفه الجنرال روتسكوي (نائب رئيس الجمهورية) وعدد كبير من المتعاونين معهما وإيداعهم السجن، وبقوا في السجن إلى أن صدر عفو عنهم من البرلمان الروسي بتاريخ ١٩٩٤/٢/٢٣.

كنت اعتز بهذا الشيشاني الذي وصفته مجلة التايم الأمريكية (المسؤول الروسي الرفيع الوحيد الذي يتقن ويستعمل جهاز الكومبيوتر الموجود في مكتبه)، والقادر على مقارعة قيصر روسيا الجديد (يلتسين) في مركز سلطته. إلا أن انطباعي الإيجابي عنه قد تبدل نتيجة مواقفه في النزاع الروسي الشيشاني.

كانت طائرة نقل من السلاح الجوي الملكي الأردني أول طائرة غير روسية تحط في مطار غروزني في شهرا آب ١٩٩٢، نقلت (هدية أدوية وملتزمات طبية من الشعب الأردني إلى شعب جمهورية الشيشان). وحيث أن تقديم الهدية كان بتنسيق مع الحكومة الروسية ، كانت سفارتها في عمان قد أخبرتنا بأن رسلان خاسبولات بصفته نائباً عن جمهورية الشيشان في البرلمان الروسي قد يلتقي بالوفد المرافق للهدية (برئاسة الدكتور عبد السلام العبادي أمين عام الهيئة الهاشمية الخيرية) عندما تحط في مطار في موسكو في طريقها إلى غروزني ، إلا أن خاسبولات لم يحضر إلى المطار.

التقيت به عندما زار عام ١٩٩٣ الأردن على رأس وفد برلماني روسي في جولة لبعض بلدان الشرق الأوسط. وكانت السفارة الروسية قد رتبت لقاء لبعض الشخصيات الشيشانية (منهم الدكتور فخري الداغستاني واللواء المتقاعد عبد اللطيف سيد بطل والمهندس عارف بهاء الدين والمؤلف) والشركسية (ومنهم المرحوم اللواء فواز ماهر والسفير السابق الدكتور وليد طاش وغيرهما) مع خاسبولات في دار السفارة في عمان . وجه خاسبولات خلال اللقاء انتقاداً شديداً لنظام دودايف، وعارض حركة استقلال شيشانيا على اعتبار عدم توفر الإمكانيات التي تؤهلها لان تكون دولة مستقلة. تصديت له وقلت أن الأردنيين الشيشان يعتبرون حكومة

دودايف الحكومة الشرعية المنتخبة من الشعب الشيشاني، ويؤيدون الحركة الاستقلالية ولا يعتبرون شيشانيا جزءاً من روسيا، بل مستعمرة محتلة تعرضت لإجراءات قمعية قاسية، وانه آن الأوان ليتخلص الشيشان من هذا التعسف المستمر. وقد أيد كلامي كل من المرحوم فواز ماهر والدكتور وليد طاش، وقالا بأن الأردنيين الشراكسة أيضاً يعتزون بالحركة الاستقلالية الشيشانية.

كما التقيت مع خاسبولات في يومين متتاليين خلال زيارة له (بدون صفة رسمية) للأردن عام ١٩٩٦، ورتبت مقابلة له مع الصديقين الصحفيين الأستاذ صالح القلاب والأستاذ طاهر العدوان . وتساءل خاسبولات عن إمكانية عقد ندوة دولية في عمان من اجل السعي لإيقاف الحرب. أخبرته بان اللجنة الأردنية لمناصرة شعب جمهورية الشيشان نظمت ورقة عمل لعقد ندوة للسعي لإيقاف القتال والدعوة لإعادة أعمار وتأهيل شيشانيا، وأرسلت وفداً للاتصال مع جمعيات ولجان في تركيا تناصر القضية الشيشانية لهذه الغاية. إلا إننا بسبب الحساسيات التي كانت لا تزال قائمة اثر حرب الخليج نرى أن المكان الأنسب لعقد الندوة هو استنبول أو الرياض. ولا اعرف أن كان خاسبولات قد تابع مسعاه أم أن ما ذكره كان حديثاً عابراً .

أنني اعتقد أن مواقفه السياسية أضرت بالقضية الشيشانية. ولعل إقحامه للقضية الشيشانية في نزاعه مع يلتسين كان عاملاً في بدء الغزو الروسي لشيشانيا قبل استنفاذ وسائل أخرى لحل النزاع ، وذلك خوفاً من أن تتاح لخلاسبولات العودة إلى دائرة السلطة في روسيا من خلال النافذة الشيشانية . وأخذت انطباعاً من خلال النشرة التي أصدرها تحت عنوان (الشيشان : لم يتركوني أوقف الحرب)، والتي نشرت جريدة الرأي ترجمة عربية لها في أربع حلقات في إعدادها التي صدرت بتواريخ ٣، ٤، ٦، ٧ من شهر نيسان ١٩٩٩ بأن مواقف خاسبولات كانت (روسي أكثر من الروس)، معارض متشدد لأية حركات استقلالية في الشيشان أو غيرها من المستعمرات الروسية.

صدق خاسبولات في مقدمة نشرته في قوله :"بان روسيا تدعي زوراً بأن غزوها لشيشانيا هي (عملية قتالية للقضاء على العصابات المسلحة)، فهي بهذا الادعاء تصادر حق شعوب القوقاز بتسميتها حرب وطنية أو حتى حرب أهلية".

وصدق أيضاً عندما اتهم القيادة العسكرية الروسية. بتوريط جيش غير مجهز في حرب غير شريفة ضد شعبه.

كما صدق في تحليله للأوضاع المعيشية والصحة والتعليم والعمل المتردية في جمهورية الشيشان تحت الحكم الشيوعي، وان ما نسبته ١٪ فقط من دخل النفط والموارد الطبيعية الأخرى كانت تخصص للجمهورية. وان الانتلجيسيا الشيشانية والانجوشية التي بدأت تتبلور كانت تجري ملاحقة أيدلوجية لها. وان المناصب الرئيسية التي أتيحت للشيشان والانجوش كانت حصراً للمتزوجين من روسيات.

ثم بدأ يكشف عن مواقفة الحقيقية تجاه القضية والشخصيات الشيشانية. فمثلاً يقول في نشرته :-

١- عندما انتخب دوكة زفجاييف سكرتيراً أول للحزب الشيوعي في جمهورية الشيشان، ابتهج الشيشان، إلا انه في عهده تفشت ظواهر الرشوة والفساد (وكأن الوضع في عهود من سبقوه من الروس كان على احسن ما يرام ؟ - المؤلف)

٢- فكرة عقد المؤتمر الوطني الشيشاني كانت الضربة القاصمة التي أصابت وحدة الجمهورية مع روسيا. وان المنظمة الحزبية برئاسة زفجاييف ومجلس سوفيت الجمهورية كانت الأب الروحي للمؤتمر. (والحقيقة أن زفجاييف حاول عرقلة عقد المؤتمر - المؤلف) .

٣- يعارض مصادقة مجلس السوفيت الأعلى السوفيتي بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٦ على قانون ينص على : (اعتبار الجمهوريات الاتحادية وجمهوريات الحكم الذاتي اعضاء في الاتحاد السوفيتي). أي انه يعارض إعطاء صلاحيات أوسع لجمهوريات الحكم الذاتي.

٤- يتهم دوداييف والمنظمة الحزبية وبرلمان الجمهورية في الشيشان باختطاف الشعارات النارية " فقط الاستقلال التام يعطينا إمكانية الازدهار".

٥- يدعي ، بأن خروج الجماهير الغفيرة إلى الشوارع أثناء محاولة المجموعة الشيوعية المتطرفة الانقلاب على غورباتشوف ، كانت قد خدعت بإدعاء أن هذه المظاهرات يقصد منها تأكيد شعبية خاسبولاتوف.

٦- صعق عندما وردت إليه إخبارية بأن دوداييف قد بدأ بإنشاء قوات مسلحة (مشاة ومدفعية وسلاح جو وهيئة أركان) . فألح على وزير الدفاع المارشال شاميشينكوف وخلفه غراتشيف سحب جميع الأسلحة الروسية من شيشانيا قبل استيلاء دوداييف عليها. "إلا أن الفاسدين في موسكو كانت لهم مصلحة بالمتاجرة بهذه الأسلحة من خلال شراكة مع نظام جمهورية الشيشان".

٧- يقول بأنه عاد إلى الشيشان بناء على إلحاح الشعب واصدر بتاريخ ١٩٩٤/٩/١٨ بياناً موجهاً للشعب الشيشاني تهجم فيه على دوداييف الذي يدعى بناء نظامه على قيم مبادئ الشريعة الإسلامية. إلا انه خلال ثلاث سنوات من حكمه لم يجر بناء مسجد واحد في الجمهورية. (والحقيقة انه عندما زرت الجمهورية عام ١٩٩٢، كان العمل جارياً في بناء عشرات المساجد في مختلف أنحاء الجمهورية منها ثلاث مساجد في بلدة بينوي التي هاجر منها والدي – المؤلف).

٨- ادعى في بيانه "بانه لا يسعى إلى أي منصب إداري أو انتخابي في غروزني أو في موسكو، بل يقف إلى جانب حل سلمي للمأساة ويأخذ على عاتقه هذه المهمة ". ويقترح أن يساعده لجنة من ١٠- ١٢ من الشخصيات الشعبية والزعامات الروحية تضمن تنفيذ وتطبيق الاتفاقيات التي تتم بين النظام والمعارضة . ويشترط في سبيل ذلك أن يتخلى دوداييف ونائبة فوراً عن المناصب التي يحتلونها ، ويضمن هو (الذي لا ترد له كلمة – المؤلف) حصانته وأركان النظام الآخرين من أية ملاحقة قانونية "مع انهم لوثوا سمعة الشعب الشيشاني" حسب زعمه .

٩- اقترح تشكيل لجنة وساطة مشكلة من ١٣ عضواً برئاسته وجميع الأعضاء الآخرين من رجال الدين (مع انه كان يتهم دوداييف بأنه يستغل رجال الدين البسطاء الذين لا يتقنون أمور السياسة والإدارة والاقتصاد)، وان هذه اللجنة طلبت منه بان يتصدر برنامج عمل للإطاحة بدوداييف، وان لا يعبأ بشعارات (الدولة المستقلة) ، وان يتصرف بحكمة لتطبيع العلاقات مع روسيا، وان لا يسمح بخروج القوات الروسية من الشيشان وإلا فهي حرب أهلية.

١٠- ويزعم "بان الجميع يعرفون بان قدومه للشيشان هو بقصد إحلال السلام وليس إشعال الحرب". وانه انشأ محطة إذاعة ومحطة تلفزيون واصدر جريدة (جميعها تحت اسم " الحياة") لنشر هذه المبادئ. ولذلك فإن الجموع التي كانت تحتشد للاشتراك في لقاءاته كانت تتراوح فيما بين مائة ألف إلى أربعمائة ألف ؟؟؟

١١- يهاجم الفئات المؤيدة لدوداييف، ويدعى بأن عدداً لا يستهان به منهم من ذوي ماضي جنائي . ومنهم مقاتلين محترفين تطوعوا لخدمة دوداييف مثل اصلان مسخادوف . مع العلم أن مسخادوف ليس له أي ماضي جنائي، ولم يوصم بالفساد، في أسلوب الحكم أو إدارة شؤون البلاد.

وأما الشيشاني ذو الماضي الجنائي فكان رسلان لابازانوف، الذي كان قد هرب مع مجموعة من زملائه من سجن روسي، وشكلوا عصبة تطوعت في بادئ الأمر لخدمة دوداييف، ثم انفصلت عن دوداييف وانضمت إلى اوفترخانوف وما لبثت أن انفصلت عن اوفترخانوف وانضمت إلى خاسبولات . وأخيراً التحق لابازانوف بالمخابرات الروسية برتبة عقيد (مع أنه كان مجرماً هارباً من سجن روسي). وأخيراً قتل على يد شيشاني آخذاً بثأر قريب له.

١٢- لم يحصر خاسبولات تهجمه على دوداييف وأركان حكمه، بل نال بعضاً ممن تعاون معهم من المعارضة حجم كبير من التهجم والاتهامات. اتهم حجاييف بأنه كان عميلاً للمخابرات الروسية منذ زمن طويل. وأما اوفترخانوف وغانتميروف "ليسا فقط

العوبة بيد الروس بل يتوسلان ويفتخران بذلك" وهما "جبانان هربا من غروزني بعد سقوطها بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١٥" وان "الانسحاب من غروزني كان بناء على أوامر من موسكو خشية أن تسقط بيد خاسبولاتوت".

١٣- ويعرج خاسبولات ليوبخ رسلان اوشييف رئيس جمهورية انجوشيا الذي تمتع بشعبية كبيرة قائلاً: " انتم شعب صادق. ما الذي تفعلونه ؟ لماذا تصرون على دعم دوداييف؟ لقد عملت الكثير لأجل الشعب الانجوشي، واستخدمت نفوذي بشكل كبير لإنهاء الصراع الانجوشي الاوسيتي، وإحلال الحق وإنهاء العدوان بين شعبين صديقين تربطهما أواصر القرابى والإخاء ". مع العلم أن التدخل الروسي في الصراع الانجوشي الاوسيتي عندما كان خاسبولات رئيساً للبرلمان الروسي كان على شكل إرسال وحدات عسكرية روسية من خارج اوسيتيا، قامت بمساندة العصابات الاوسيتية، وقتلت المئات من الانجوش ومثلت بجثثهم ، وطرد جميع الانجوش الذين كان يقدر عددهم حوالي ٦٠٠٠٠ شخص من اوسيتيا والاستيلاء على جميع ممتلكاتهم. وكان خاسبولات قد هدد عندما كان رئيساً للبرلمان الروسي مانتمير شاماييف رئيس الجمهورية تتارستان المتردد في الانضمام إلى الفدرالية الروسية وقال " بأنه ينبغي نقل شاماييف إلى موسكو مكبلاً في قفص حديدي" وكان مثل هذا التهديد قد وجه أيضاً إلى زفجاييف عندما قام خاسبولات بمساندة دوداييف في نزاعه مع زفجاييف عام ١٩٩١.

١٤- يقول خاسبولات بأنه حاول أن يتعاون مع اوفترخانوف وغانتميروف وحجاييف على تأليف (لجنة وفاق وطني) وعقد (مؤتمر طارئ) بهدف وقف المناوشات الحربية وتسليم الأسلحة (الثقيلة منها أولاً) للجانب الروسي وتطبيع العلاقات مع روسيا. إلا أنهم لم يتعاونوا معه ... فانتقل حل الأزمة الشيشانية إلى أيدي الكرملين، واشتعلت الحرب التي أدت إلى قتل اكثر من ٣٠ ألف من الأبرياء.

١٥- يختتم خاسبولانوت منشوره بأنه "مستعد لاستخدام كامل إمكانياته من اجل السلام. ولكن يجب إيقاف القتال، وإزالة الأنقاض وتقديم المساعدات المالية والاقتصادية، ودعوة الشخصيات من ذوي النفوذ والشعبية لتولي الأمر ... لا المقامرين والباحثين عن المناصب".

ومؤلف هذا الكتاب ... الشيشاني الجذور... كان شديد الاعتزاز بخاسبولات . الشيشاني المثقف والمؤهل علمياً، ووصل إلى ثاني أعلى مناصب (رئيس البرلمان) في الفدرالية الروسية، وكان قادراً على مقارعة ومنازعة قيصر روسيا الجديد (يلتسين) في عقر داره. إلا أن المؤلف بعد قراءة العديد من المؤلفات والوثائق عن النزاع الروسي الشيشاني وحرب ١٩٩٤/ ١٩٩٦. وتقيمه للوقائع يعتقد بان خاسبولات كان مدركاً بأن وضعه القانوني كنائب عن جمهورية الشيشان / انجوش ذات الحكم الذاتي في البرلمان الروسي هو الذي مكنه أن يصل إلى المراكز العالية التي اشغلها. ولذلك كان يسعى إلى أن تبقى شيشانيا كجمهورية ذات حكم ذاتي ضمن الفدرالية الروسية، بدون أي توسع في الصلاحيات والامتيازات (كالتي حصلت عليها تتارستان). بل كان يعارض من حيث المبدأ إعطاء صلاحيات موسعة للجمهوريات ذات الحكم الذاتي. وان استغلاله لورقة الأزمة الشيشانية في نزاعه على السلطة في موسكو عجل في إشعال حرب ١٩٩٤-١٩٩٦.

لم يجند خاسبولانوت وزنه الكبير الذي يدعيه في خدمة شعبه الشيشان بعد انتهاء حرب ١٩٩٤-١٩٩٦ ، بإنشاء علاقات واتصالات بين الفدرالية الروسية والسلطة الشيشانية المنتخبة الشرعية، والسعي لإعادة إعمار وتأهيل شيشانيا التي كانت الحرب قد دمرتها.

مواقف مراكز القوى الروسية حول المسألة الشيشانية

لم تكن المسألة الشيشانية في أعوام ١٩٩١- ١٩٩٣ من أولويات الفئات المتنازعة على السلطة في موسكو بل كانت نهب وسرقة موارد البلاد كما ورد في الفصل الخامس من هذا الكتاب. وهذا لا يعني تجاهل الأحداث التي وقعت عام ١٩٩١ عندما سقط وانهزم النظام الشيوعي، ووصل المؤتمر القومي للشعب الشيشاني للسلطة ، وانتخب دوداييف رئيساً للجمهورية الشيشانية. وكذلك التوتر الذي حدث أثناء النزاع الانجوشي الاوسيتي عام ١٩٩٢.

إلا أن مراكز القوى الروسية اتخذت منذ أواخر عام ١٩٩٣ مواقف سلبية من المسألة الشيشانية ، في إطار منافستها على مناصب الدولة والمؤسسات الكبيرة والسيطرة في المجالات التي تتيح لها جني اكبر المكاسب المادية وفي اقصر وقت. وقد حاولت أن تضفي على نشاطاتها صبغة التنافس السياسي في مجالات الانتخابات الرئاسية والبرلمانية والبلدية وغيرها.

وحاولت بعض مراكز القوى هذه التعامل مع المسألة الشيشانية بما يساعد على زيادة شعبية يلتسين ليفوز في الانتخابات الرئاسية الروسية. ومن أهم المجموعات التي التفت (أو ادعت) حول يلستين.

أ- مجموعة تماسيح المال التي ورد ذكرها في الفصل الخامس من هذا الكتاب ومن ضمنها تاتيانا ابنة يلتسين المدللة ومستشارته المقربة. وقد قامت هذه المجموعة بتمويل ٥٠٠ مليون دولار أمريكي لحملة يلتسين لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٦ (مع العلم أن الحد الأعلى للصرف على الحملة بموجب القانون الروسي كان ٣ مليون دولار فقط)، واستعانت في الحملة بأمريكيين مختصين في العلاقات العامة والحملات الانتخابية.

ب- مستشارون وباحثون ذوي قدرة على تحليل وتقييم التطورات ، وإجراء دراسات وتقديم توصيات للتعامل مع القضية الشيشانية . وكان من ابرزهم أميل بين

واركادي بونوف وفاليري تشيكوف وفلاديمير ليسنكو . أوصوا بعدم غزو جمهورية الشيشان بل محاصرتها اقتصادياً مع العمل على تحسين الأحوال المعيشية في المناطق الشيشانية التي تسيطر عليها المعارضة المتعاونة مع روسيا لتدرك الأغلبية العظمى مكاسب الوحدة مع روسيا وتتخلى عن المطالبة بالانفصال والاستقلال.

ج- مجموعة الصقور المتشددين (حزب الحرب كما سميت) التي دعت إلى اللجوء للقوة بما في ذلك الغزو العسكري لإسقاط نظام دوداييف وإجبار شيشانيا للانضمام إلى الفدرالية الروسية. وكان من أهم اعضاء هذه المجموعة التي برزت في شهري أيلول وتشرين أول ١٩٩٤ كل من:-

١- الجنرال الكسندر كورجاكوف : مواليد ١٩٥٠ . وكان قائداً للحرس الجمهوري.

٢- اولينج سوسكوفتس : مواليد ١٩٤٩ . وكان النائب الأول لرئيس الوزراء وله علاقات قوية بالصناعات الحربية التي لها مصالح في إشعال الحرب واستمرارها. وكان قد عهد إليه خلال الحرب إعادة أعمار الشيشان إلا أن المخصصات نهبت ولم تصرف على الإعمار.

٣- نيكولاي ييغوروف : مواليد ١٩٥١ . حل محل شاخراى وزيراً لشؤون القوميات والمناطق ومسؤولاً عن ملف النزاع الشيشاني، واصبح نائباً لرئيس الوزراء بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٧.

وكان ييغوروف وشاخراي قوزاقيان يسعيان لبعث القومية القوزاقية واقتطاع أجزاء من الأراضي الشيشانية وضمها إلى مناطق غالبية سكانها من القوزاق.

٤- الجنرال ميخائيل بارسوكوف: مواليد ١٩٤٧ . وكان قائد الحرس لإدارات الفدرالية الروسية.

٥- اوليج لوبوف : مواليد ١٩٣٧ وكان أمين عام مجلس الأمن الروسي الذي تحول من لجنة استشارية إلى وحدة صانعة للقرارات.

٦- بافيل غراتشيف : مواليد: ١٩٤٨ . وكان وزيراً للدفاع.

٧- سيرجي سيتباشين : مواليد ١٩٥٢ . وكان وزيراً للأمن (المخابرات).

٨- فيكتوريرين : مواليد ١٩٤٤ . وكان وزيراً للداخلية.

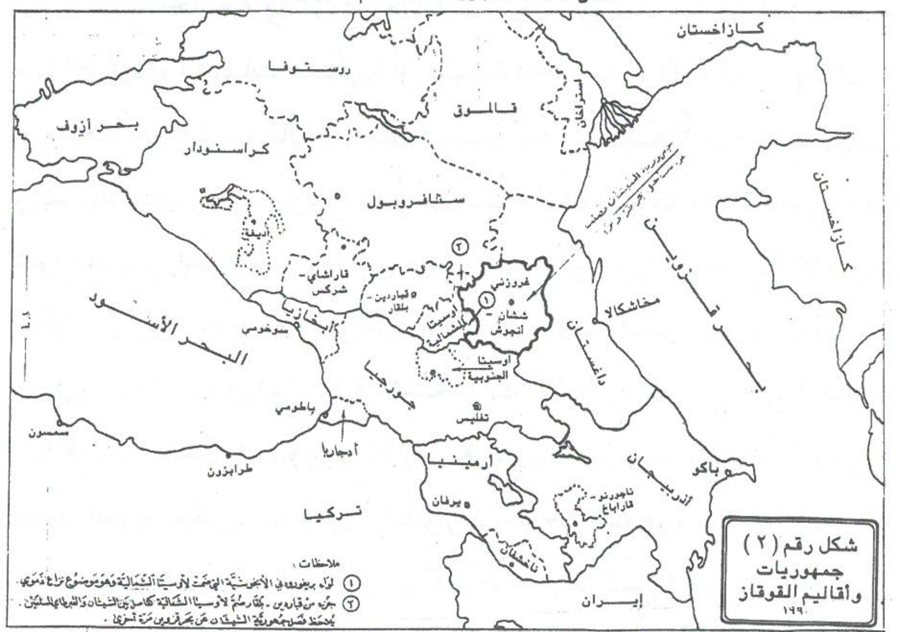
٩- بوريس بيريزوفسكي : الملياردير الذي امتلك محطة تلفزيون ORT وسيطر على محطة التلفزيون المركزي للدولة ومجلات وصحف عديدة قادت الحملة الإعلامية ضد الشيشان وكان سبباً في إشعال الحرب. واشغل منصب مساعد سكرتير مجلس الأمن الروسي .

١٠- سيرجي شاخراي : وكان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً لشؤون القوميات والمتاحف ومسؤولاً عن ملف النزاع الشيشاني .

د- مجلس الأمن الروسي: الذي كان يتبع رئيس الجمهورية مباشرة. تولى سلطة إقرار السياسة الخارجية والشؤون العليا في الفدرالية الروسية، بما في ذلك قرار إعلان حالة الطوارئ، وعمليات عسكرية أو بوليسية داخل حدود الفدرالية ، وإعلان الحرب مع جهات خارجية . وكان في شهر ديسمبر ١٩٩٤ مشكلاً من رئيس الجمهورية بوريس يلتسين رئيساً واوليج لوبوف أمنياً عاماً وعضوية رئيس الوزراء فيكتور تشيرميردين، ورئيس المجلس الفدرالي فلاديمير شوميكو ، ورئيس البرلمان (الدوما) ايفان ريبكين، ووزير الدفاع بافيل غراتشيف، ووزير الداخلية فيكتور يرين، ووزير الأمن سيرجي ستيباشين ، ورئيس دائرة الاستخبارات الأجنبية يفجيني بريماكوف، ووزير المالية فلاديمير بانسكوف، ووزير الخارجية اندريه كوزيريف، وقائد حرس الحدود الجنرال اندريه نيكولاي، ووزير الطوارئ سيرجي شويجو، ونائب رئيس الوزراء سيرجي شاخراي ووزير العدلية يوري كاليكوف (شركسي الأصل).



شكل (٢) جمهوريات وأقاليم القوقاز



الخارطتان منقولتان عن كتاب (الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩-١٩٩١).

الفصل السابع

تسلسل أحداث النزاع التي سبقت الغزو الروسي

اختصاراً لتفاصيل أحداث النزاع التي سبقت بدء الغزو الروسي للجمهورية الشيشانية بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١، أرى الاكتفاء بالإشارة إلى تسلسل الأحداث التي لها علاقة بالقضية الشيشانية وهي وإن كانت إشارات ملخصة عن هذه الأحداث إلا أنها تعطي فكرة وتصوراً مقبولاً عن خلفيتها مترجمة عن كتاب The Permanent Crisis وكتابي الشيشان والاستعمار الروسي :

١- ١٩٨٩/٨/٢٦: انعقاد المؤتمر الأول لكونفدرالية شعوب القوقاز الجبلية في سوخومي عاصمة ابخازيا. اشتركت فيه ستة حركات شعبية قوقازية بما فيها الحركات الشيشانية.

٢- ١٩٩٠/٣/١١: جمهورية ليتوانيا أول جمهورية اتحادية سوفيتية تعلن الاستقلال والانفصال عن الاتحاد السوفيتي.

٣- ٢٣-١٩٩٠/١١/٢٥: انعقاد الدورة الأولى للمؤتمر الوطني الشيشاني.

٤- ١٩٩٠/١١/٢٧: برلمان جمهورية الشيشان / انجوش يصادق على توصيات المؤتمر بإعلان استقلال وسيادة الجمهورية .

عام ١٩٩١

١- يناير ١٩٩١: في موقعه كقائد قاعدة تارتو الجوية في استونيا، يمنع دوداييف تحركات القوات الروسية داخل مدن جمهورية استونيا أثناء صراعها لنيل الاستقلال والانفصال عن الاتحاد السوفيتي.

٢- ١٩-٢٣ آب ١٩٩١: محاولة الانقلاب الفاشلة ضد غورباتشوف من قبل الشيوعيين المتشددين.

٣- ٢٤ آب ١٩٩١: غورباتشوف يستقيل من رئاسة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، ويمنع النشاطات السياسية بين القوات المسلحة وقوات وزارة الداخلية والمخابرات. وبأمر بمصادرة أملاك دائرة المخابرات.

٤- آب وأيلول ١٩٩١: استمرار المظاهرات والمسيرات في غروزني مطالبة بحل برلمان الجمهورية ونقل السلطة للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني.

٥- آب إلى ديسمبر ١٩٩١: جميع الجمهوريات الاتحادية السوفيتية تعلن استقلالها وانفصالها عن الاتحاد.

٦- ١٩٩١/٩/٦: استقالة دوكة زفجاييف وتعيين مجلس مؤقت لإدارة البلاد وسن دستور وإجراء انتخابات جديدة.

٧- ١٩٩١/١٠/١: كوادر المؤتمر القومي للشعب الشيشاني تحتل مباني الدوائر الحكومية ومحطة التلفزيون وتعلن حل المجلس المؤقت واستيلاء المؤتمر على السلطة.

٨- ١٩٩١/٩/١٥: برلمان جمهورية الشيشان / انجوش يحل نفسه.

٩- ١٩٩١/١٠/٢٧: إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية في جمهورية الشيشان، وفوز دوداييف بالرئاسة باغلبية ٨٥٪ من الذين أدلوا بأصواتهم. الانجوش قاطعوا هذه الانتخابات.

١٠- ١٩٩١/١١/٩: دوداييف يؤدي القسم القانوني ويباشر عمله كرئيس للجمهورية.

١١- ١٩٩١/١١/١: جمهورية الشيشان تعلن الاستقلال والانفصال عن الاتحاد السوفيتي وعن الجمهورية الروسية الاتحادية السوفيتية.

١٢- ١٩٩١/١١/٧: يلتسن يصدر مرسوماً روسياً بإعلان الأحكام العرفية في شيشانيا وانجوشيا.

١٣- ١٩٩١/١١/٨ : وحدات من قوات وزارة الداخلية الروسية تصل جواً إلى مطار غروزني ، إلا أن جماهير الشعب حاصرتها و لم يُسمح لها بالنزول من الطائرات. وجرى بعد ثلاثة أيام إجلائها إلى أوسيتيا عن طريق البر ، تاركة الطائرات التي أقلتهم للجمهورية الشيشانية.

١٤- ١٩٩١/١١/١٠: البرلمان الروسي يلغي مرسوم يلتسين المتعلق بإعلان الأحكام العرفية.

١٥- ديسمبر ١٩٩١: دوداييف يزور كلاً من تركيا والسعودية.

١٦- ١٩٩١/١٢/٢٦: حل الاتحاد السوفيتي رسمياً، وإنزال علم الاتحاد السوفيتي (المطرقة والمنجل) عن الكرملين ورفع علم روسيا مكانه .

عام ١٩٩٢

١- شباط ١٩٩٢: إرسال فرقة المشاة (١٢) المدرعة إلى شيشانيا.

٢- آذار ١٩٩٢: محاولة انقلابية ضد دوداييف يفشلها الحرس الوطني.

٣- حزيران ١٩٩٢: انقسام جمهورية الشيشان – انجوش، وانضمام الانجوش إلى روسيا.

٤- ١٩٩٢/٦/٦: دوداييف يطالب بانسحاب القوات الروسية المتواجدة في شيشانيا خلال ٢٤ ساعة بدون أسلحتها. وانسحبت الفرقة الآلية الروسية (١٢) ، أما الأسلحة الروسية التي كانت متواجدة في شيشانيا فقد جرى الاتفاق على تقاسمها.

٥- ١٩٩٢/١١/١٠: دوداييف يعلن حالة الطوارئ في الجمهورية الشيشانية، وقد جرى تمديد ذلك عدة مرات.

٦- ديسمبر ١٩٩٢: تشكيل جمهورية انجوشيا ضمن الفدرالية الروسية.

عام ١٩٩٣

١- نيسان ١٩٩٣: تقديم اقتراح في البرلمان الشيشاني بعزل دوداييف.

٢- ١٩٩٣/٦/٥: قمع أنصار دوداييف لمحاولة إجراء استفتاء في شيشانيا حول ثقة الشعب بالرئيس والبرلمان الشيشاني.

٣- ١٩٩٣/٦/٧: وزير الدفاع الروسي الجنرال غراتشيف يصرح بأنه مرتاح للوضع في المنطقة العسكرية في شمال القوقاز.

٤- ١٩٩٣/٩/٢٠: يلتسين يصدر مرسوماً بحل البرلمان الروسي.

٥- ١٩٩٣/١٠/٣: قوات روسية موالية ليلتسين تقصف وتقتحم مبنى البرلمان الروسي مما أدى إلى تدمير عدة طوابق من البناء وقتل أكثر من ١٤٠ من الذين تواجدوا في المبنى واعتقال رئيس البرلمان خاسبولات ونائب رئيس الجمهورية الجنرال روتسكوى وعدد كبير من النواب الذين كانوا يعارضون يلتسين.

٦- اكتوبر ١٩٩٣ : روسيا تبعد الآلاف من القوقازيين الذين كانوا يقيمون في موسكو بدعوى ارتفاع نسبة الجرائم في المدينة.

٧- ١٩٩٣/١١/٢: روسيا تصادق على مبدأ عسكري يتضمن تخويل القوات العسكرية حماية الجاليات العرقية الروسية في دول الجوار القريب (الجمهوريات الاتحادية في الاتحاد السوفيتي السابق).

٨- ديسمبر ١٩٩٣: المصادقة على دستور روسي جديد.

٩- ١٩٩٣/١٢/١٢: انتخابات برلمانية في روسيا. الجناح اليميني برئاسة القومي المتطرف فلاديمير جيرينوفسكي يحصل على ربع الأصوات في أول انتخابات ديمقراطية في روسيا. الشيشان لم يشاركوا في هذه الانتخابات.

١٠- ديسمبر ١٩٩٣ : تشكيل المجلس المؤقت للمعارضة الشيشانية المدعومة من روسيا.

عام ١٩٩٤

١- ١٩٩٤/١/١٤: نائب رئيس الوزراء الروسي سيرجي شاخراي (من القوزاق الذين حقدوا على الشيشان – المؤلف) يعلن بأن روسيا مستعدة لاستعمال القوة دفاعاً عن مصالحها في القوقاز.

٢- ١٩٩٤/٥/٢٧: محاولة لاغتيال دوداييف ، ومقتل وزير داخلية الشيشان في الحادث.

٣- ١٩٩٤/٥/٢٨: دوداييف يعلن رغبته في الاجتماع مع يلتسين.

٤- ١٩٩٤/٩/٤: قوات دوداييف هاجمت مركز عصابات لابازانوف في مدينة ارغون وقتلت وأسرت عدداً منها، إلا أن لابازانوف استطاع الهروب وانضم إلى جبهة عمر اوفترخانوف.

٥- ١٩٩٤/٧/٢٩: الحكومة الروسية تندد بنظام دوداييف وتصفه بأنه غير قانوني.

٦- ١٩٩٤/٨/٩: روسيا تضع قواتها المتواجدة بقرب الحدود الشيشانية في حالة استنفار.

٧- ١٩٩٤/٨/١٠: يلتسين يصرح بأن التدخل العسكري في شيشانيا غير ممكن.

٨- ١٩٩٤/٨/١٢: الشيشان يبداون تعبئة عسكرية.

٩- ١٩٩٤/٨/٢٧: الاستخبارات الروسية أشارت بأن المؤيدين لدوداييف والمعارضين سيتحدون في القتال ضد أي غزو عسكري للجمهورية.

١٠- ١٩٩٤/٩/٥: روسيا تضع قواتها في منطقة شمال القوقاز العسكري في حالة استنفار واستعداد لعمليات عسكرية.

١١- سبتمبر ١٩٩٤: يلتسين يكرر بأنه لن يكون هناك تدخل عسكري روسي في شيشانيا في أية ظروف.

١٢- ١٩٩٤/٩/٢٧: المجلس المؤقت الشيشاني الذي كان يرأسه عمر أوفترخانوف يقوم بدعم من السلاح الجوي الروسي بمحاولة للسيطرة على غروزني. إلا أن المحاولة تفشل.

١٣- ١٩٩٤/١٠/٢١: وزير الدفاع الروسي الجنرال غراتشيف يبلغ البرلمان الروسي عن انهيار كامل لمعنويات الجيش الروسي.

١٤- ١٩٩٤/١١/١٤: القوات الروسية تعقد مؤتمراً في موسكو على أعلى المستويات ويعبر فيه يلتسين عن قلقه حول مستوى استعداد القوات المسلحة.

١٥- ١٩٩٤/١١/١٥: يلتسين يستبدل سيرجي شاخراى بنيكولاي ييغوردف (قوزاقي حاقد على الشيشان أيضاً) كمفاوض في الأزمة الشيشانية.

١٦- ١٩٩٤/١١/١٧: لجنة الدفاع في الدوما الروسي تصوت بأغلبية ٥ مقابل ٤ على طلب لعزل وزير الدفاع الروسي الجنرال غراتشيف من منصبه.

١٧- ١٩٩٤/١١/٢٤: دوداييف يعلن الأحكام العرفية في شيشانيا، وتجنيد جميع الرجال الذين يزيد عمرهم عن ١٧ عاماً.

١٨- ١٩٩٤/١١/٢٥: المعارضة الشيشانية تقوم بدعم جوي وآلي روسي (دبابات روسية مع طواقمها) بهجوم فاشل على غروزني ويجري أسر عدد من الجنود الروس .

١٩- ١٩٩٤/١١/٢٥ المجلس المؤقت للمعارضة الشيشانية يطلب دعماً روسياً ودولياً.

٢٠- ١٩٩٤/١١/٢٥: يلتسين يأمر طرفي النزاع في الشيشان بإلقاء السلاح فوراً أو مواجهة تدخل عسكري روسي.

٢١- ١٩٩٤/١١/٢٧: وزير الدفاع الروسي غراتشيف يطلق تصريحه الشهير الذي أصبح موضع استهزاء وتندر في جميع الأوساط بأنه " يمكن حل أزمة الشيشان خلال ساعة واحدة بواسطة كتيبة مظليين واحدة".

٢٢- ١٩٩٤/١١/٢٨: يلتسين يعقد اجتماعاً طارئاً لمجلس الأمن الروسي يصوت بالموافقة على غزو عسكري لشيشانيا.

٢٣- ١٩٩٤/١١/٢٩: طائرات روسية (بدون علامات) تغير على مطار غروزني ووسط المدينة. وادعت روسيا بأنها تجهل لأية جهة تعود هذه الطائرات ومن أين قدمت.

٢٤- ١٩٩٤/١١/٢٩: يلتسين يوجه انذراً للسلطات الشيشانية بأن تقوم وحداتها العسكرية بإلقاء سلاحها خلال ٢٤ ساعة.

٢٥- ١٩٩٤/١٢/١: صدور مرسوم رئاسي روسي يطلب من الوحدات العسكرية الشيشانية إلقاء سلاحها قبل ١٩٩٤/١٢/١٥.

٢٦- ١٩٩٤/١٢/١: رئيس المجلس العسكري الفدرالي سيرجي يوشنكو يذهب إلى غروزني للتفاوض على إطلاق سراح الجنود الروس الذين وقعوا في الأسر بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٥.

٢٧- ١٩٩٤/١٢/١: نقل وحدة عسكرية روسية إضافية إلى موزدوك.

٢٨- ١٩٩٤/١٢/٢: وفد من البرلمان الروسي يحاول التفاوض مع القيادة الشيشانية لغاية تجنب الصدام العسكري.

٢٩- ١٩٩٤/١٢/٥: النائب الأول لوزير الدفاع الروسي يحذر من عمليات عسكرية روسية في شيشانيا.

٣٠- ١٩٩٤/١٢/٥: نائب رئيس هيئة الأركان الروسي الجنرال فلاديمير زورينكو يؤكد بأن روسيا طلبت رسمياً تعديل معاهدة توزيع القوات العسكرية التقليدية في أوروبا بحيث يسمح لروسيا بزيادة قواتها ومعداتها في بعض المناطق مثل القوقاز.

٣١- ١٩٩٤/١٢/٥: وزير الدفاع الروسي يعترف بان الطائرات الروسية هي التي تقوم بغارات على أهداف في شيشانيا.

٣٢- ١٩٩٤/١٢/٦: وزير الدفاع الروسي يجتمع في موزودك مع عمراوفترخانوف. والمعارضة الشيشانية توافق على إلقاء السلاح.

٣٣- ١٩٩٤/١٢/٩: يلتسين يصدر مرسوماً يأمر السلطات الحكومية الروسية باستعمال جميع الوسائل المتاحة لنزع سلاح الشيشان، ويهدد القيادة الشيشانية بانه سيوجه هجوماً صاروخياً على غروزني إذا لم يتم تسليم اسلحة القوات الشيشانية.

٣٤- ١٩٩٤/١٢/٩ : اجتماع دوداييف مع وزير الدفاع الروسي غراتشيف في مدينة نزران في انجوشيا ويتعهدان بحل الأزمة سلماً بدون قتال. إلا أن الاجتماع كان خديعة من الجانب الروسي.

٣٥- ١٩٩٤/١٢/٩: وزير العدل الروسي يوري كاليكوف (شركسي الأصل) يقدم استقالته احتجاجاً على قرار التدخل العسكري الروسي في شيشانيا.

٣٦- ١٩٩٤/١٢/١٠: يلتسين يدخل مستشفى لإجراء عملية جراحية في الأنف. عملية بسيطة غير طارئة يمكن إجراءها في عيادة فرعية بتخدير موضعي ولا تتطلب دخول المريض المستشفى أو توقفه عن ممارسة نشاطه العادي. إلا أن يلتسين كعادته في الأزمات ، وكما فعل عندما أرسلت القوات الروسية إلى مطار غروزني بتاريخ ١٩٩١/١١/٨، انعزل و لم يصدر عنه لمدة أسبوعين أي بيان أو تعليق عن الغزو العسكري والحرب الذي أشعلها ضد الجمهورية الشيشانية اعتباراً من فجر ١٩٩٤/١٢/١١.

٣٧- ١٩٩٤/١٢/١٠: وزير الدفاع الروسي غراتشيف، ومدير المخابرات ستيباشين ووزير الداخلية يبرين ووزير شؤون القوميات يغوروف يعقدون مجلس حرب مع قادة الفرق العسكرية الروسية.

٣٨- السياسي الليبرالي الروسي ورئيس الوزراء السابق يغورجيدار يندد بالتوجه للقيام بعمليات عسكرية روسية في شيشانيا.

٣٩- ١٩٩٤/١٢/١١: تمديد حالة الطوارئ في اوسيتيا الشمالية وانجوشيا لمدة شهرين . وفي فجر ذلك اليوم بدأ الغزو العسكري الروسي لشيشانيا.

وعودة لبعض محطات الأحداث التي وقعت في هذه الفترة بدون التقيد بالتسلسل الزمني لها :

١- كانت جمهوريات دول البلطيق، ليتوانيا ولاتفيا واستونيا، قد أخذت مبادرة الانفصال عن الاتحاد السوفيتي السابق، واقتدت بها جمهورية الشيشان – انجوش بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧. ويزعم خاسبولات بأن البيان الذي صدر عن المؤتمر الوطني الشيشاني بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٥ مشابه نصاً وصياغة للبيانات التي صدرت عن الحركات التحررية في دول البلطيق . وكانت الجمهورية الروسية أول جمهورية اتحادية سوفيتية بعد دول البلطيق تعلن الانفصال عن الاتحاد السوفيتي بقرار فردي من يلتسين من دون أي استفتاء شعبي أو قرار من برلمان الجمهورية.

٢- اعتبرت روسيا بأن انتخابات رئاسة وبرلمان جمهورية الشيشان التي جرت في ١٩٩١/١٠/٢٧ غير شرعية. وكان رئيس المخابرات العامة الروسية فكتور ايفاننكو ونائب الرئيس الروسي الكسندر روتسكوي قد ذهبا إلى غروزني في مسعى ليحررا بناء المخابرات الذي استولت عليها المليشيات الشيشانية. وقال ايفاننكو كما ورد في كتاب: (Russian- Chechen Conflict 1800-2000) بأنه كان يرى التوصل إلى ذلك بدون قتال فرد عليه روتسكوي " انه كان في أفغانستان، إذا أطلقت من قرية رصاصة ضدنا، أو قتلت أحداً من جنودنا، كنت أرسل طائرتين فلا تعود للقرية وجود، وبعد أن أحرقت قريتين توقف إطلاق النار ضدنا. هذا هو الأسلوب الذي ينبغي أن نتبعه " واغضب روتسكوي الشيشان وقال " هذه ليست ديمقراطية .... إنها لصوصية".

٣- عندما عاد روتسكوي إلى موسكو قدم تقريراً للبرلمان الروسي بأن استيلاء دوداييف على السلطة يشكل انقلاباً من قبل عصابات إجرامية تبث الرعب في

الجمهورية ، وان مصير ٣٠٠٠٠٠ روس مقيمون في الجمهورية معرض للخطر. وأيده خاسبولات حيث صرح لمحطة تلفزيونية " أن المؤتمر القومي للشعب الشيشاني لا يمثل إلا حوالي ٢٠٠- ٣٠٠ من رجال يائسين ومسلحين جداً، ويشكلون اللجنة التنفيذية للمؤتمر برئاسة الجنرال المتقاعد جوهر دوداييف ويبثون الرعب بين المواطنين ".

وبناء على هذه المزاعم اصدر البرلمان الروسي بياناً يندد بما سماه (انقلاب دوداييف) وطالب بأن يبقى البرلمان الذي كان قائماً في العهد السوفيتي في جمهورية الشيشان المرجع الأوحد للسلطة، وأن يأخذ ذلك البرلمان الإجراءات اللازمة لاستقرار الأمور في الجمهورية. وأن يلقى جماعة دوداييف أسلحتهم خلال ٤٨ ساعة (منتصف ليلة ١٠ أكتوبر ١٩٩١). وصدر بتاريخ ١٩٩١/١١/٧ المرسوم الرئاسي بإعلان الأحكام العرفية في الشيشان (ويعتقد بأن روتسكوى وخاسبولات قاما بصياغة المرسوم) . وقد أعلن البرلمان الروسي بتاريخ ١٩٩١/١١/١٠ إلغاء المرسوم بعد فشل عملية إنزال القوات الروسية في غروزني.

٤- كان زفجاييف قد استقال من مناصبه ، وحلَّ برلمان الجمهورية السوفيتية نفسه (في جلسة ترأسها خاسبولات بتاريخ ١٩٩١/٩/١٥)، على أن يتولى السلطة في مرحلة انتقالية مجلس مؤقت مشكل من ٣٢ عضواً أنيط به سن قوانين وإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية.

٥- بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٨ وقع وزير الدفاع الروسي أمراً بتقسيم الأسلحة الروسية المتواجدة في شيشانيا مناصفة بين الجمهورية الشيشانية وروسيا . وبتاريخ ١٩٩٢/٦/٨ تم انسحاب الجيش الروسي من شيشانيا وورد بأن كميات الأسلحة التي بقيت بيد الجمهورية الشيشانية شملت ٢٦ طائرة، ٤٢ دبابة ، ٤٨ عربة مدرعة، ٤٤ عربة مدرعة خفيفة، ٩٤٢ سيارة، ١٣٩ قطع مدفعية، ٨٩ مدفع أو صاروخ مضاد الدبابات، ٢٤٧٣٧ بندقية أوتوماتيكية، ١١١٩ مسدس، ١٦٨٢ مدفع رشاش، ١٢٥٧ بندقية عادية بالإضافة إلى كميات كبيرة من الذخيرة. إلا أن جريدة الازفستيا

ذكرت بأن الأرقام السابقة اقل من الواقع، وان كميات الأسلحة التي بقيت بيد الشيشان كانت ٤٢٦ طائرة متنوعة (منها خمس طائرات مقاتلة حربية وهليوكوبتر عدد ٢)، ٤٢ دبابة، ٩٢ مدرعة، ١٣٩ مدفع، ١١٠ مدفع مضاد للدبابات، ٢٧ مدفع مضاد للطائرات، ٣٧٧٩٥ بندقية متنوعة، ٢٧ عربة قطار من الذخيرة .

٦- جرى خلال عامي ١٩٩٢- ١٩٩٣ نزاع بين دوداييف وفئات المعارضة التي انضم إليها أعداد من اعضاء البرلمان المنتخب عام ١٩٩١، وكذلك بعض الذين ساندوا دوداييف في الوصول إلى السلطة. وجرت عدة محاولات انقلابية منها المحاولة الانقلابية التي جرت في آذار ١٩٩٢. وكانت المعارضة قد تمكنت من السيطرة على مبنى التلفزيون إلا أن الحرس الوطني الشيشاني افسد المحاولة.

وفي نيسان ١٩٩٣ قدم اقتراح في البرلمان الشيشاني بعزل دوداييف ، كما دعا آخرون بالفصل بين منصبي رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة . وفي يومي ٤-٥ / ٦/ ١٩٩٣ جرت تحرشات ومظاهرات تطالب بإجراء استفتاء شعبي حول ثقة الشعب برئيس وبرلمان الجمهورية، وجرى تفريقها باستعمال القوة مما أدى إلى قتل ٦ أشخاص حسب ادعاءات المعارضة . وقتل في هذه المناوشات شامل دوداييف (ابن شقيق الرئيس) والنائب البارز عيسى ارسيمكو . وكانت من نشاطات المعارضة الشيشانية تشكيل المجلس المؤقت للمعارضة الشيشانية المدعومة من وروسيا في ديسمبر ١٩٩٣ برئاسة عمر اوفترخانوف .

٥- تصاعدت جهود روسيا والمعارضة الشيشانية عام ١٩٩٤ لإسقاط دوداييف . ففي ١٩٩٤/٩/٢٧ قام المجلس المؤقت للمعارضة الشيشانية بدعم من السلاح الجوي الروسي بمحاولة للسيطرة على غروزني، إلا أنها فشلت وانسحبت قوات المعارضة (افترخانوف وغانتميروف ولابارزانوف) بفوضى بعد أن تكبدت بعض الخسائر. وعلى أثر ذلك قامت قوات السلطة الشيشانية بالقضاء على قاعدة عصابات لابازانوف في مدينة ارغون.

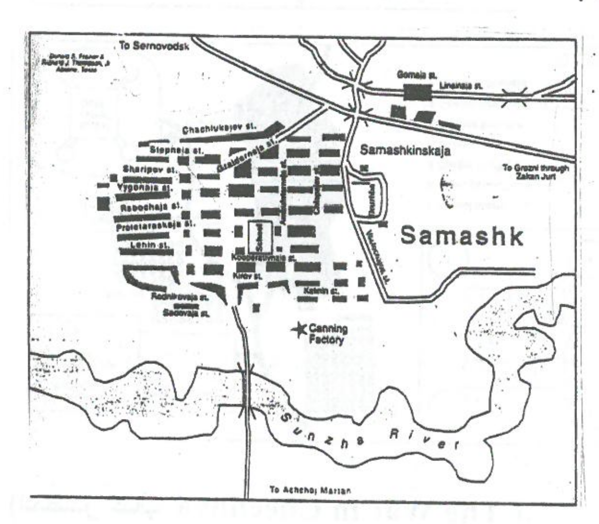
وفي تـاريخ ١٩٩٤/١١/٢٥ قـامت المعارضـة الشيشـانية، بدعـم جـوي وآلي (دبابات روسية مع طواقمها) بهجوم على غروزنـي على ثـلاث محـاور، ووصلـت إلى مركز المدينة وأذاعت بأنها استولت علـى السـلطة. إلا أن قـوات الحكومـة الشيشـانية حاصرتها وأوقعت بها إصابات كثيرة فأنسحبت بفوضى بعد أن منيت بهزيمـة مهينـة . ومن جانب القوات الروسية التي شاركت في العملية جرى تدمير ١٥ دبابة من مجمـوع ٤٧ دبابة روسية، كما جرى اسر ٥٨ من مجموع ٨٤ جندياً من طواقمهما. وقد سـبب ذلك إحراجاً كبيراً للحكومة الروسية التي كانت في بادئ الأمر قد أنكرت بـأن يكـون الأسرى من قواتها المسلحة ، فصرح دودايـيف ساخراً " في هذه الحالة لا تنطبق عليهـم اتفاقيات أسـرى الحـرب، وسيجرى إعدامهـم بصفتهـم مجرمـين مرتزقـة " وتراجعـت موسكو عن موقفها السابق وفاوضت من خلال وزير الدفاع غراتشيف علـى إطـلاق سراحهم. أما الإحراج الآخر فكان في داخل المؤسسة العسـكرية الروسـية نفسـها، إذا أن أفراد هذه الطواقم كان قد جرى التعاقد معهم كمتطوعين بـدون علـم قـادة الفـرق التي كانوا ينتمون إليها. فقدم الجنرال بوريس بوليـاكوف قـائد فرقـة كانتمـير اسـتقالته احتجاجاً على هذا التصرف المشين من القيادة الروسية بحق قائد فرقة كانت تعتبر نخبـة القوات الروسية. وقد افاد الميجور فاليري ايفانوف احد الأسـرى بعـد إطـلاق سـراحه انهم خدعوا حول طبيعة ومهام ومخاطر العملية.

وأما الاجر الذي اتفق عليه معهم فكان يتراوح فيمـا بـين ٥-٦ مليـون روبـل لكل منهم و٢٥ مليون روبل إضافي لكل جريـح و٧٥ مليـون روبـل لعائلـة كـل قتيـل منهم، ووعد بتسريح مسبق من الخدمة (كان قيمة الروبل منهاراً - المؤلف) .

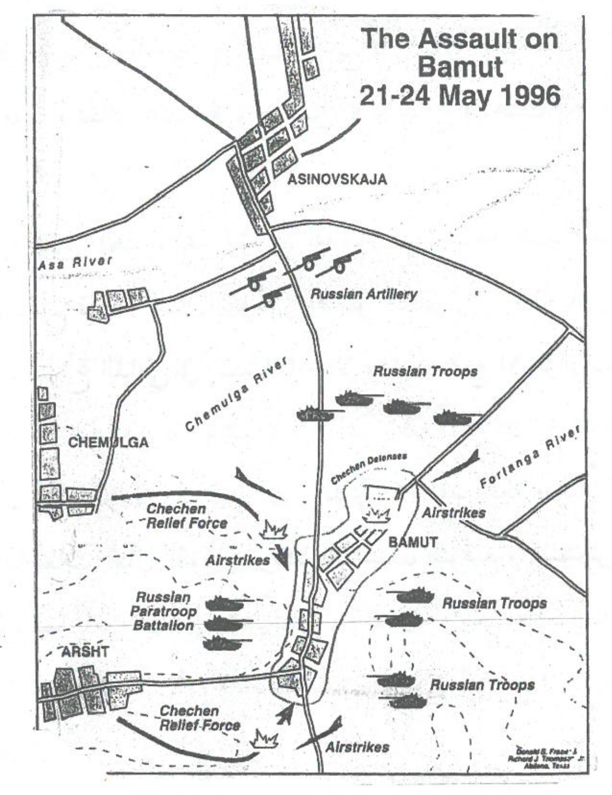
٧- وبالنسـبة للاجتمـاع الطـارئ لمجلس الأمـن الروسـي الـذي انعقـد في تـاريخ ١٩٩٤/١١/٢٨ وصـوت بالموافقـة على غـزو عسـكري، ذكـر وزيـر العدليـة يـوري كالميكوف (شركسي الأصل) الذي استقال احتجاجاً على طريق التصويت بأنه وصـل الاجتماع متأخراً قليلاً، والرئيس كان يبدو متحفزاً، واتخذ قراراً مسبقا باستعمال القوة

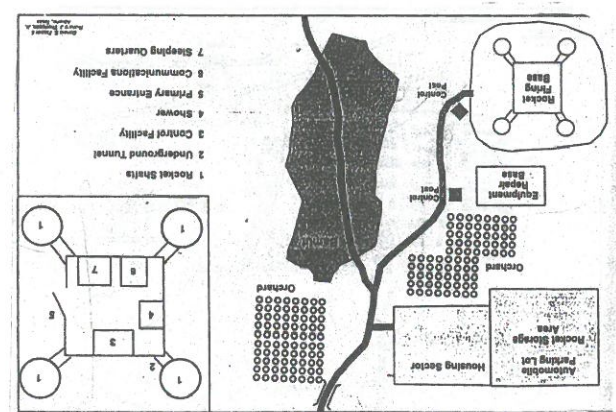
ولا جدوى من المناقشة. وعندما طلب كالميلكوف أن يسمح لـه بـالكلام، رد يلتسـين بحدة " لا ... سنصوت بـدون مناقشـة " وكمـا كـان العرف في العهـد السـوَفيتي ... وبقي مستمراً في العهود اللاحقة، صوت الجميع بالإجماع (بما فيهـم كـالميكوف). إلا أن كالميكوف قدم استقالته عند الخروج مـن الاجتمـاع وذهـب إلى غروزنـي للالتقـاء بدودايـيف .

٨- وكمبرر لقرار الغزو، اعد وزيـر القوميـات المتشـدد ضـد الشيشـان نيكـولاي يغوروف نداء باسم قـادة شمـال القوقـاز يدعـو يلتسـين إلى " اتخـاذ إجـراءات سـريعة وحاسمة لإيقاف النزاع الدامي في شيشانيا حالاً واتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لفـرض النظام الدستوري في الجمهورية" وعندما استدعى تشيرنوميردن رئيس جمهورية انجوشيا رسلان أوشيـيف إلى الكرملين لتوقيع النداء الذي كان قد وقعه مسبقاً سبعة من رؤسـاء جمهوريات ومقاطعات شمال القوقاز، رفض اوشيـيف التوقيع واسـتنكر النـداء علـى انـه يشكل مبرراً لروسيا للعدوان على الشيشان ، وقـال : "بـان هـذا النـداء يشـكل مـبرراً لروسيا للعدوان على الشيشان" ، فأجاب تشـيرميردن: "لا أبـداً ... بـل فـرض النظـام الدستوري فقط".



قرية ساماشكي ... الجريمة البشعة (من كتاب The War in Chechnya).





معركة باموت (المصدر كتاب **The War in Chechnya**).

الفصل الثامن

وبدأ الغزو الروسي

كان عدد من مراسلي وكالات الأنباء العالمية الذين تواجدوا في الميدان وغطوا أحداثاً وقعت في العقد الأخير من القرن الماضي في الاتحاد السوفيتي السابق والفدرالية الروسية قد ألفوا كتباً عنها تشكل توثيقاً جيداً لها. ومنهم الكاتبة البريطانية فانورا بنيت (Vanota Bennett) التي الفت كتاب (Crying Wolf) عن حرب ١٩٩٤/ ١٩٩٦ الروسية الشيشانية.

تقول الكاتبة : "بأن أولى أنباء الغزو أعلنتها وكالة تاس في فجر يوم ١٩٩٤/١٢/١١، بان قوات روسية دخلت شيشانيا . ألا أن الوكالة سحبت هذا النبأ بعد ساعة . اتصلت بوكالة تاس هاتفياً لتستفسر عن سبب سحب هذا النبأ، فكان جواب المناوب الليلي الذي بدى متلعثماً (الرقم غلط ... هذا قسم التصوير) ورفض أن يحولني إلى القسم المعني واغلق الهاتف بعصبية. اتصلت مرة ثانية فأجاب نفس الصوت (الرقم غلط .. هذا قسم الحراسة الأمنية) . اتصلت مرة ثالثة فأجاب نفس الصوت (الرقم غلط ... هذا قسم التنظيفات) . اتصلت مرة رابعة فأجاب نفس الصوت ولكن بأسلوب اقل عصبية (لن يتواجد أحد يجيب على استفسارك قبل الساعة العاشرة صباحاً".

وفي الساعة العاشرة جرى تأكيد نبأ الغزو رسمياً بعد أن أضيف إلى البيان الأول " بأن القوات الروسية دخلت شيشانيا لإعادة النظام الدستوري ونزع سلاح العصابات غير القانونية" وشرح أحد الصحفيين في مناوبة نهارية ، بأن الذي كتب البيان الذي أُذيع سابقاً كان قد نسي أن يضيف بأن دخول القوات الروسية لشيشانيا كعملية للقضاء على الإجرام وليس غزواً. وعندما اطلع فالنتين سيرجييف (Valentin

Sergeyev) الناطق الروسي الرسمي عن القضية الشيشانية على البيان استشاط غضباً واتصل بالمناوب الليلي لوكالة تاس يوبخه بشدة، وصدر في ساعات الصباح بياناً معدلاً بالصيغة المعدلة.

وعندما اتصل اندرية (زميل للكاتبة) مع سيرجييف في اليوم التالي صاح به " لا تحاول أن تصطادني بأسئلتك الخبيثة. فقط امسك قلمك واكتب ما أمليه عليك بدون تحريف " أما المترجمة في مكتب المؤلفة ، فقد أجابها سيرجيف عندما اتصلت به مساء تتساءل فيما إذا كانت القوات الروسية قد وصلت الأهداف المقررة . وبخها قائلاً: " لو كنت والدك أيتها السيدة الصغيرة لكنت اعرف كيف أُدبك" .

أما خلاصة ما أملاه سيرجييف على اندرية فكانت : بأن العملية ستكون على شكل تقدم سريع للقوات الروسية على ثلاث محاور (من الشمال والشرق والغرب) إلى غروزني ، وستقوم بمحاصرتها عند الساعة الثانية ظهراً، ولن تقوم بشن هجوم على المدينة أو المواطنين المدنيين. وأما العصابات الإجرامية التابعة لدوداييف فستتبخر بدون قتال . وأضاف بأن (٣٠٠٠٠) من القوات الروسية يهدفون إلى انقاذ الشيشان من الفوضى الذي يعيثه زعماء العصابات. مع العلم بأن وزارتي الدفاع والداخلية لا تنحصر نشاطاتهما بالعناية بوحداتها العسكرية. بل أنها ستأخذ مساعدات لسكان الجمهورية على شكل مواد غذائية وأدوية ومحروقات وحتى علف للمواشي. سيجري تزويد الجمهورية بكميات من ٥٠٠٠٠ طن من الحبوب و ٩٠٠٠ طن معكرونة وشعيرية و ٦٥٠٠ طن من النقانق والسجق و ١٥٠٠ طن زبدة و ٨٠٠٠ طن من السكر ...

على هذا الشكل من التخبط، وفي غياب مستوى مقبول من التخطيط ، وفي جو إعلام ارتجالي مبني على الكذب وغياب رئيس الدولة/ القائد الأعلى للقوات المسلحة عن مسرح الأحداث، زجت روسيا بقوات غير مجهزة، وغير مدربة في قتال ضد شعب مصمم على الدفاع عن وطنه وعن حقه في تقرير مصيره. مما حدا بقادة

روس كبار، يُشهد لهم بالكفاءة المهنية، والحرص على مصالح شعبهم (الروسي)، والتنزه عن ممارسات الفساد، أن يعلنوا منذ اليوم الأول معارضتهم لعملية الغزو وفضلوا الاستقالة أو العزل أو النقل إلى مناصب غير عسكرية، على الاشتراك في عملية بدون استعداد . ومنهم اثنان من نواب وزير الدفاع الروسي الجنرال (بوريس غروموف) الذي وصف الحملة على شيشانيا (زحف الحمقى) ، والجنرال (فاليري ميونوف) وكذلك نائب قائد القوات البرية الجنرال (إدوارد فوروبيوف) ، الذي رفض استلام قيادة الجبهة بعد زيارة لها ، وتفقد الوضع ، قدم تقريراً يشرح عدم استعداد وكفاية قوات الغزو الروسية للقيام بمثل هذه العملية. وكذلك الجنرال ايفان بابتشيف قائد قوات المحور الشرقي الذي امتنع لفترة عن مواصلة الزحف (بسبب تجمع مواطني انجوشيا على الطرق)، وقال : "لا يجوز استعمال الجيش ضد مدنيين مسالمين، ولا يجوز إطلاق النار على الأهالي". واستقال من الخدمة العسكرية أيضاً الجنرال الكسندر ليبيد الذي كان يحظى بشعبية كبيرة بين القوات العسكرية، ووصف الحملة " بغير استعداد، يزج بصبية غير مدربين ليواجهوا الرصاص. إنها سلطة مجرمة هذه التي ترسل الألوف من مواطنيها إلى موت محتم . " وكاستهزاء من الفاسدين الذي دعوا لهذه الحملة قال : "بأنه على استعداد لان يقود حملة عسكرية في شيشانيا على أن يكون جنودها من أبناء الوزراء والجنرالات والساسة الفاسدين".

لم تنته الحملة خلال ساعة كما كان يتشدق وزير الدفاع غراتشيف، ولم تستطيع القوات الغازية محاصرة غروزني في ظهيرة اليوم الأول كما كان الناطق الإعلامي الروسي فالنتين سيرجييف يملي على المراسلين، بل دامت ٢١ شهراً، وانتهت بهزيمة مهينة للقوات الروسية، وخرج طرفا النزاع الشيشان والروس خاسرين في حرب الفساد القذرة هذه.

واختصاراً أيضاً لتفاصيل الأحداث أثناء الحرب، أدرج الإشارة إلى تسلسل الأحداث في فترة الحرب مأخوذة عن كتاب The Permonent Crisis وكتابي

(Sergeyev الناطق الروسي الرسمي عن القضية الشيشانية على البيان استشاط غضباً واتصل بالمناوب الليلي لوكالة تاس يوبخه بشدة، وصدر في ساعات الصباح بياناً معدلاً بالصيغة المعدلة.

وعندما اتصل اندرية (زميل للكاتبة) مع سيرجييف في اليوم التالي صاح به " لا تحاول أن تصطادني بأسئلتك الخبيثة. فقط امسك قلمك واكتب ما أمليه عليك بدون تحريف " أما المترجمة في مكتب المؤلفة ، فقد أجابها سيرجيف عندما اتصلت به مساء تتساءل فيما إذا كانت القوات الروسية قد وصلت الأهداف المقررة . وبخها قائلاً: " لو كنت والدك أيتها السيدة الصغيرة لكنت اعرف كيف أُدبك" .

أما خلاصة ما أملاه سيرجييف على اندرية فكانت : بأن العملية ستكون على شكل تقدم سريع للقوات الروسية على ثلاث محاور (من الشمال والشرق والغرب) إلى غروزني ، وستقوم بمحاصرتها عند الساعة الثانية ظهراً، ولن تقوم بشن هجوم على المدينة أو المواطنين المدنيين. وأما العصابات الإجرامية التابعة لدوداييف فستتبخر بدون قتال . وأضاف بأن (٣٠٠٠٠) من القوات الروسية يهدفون إلى انقاذ الشيشان من الفوضى الذي يعيثه زعماء العصابات. مع العلم بأن وزارتي الدفاع والداخلية لا تنحصر نشاطاتهما بالعناية بوحداتها العسكرية. بل أنها ستأخذ مساعدات لسكان الجمهورية على شكل مواد غذائية وأدوية ومحروقات وحتى علف للمواشي. سيجري تزويد الجمهورية بكميات من ٥٠٠٠٠ طن من الحبوب و ٩٠٠٠ طن معكرونة وشعيرية و ٦٥٠٠ طن من النقانق والسجق و ١٥٠٠ طن زبدة و ٨٠٠٠ طن من السكر ...

على هذا الشكل من التخبط، وفي غياب مستوى مقبول من التخطيط ، وفي جو إعلام ارتجالي مبني على الكذب وغياب رئيس الدولة/ القائد الأعلى للقوات المسلحة عن مسرح الأحداث، زجت روسيا بقوات غير مجهزة، وغير مدربة في قتال ضد شعب مصمم على الدفاع عن وطنه وعن حقه في تقرير مصيره. مما حدا بقادة

روس كبار، يُشهد لهم بالكفاءة المهنية، والحرص على مصالح شعبهم (الروسي)، والتنزه عن ممارسات الفساد، أن يعلنوا منذ اليوم الأول معارضتهم لعملية الغزو وفضلوا الاستقالة أو العزل أو النقل إلى مناصب غير عسكرية، على الاشتراك في عملية بدون استعداد . ومنهم اثنان من نواب وزير الدفاع الروسي الجنرال (بوريس غروموف) الذي وصف الحملة على شيشانيا (زحف الحمقى) ، والجنرال (فاليري ميونوف) وكذلك نائب قائد القوات البرية الجنرال (إدوارد فوروبيوف) ، الذي رفض استلام قيادة الجبهة بعد زيارة لها ، وتفقد الوضع ، قدم تقريراً يشرح عدم استعداد وكفاية قوات الغزو الروسية للقيام بمثل هذه العملية. وكذلك الجنرال ايفان بابتشيف قائد قوات المحور الشرقي الذي امتنع لفترة عن مواصلة الزحف (بسبب تجمع مواطني انجوشيا على الطرق)، وقال : "لا يجوز استعمال الجيش ضد مدنيين مسالمين، ولا يجوز إطلاق النار على الأهالي". واستقال من الخدمة العسكرية أيضاً الجنرال الكسندر ليبيد الذي كان يحظى بشعبية كبيرة بين القوات العسكرية، ووصف الحملة " بغير استعداد، يزج بصبية غير مدربين ليواجهوا الرصاص. إنها سلطة مجرمة هذه التي ترسل الألوف من مواطنيها إلى موت محتم . " وكاستهزاء من الفاسدين الذي دعوا لهذه الحملة قال : "بأنه على استعداد لان يقود حملة عسكرية في شيشانيا على أن يكون جنودها من أبناء الوزراء والجنرالات والساسة الفاسدين".

لم تنته الحملة خلال ساعة كما كان يتشدق وزير الدفاع غراتشيف، ولم تستطيع القوات الغازية محاصرة غروزني في ظهيرة اليوم الأول كما كان الناطق الإعلامي الروسي فالنتين سيرجييف يملي على المراسلين، بل دامت ٢١ شهراً، وانتهت بهزيمة مهينة للقوات الروسية، وخرج طرفا النزاع الشيشان والروس خاسرين في حرب الفساد القذرة هذه.

واختصاراً أيضاً لتفاصيل الأحداث أثناء الحرب، أدرج الإشارة إلى تسلسل الأحداث في فترة الحرب مأخوذة عن كتاب The Permonent Crisis وكتابي

الشيشان والاستعمار الروسي ، وساعود لعرض أوسع لبعضها بدون التقيد بالتسلسل الزمني لوقوعها.

١- ١٩٩٤/١٢/١١: ثلاث طوابير روسية مدرعة تبدأ غزو شيشانيا الساعة الخامسة صباحاً من اوسيتيا الشمالية وانجوشيا وداغستان. صدامات بين الوحدات الروسية والمواطنين المدنيين في انجوشيا وصدامات مماثلة في داغستان.

٢- ١٩٩٤/١٢/١١ : أنباء عن وصول مقاتلين أوكرانيين متطوعين لمساندة الشيشان.

٣- ١٩٩٤/١٢/١١: تعيين النائب الأول لرئيس الوزراء الروسي اوليج سوسكوفيتش كرئيس للجنة النزاع الشيشاني.

٤- ١٩٩٤/١٢/١٢: روسيا تزيد إعداد قواتها على حدودها مع جورجيا وأذربيجان بنسبة ٥٠٪.

٥- ١٩٩٤/١٢/١٢: اجتماع ممثلين شيشان مع مفاوضين روس في مدينة فلادي قفقاسيا بدون حدوث تقدم.

٦- ١٩٩٤/١٢/١٢: مؤتمر كونفدرالية شعوب القوقاز يعقد اجتماعاً في مدينة نالتشيك لبحث الوضع في شيشانيا، ويقرر تعبئة قوات لمساعدة الشيشان.

٧- ١٩٩٤/١٢/١٢: رئيس الوزراء الروسي فكتور تشيرميردن يردد بأن شيشانيا جزء من الفدرالية الروسية وخاضعة لقوانينها.

٨- ١٩٩٤/١٢/١٤: نائب الرئيس الأمريكي غور يجتمع مع يلتسين في مستشفى حكومي في موسكو.

٩- ١٩٩٤/١٢/١٥: يلتسين يعطي الشيشان مهلة يومين للاستسلام.

١٠- ١٩٩٤/١٢/١٦: مجلس الفدرالية الروسية يصوت بعدم الثقة برئيس المجلس فلاديمير شوميكو لمساندته العملية العسكرية في شيشانيا.

١١- ١٩٩٤/١٢/١٦: الجنرال بابتشيف قائد قوات المحور الشرقي لقوات الغزو، يرفض في وجه سد بشري من مواطنين مدنيين، الزحف باتجاه غروزني.

١٢- ١٩٩٤/١٢/١٧: مجلس الأمن الروسي يجتمع لبحث الوضع في شيشانيا، ويقرر منح مهلة نهائية لغاية منتصف ليلة ١٩٩٤/١٢/١٧ لاستسلام المقاتلين الشيشان مع وعد بإصدار عفو عن الذين يستسلمون.

١٣- ١٩٩٤/١٢/١٧: مجلس الأمن الروسي يطلب من جميع الأجانب (بما فيهم المراسلين) مغادرة غروزني لأنه يتعذر تأمين سلامتهم.

١٤- ١٩٩٤/١٢/١٧: رئيس كونفدرالية الشعوب القوقازية موسى شابينوف يقدم استقالته بدعوى أسباب صحية.

١٥- ١٩٩٤/١٢/١٨: دوداييف يقترح إجراء استفتاء في شيشانيا حول مصير شيشانيا.

١٦- ١٩٩٤/١٢/١٨: بدء الهجوم والعمليات العسكرية داخل شيشانيا.

١٧- ١٩٩٤/١٢/١٨: الطائرات الروسية تغير على برج تلفزيون غروزني، وخطوط الغاز الرئيسية، ومحطة توليد الكهرباء، مسببة ضحايا كثيرة بين المدنيين.

١٨- ١٩٩٤/١٢/١٩: ٢٠٠ دبابة روسية تهاجم غروزني.

١٩- ١٩٩٤/١٢/٢١: القوات الشيشانية تقوم بهجوم معاكس وتجبر القوات الروسية على التراجع.

٢٠- ١٩٩٤/١٢/٢١: المراسلون الغربيون يتهمون الروس باستعمال قنابل الرعب ضد المواطنين المدنيين في غروزني.

٢١- ١٩٩٤/١٢/٢٢: القيادة الشيشانية تناشد المجتمع الدولي لتقديم المساعدة.

٢٢- ١٩٩٤/١٢/٢٢: وزير الدفاع الروسي غراتشيف يعزل ضباطاً ادعى بأنهم يعارضون العمليات الحربية في شيشانيا.

٢٣- ١٩٩٤/١٢/٢٢: نائب قائد القوات البرية الروسية الجنرال أدوار فوروبيوف يقدم استقالته بدعوى استحالة نجاح العمليات الحربية في شيشانيا.

٢٤- ١٩٩٤/١٢/٢٤: قطع ضخ النفط من والى شيشانيا.

٢٥- ١٩٩٤/١٢/٢٦: وزير القوات البرية الروسية بيغوروف يتباهى بان احتلال غروزني سيتم بدون إطلاق طلقة واحدة.

٢٦- ١٩٩٤/١٢/٢٧: ظهور يلتسين على التلفزيون ليشرح الوضع في الشيشان (للمرة الأولى منذ بدء الغزو الروسي بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١).

٢٧- ١٩٩٤/١٢/٢٨: إرسال تعزيزات عسكرية روسية جديدة إلى شيشانيا من خاباروفسك وفلادي فوستك في أقصى شرق سيبيريا.

٢٨- ٢٨- ١٩٩٤/١٢/٢٩: استمرار القصف العنيف لمدينة غروزني وتدمير أكبر ملجأ للأيتام في غارة جوية.

٢٩- ١٩٩٤/١٢/٢٩: الروس يزعمون بأن قصف الأهداف المدنية في غروزني يجري من قبل المقاتلين الشيشان (مع العلم أن الشيشان لم يمتلكوا في حينه ولا طائرة واحدة ، ومطار غروزني كان قد جرى تدميره كاملاً – المؤلف).

٣٠- ١٩٩٤/١٢/٣٠: الكشف عن خطة للاستخبارات العسكرية الروسية للقبض على دوداييف.

٣١- ١٩٩٤/١٢/٣٠: الحكومة الروسية تعترف بتدمير العديد من آلياتها المدرعة في قتال الشيشان.

عام ١٩٩٥ :

١- ١٩٩٥/١/٣: تراجع القوات الروسية التي تكبدت خسائر فادحة من وسط غروزني. قصف عنيف ومتزايد لمدينة غروزني والقرى المحيطة بها.

٢- ٣-٥ /١٩٩٥/١: غارات جوية عنيفة على القرى الواقعة على المنحدرات الواقعة جنوب غروزني.

٣- ١٩٩٥/١/٤: ربط خط هاتف احمر (مباشر) بين يلتسين وقادة الوحدات العسكرية الروسية الرئيسية.

٤- ١٩٩٥/١/٤: يلتسين يأمر بإيقاف قصف غروزني.

٥- ١٩٩٥/١/٥: استمرار قصف غروزني رغم أوامر يلتسين بإيقاف القصف.

٦- ١٩٩٥/١/٥: حكومة الإنعاش الوطني المساندة لروسيا تبدأ العمل في الشيشان وتعيين سلامبيك حجاييف رئيساً للوزراء.

٧- ١٩٩٥/١/٧: إرسال تعزيزات عسكرية روسية إلى شيشانيا من مارمنسك.

٨- ١٩٩٥/١/٩: وحدة من قوات النخبة (OMON) التابعة لوزارة الخارجية الروسية ترفض الاشتراك في العمليات الحربية في شيشانيا بدون أوامر خطية واضحة وصريحة.

٩- ١٩٩٥/١/١٠: الاتفاق على عقد هدنة لوقف القتال حتى ١٩٩٥/١/١٢. (وقد تم خلال فترة الهدنة هذه إخراج اليهود الذين كانوا لا يزالون في شيشانيا ولعل هذه الهدنة عقدت لهذه الغاية وبفعل النفوذ اليهودي العالمي- المؤلف).

١٠- ١٩٩٥/١/١٠: رئيس المجلس الفدرالي فلاديمير شومنكو ورئيس مجلس الدوما ايفان ريبكين يعينان عضويين في مجلس الأمن الروسي.

١١- ١٩٩٥/١/١١: رئيس الوزراء تشيرنوميردن يجتمع مع اعضاء المجلس الفدرالي من مناطق شمال القوقاز للمداولة في الوضع في شيشانيا.

١٢- ١٩٩٥/١/١١: بعض المقربين من دوداييف يبدون استعداداً بعدم المطالبة بانفصال كامل عن روسيا، ويقترحون بدلاً من ذلك فدرالية اقتصادية ونقدية وأمنية مع روسيا.

١٣- ١٩٩٥/١/١٢: قصف مدفعي وجوي كثيف على غروزني. وزير الدفاع الروسي غراتشيف يصرح بأن الحرب في الشيشان قد يطول لعدة سنوات (تخلى عن تبجحه السابق بحل القضية خلال ساعة من خلال كتيبة مظليين واحدة - المؤلف).

١٤- ١٩٩٥/١/١٢: إرسال تعزيزات عسكرية روسية إضافية إلى شيشانيا من موسكو وفلاديفوستك.

١٥- ١٩٩٥/١/١٣: يلتسين يجتمع على حدة مع كل من رئيس جمهورية القبرطاي - بلقر ورئيس جمهورية اوسيتيا الشمالية.

١٦- ١٩٩٥/١/١٦: تعيين وزير المالية الروسي بوريس بانسكوف عضواً في مجلس الأمن الروسي.

١٧- ١٩٩٥/١/١٧: القوات الشيشانية تبدأ انسحاباً من غروزني.

١٨- ١٩٩٥/١/١٧: اجتماع تشيرنوميردن مع يلتسين للتداول في الوضع في شيشانيا (يلاحظ بأن رئيس الوزراء كان دوره في القضية الشيشانية محدوداً - المؤلف).

١٩- ١٩٩٥/١/١٧: تشيرنوميردن يجري محادثات غير رسمية مع وزير العدل الشيشاني عثمان إماييف بالرغم من معارضة وزير الدفاع غراتشيف ورئيس المخابرات ستيباشين.

٢٠- ١٩٩٥/١/١٨: يلتسين يصرح بأنه يسيطر بشكل كامل على العمليات في شيشانيا.

٢١- ١٩٩٥/١/١٩: القوات الروسية تستولي على القصر الرئاسي في غروزني.

٢٢- ١٩٩٥/١/١٩: يلتسين يعلن بأن المرحلة العسكرية في شيشانيا قد أُنجزت عملياً.

٢٣- ١٩٩٥/١/١٩: تعيين الجنرال فلاديمير تشورالوف والجنرال اناتولي سالاماتين نائبين لوزير الدفاع الروسي.

٢٤- ١٩٩٥/١/٢٠: الدوما الروسي يعدل القانون الجزائي الروسي ليبيح إصدار أحكام الإعدام بحق المقاتلين الشيشان.

٢٥- ١٩٩٥/١/٢٠: القوات الروسية تعترف بأنها تستعمل المدفعية الثقيلة في قصف غروزني.

٢٦- ١٩٩٥/١/٢٢: استمرار القتال في الجزء الجنوبي من غروزني.

٢٧- ١٩٩٥/١/٢٢: رئيس المخابرات الروسية ستيباشين يزعم بأنه لم تقع إصابات بين المدنيين في القتال في شيشانيا . متجاهلاً قتل الألوف من المدنيين في غروزني وحدها أكثرهم من الشيوخ والعجز والمتقاعدين من الجالية الروسية. الذين ولدوا وعاشوا طيلة حياتهم في شيشانيا، ولم يكن لهم ملجأ ينتقلون إليه، إذا تجاهلت السلطات الروسية أمرهم، والقوات الروسية قصفت منازلهم الواقعة في المنطقة المركزية من المدنية، في حين أن الشيشان كانوا يسكنون في الضواحي وتمكن أغلبيتهم اللجوء أثناء القصف إلى قرارهم الأصلية في شيشانيا أو أقاربهم ومعارفهم في انجوشيا وداغستان ، وعليه فإن نسبة كبيرة من الضحايا بين المدنيين في حرب ١٩٩٤/ ١٩٩٦ كانت من الروس.

٢٨- ١٩٩٥/١/٢٥: مجلس الأمن الروسي يقرر تعيين نائب وزير الداخلية قائداً عاماً للقوات الروسية في شيشانيا.

٢٩- ١٩٩٥/١/٢٥: إناطة مهمة حماية قادة الجمهوريات بدائرة الحرس العام بعد أن كانت في السابق مناطة بجهاز حماية رئيس الفدرالية الروسية.

٣٠- ١٩٩٥/١/٢٥: تنسيب منح وسام بطل روسيا للجنرال ايفان بابتشيف قائد وحدات المحور الغربي لغزو شيشانيا.

٣١- ١٩٩٥/١/٢٧: تعيين نيكولاي سيمينوف رئيساً لإدارة شيشانيا بسبب مرض نيكولاي بيغوروف.

٣٢- ١٩٩٥/٢/١: ادخل نيكولاي ييغوروف المستشفى بدعوى مرض فقر الدم. والحقيقة انه كان قد عزل من منصبه.

٣٣- ١٩٩٥/٢/٦: غراتشيف يعلن تطهير غروزني من المقاتلين الشيشان.

٣٤- ١٩٩٥/٢/٧: المجلس الفدرالي الروسي يصوت على رفض تمديد حالة الطوارئ في اوسيتيا الشمالية وانجوشيا.

٣٥- ١٩٩٥/٢/٢٨: القوات الشيشانية تنسحب من غروزني.

٣٦- ١٩٩٥/٢/٩ : يلتسين يعزل نائبي وزير الدفاع الفريق ماتيفى بيرلاكوف والفريق جورجي كوندراتيف.

٣٧- ١٩٩٥/٢/١٣: نقل نائب وزير الدفاع بوريس غروموف إلى وزارة الخارجية.

٣٨- ١٩٩٥/٢/١٦: يلتسين يلقي الخطاب السنوي أمام اجتماع مشترك للبرلمان.

٣٩- ١٩٩٥/٢/٢١: القوات الروسية تسيطر على آخر طريق يؤدي إلى غروزني.

٤٠- ١٩٩٥/٢/٢١: القيادة الشيشانية تقدم ثلاث اقتراحات منفصلة لإيقاف العمليات، إلا أن القيادة الروسية في موزدرك لم ترد على أي منها.

٤١- ١٩٩٥/٣/٦: القادة العسكريون الروس يزعمون بأنه تمت لهم السيطرة الكاملة على غروزني.

٤٢- ١٩٩٥/٣/٢٣: سقوط مدينة ارغون بيد القوات الروسية.

٤٣- ١٩٩٥/٣/٣٠: سقوط مدينة غودرمس بيد القوات الروسية.

٤٤- ١٩٩٥/٣/٣١: سقوط مدينة شالي مركز القيادة الشيشانية المؤقت بيد الروس.

٤٥- ١٩٩٥/٤/٩: سقوط قرية سيماشكي بيد الروس بعد قصف عنيف متواصل لمدة يومين ومقتل ٢٥٠ شخصاً.

٤٦- ١٩٩٥/٤/١٣: قصف قرية باموت.

٤٧- ١٩٩٥/٤/١٨: القوات الروسية تفشل في احتلال باموت.

٤٨- ١٩٩٥/٥/١: القوات الشيشانية تدخل غروزني وتصطدم مع القوات الروسية وتقارير عن قتال عنيف.

٤٩- ١٩٩٥/٦/٥: سقوط بلدة فيدينو بيد القوات الروسية.

٥٠- ١٩٩٥/٦/١٤: قوات شيشانية بقيادة شامل بيساييف تقوم بغارة (غير مصرح بها من قبل دوداييف) على مدينة بودينوفسك في إقليم كراسنادار وتحتجز حوالي ١٠٠٠ رهينة في المستشفى المحلي.

٥١- ١٩٩٥/٦/١٧: القوات الروسية تقوم بهجوم لاحتلال المستشفى ولكنها تفشل.

٥٢- ١٩٩٥/٦/١٩: بعد مفاوضات على الهاتف (بث على التلفزيون) بين شامل بيساييف ورئيس الحكومة الروسي، يتم التوصل إلى اتفاق لعبور آمن لمجموعة بيساييف إلى شيشانيا وإطلاق سراح الرهائن.

٥٣- ١٩٩٥/٦/٢١: مجموعة بيساييف تصل بسلام إلى شيشانيا.

٥٤- ١٩٩٥/٦/٣٠: توقيع هدنة عسكرية بموجب اتفاقية تتضمن قيام المقاتلين الشيشان بتسليم أسلحتهم، وانسحاب القوات الروسية من الجمهورية الشيشانية تدريجياً.

٥٥- ١٩٩٥/١٠/١١: القوات الشيشانية تعلن إنهاء الهدنة العسكرية بعد أن قامت القوات الروسية بانتهاكها.

٥٦- ١٩٩٥/١١/١: تعيين دوكة زفجاييف كرئيس للجمهورية الشيشانية من قبل البرلمان الذي كان قائماً في العهد الشيوعي.

٥٧- ١٤-١٩٩٥/١٢/١٧: مشاركة في شيشانيا في انتخابات للدوما الروسي، وزعم بأن ٧٥٪ من المؤهلين أدلوا بأصواتهم.

٥٨- ديسمبر ١٩٩٥: عمليات للقوات الشيشانية في مدينة غودرمس.

عام ١٩٩٦ :

١- ١٩٩٦/١/٩ : ٢٠٠ من القوات الشيشانية بقيادة سلمان رادييف صهر دوداييف يدخلون مدينة كزلار في داغستان ويحتجزون حوالي ٣٠٠٠ شخص كرهائن.

٢- ١٩٩٦/١/١٠ : القوات الشيشانية تعقد اتفاقاً مع القوات الروسية لان يعودوا في قافلة (مع عدد من الرهائن) إلى شيشانيا، إلا انه عندما وصلت القافلة إلى جوار قرية بيرفومايسك القريبة من الحدود الشيشانية قامت القوات الروسية بإيقاف القافلة ومنعها من اجتياز الحدود. فقامت القوات الشيشانية بدخول قرية بيرفومايسك واحتلالها.

٣- ١٩٩٦/١/١٥ : قامت القوات الروسية بهجوم على القرية بقصد إبادة المقاتلين الشيشان وتحرير الرهان (كما زعمت ؟).

٤- ١٩٩٦/١/١٨: القوات الشيشانية التي تكبدت خسائر في الأرواح استطاعت الخروج مع عدد من الرهائن من القرية المحاصرة ، واستطاعت العبور إلى شيشانيا.

٥- ١٩٩٦/١/٢٤: السلطات الشيشانية تطلق سراح الرهائن فيعودون إلى داغستان.

٦- ١٩٩٦/٣/٦: دخول قوات شيشانية إلى غروزني واندلاع معارك عنيفة لمدة خمسة أيام قبل انسحابها من المدينة.

٧- ١٩٩٦/٣/٣١: يلتسين يعلن عن خطة لحل سلمي للنزاع، ويعلن إيقاف القتال من طرف واحد. لم يتلق رداً من الجانب الشيشاني كما وان القوات الروسية لم تتقيد بأوامره.

٨- ١٩٩٦/٤/١ : القوات الشيشانية تقتل ٢٨ جندياً روسياً في كمين نصبته في بلدة فيدينو.

٩- ١٩٩٦/٤/١٦: القوات الشيشانية تقتل ٧٦ جندياً روسياً وتدمر عدداً من الآليات المدرعة في كمين نصبته على الطريق المؤدي لمدينة شاتوي.

١٠- ١٩٩٦/٤/٢١ : استشهاد دوداييف في عملية هجوم صاروخي من الجو.

١١- ١٩٩٦/٤/٢٥: نائب رئيس الجمهورية زيلمخان يندربابيف يتولى منصب الرئاسة وفق أحكام الدستور الشيشاني.

١٢- ١٩٩٦/٤/٢٧: رئيس الوزراء الروسي تشيرنوميردن، ورئيس الجمهورية الشيشانية زيلمخان يندربابيف يوقعان اتفاقية لوقف القتال.

١٣- ١٩٩٦/٦/١٨: يلتسين يعين الجنرال الكسندر لبيد كمستشار لمجلس الأمن الروسي، ويعزل وزير الدفاع غراتشيف.

١٤- ١٩٩٦/٧/٣: إعادة انتخاب يلتسين رئيساً للفدرالية الروسية.

١٥- ١٩٩٦/٧/٩: انهيار هدنة وقف القتال في شيشانيا.

١٦- ١٩٩٦/٨/٦: هجوم رئيسي للقوات الشيشانية على غروزني. الهجوم الروسي المعاكس يفشل في إخراج القوات الشيشانية من المدينة؟

١٧- ١٩٩٦/٨/١٤: يلتسين يمنح لبيد سلطات كبيرة للتفاوض مع الجانب الشيشاني للتوصل إلى حل للنزاع ، وبدء وقف لإطلاق النار في غروزني.

١٨- ١٩٩٦/٨/٣١: لبيد ورئيس أركان القوات الشيشانية يوقعان اتفاقية خساف يورت التي أدت إلى انسحاب القوات الروسية من الجمهورية ووضعت مبادئ تحدد أسس العلاقات الثنائية بين الفدرالية الروسية والجمهورية الشيشانية تسري لغاية ٢٠٠١/١٢/٣١ عندما يتم إقرار الوضع النهائي للجمهورية الشيشانية.

١٩- ١٩٩٦/٩/٣: لبيد يعلن بأن ما بين ٧٠ ألف إلى ٩٠ ألف قتلوا في الحرب.

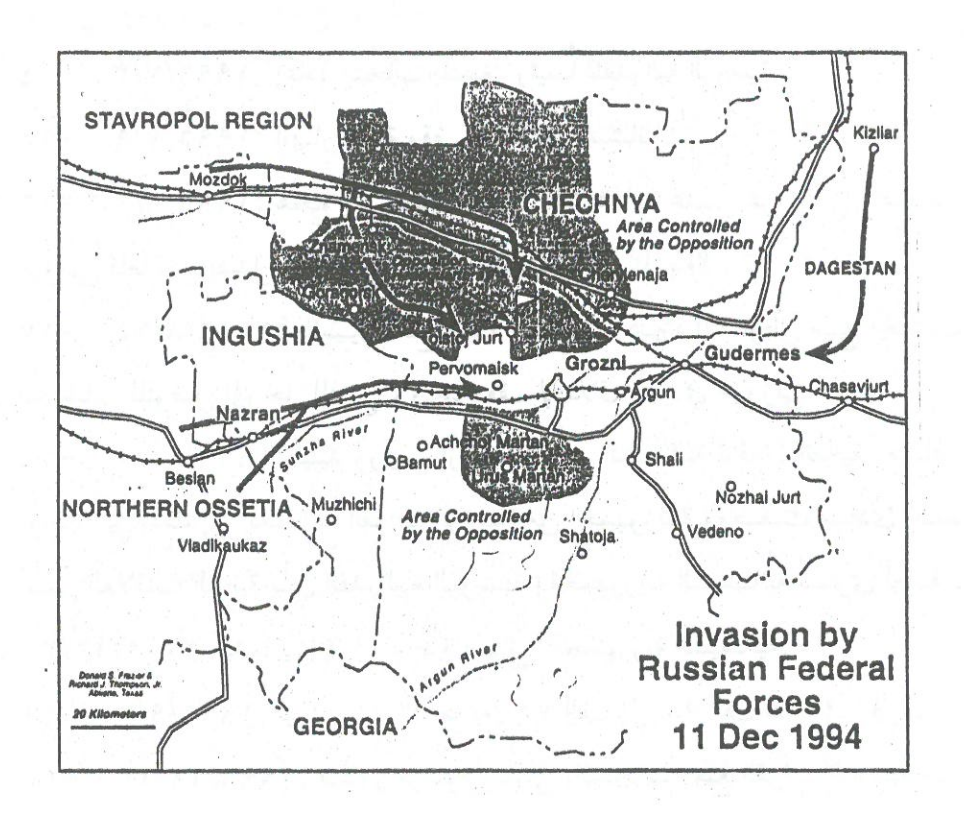
٢٠- ١٩٩٦/١١/١٣: صدور مرسوم رئاسي بانسحاب جميع القوات الروسية من شيشانيا قبل ١٩٩٧/١/٢٥.

٢١- ١٩٩٦/١٢/٢٩: انسحاب آخر فوج من القوات الروسية من شيشانيا.

عام ١٩٩٧:

١- ١٩٩٧/١/٢٧: انتخاب اصلان مسخادوف رئيساً للجمهورية الشيشانية بأغلبية ٦٥٪ من الذين أدلوا بأصواتهم.

٢- ١٩٩٧/٥/١٢ عقد معاهدة سلام بين الفدرالية الروسية وجمهورية اتشكيريا الشيشانية ووقعها الرئيسان يلتسين ومسخادوف ونشرت كوثيقة إخلاص وثقة.



بدء الغزو الروسي (المصدر كتاب The War in Chechnya).

الفصل التاسع

معارك احتلال غروزني

كما أعلنت وكالة تاس، كانت ثلاث جيوش غزو روسية قد اتجهت في ١٩٩٤/١٢/١١ باتجاه الجمهورية الشيشانية من ثلاث محاور.

المحور الغربي : بدءاً من مدينة فلادي قفقاسيا في اوسيتيا الشمالية عبر انجوشيا.

المحور الشمالي: بدءاً من مدينة موزدوك في اوسيتيا الشمالية؟

المحور الشرقي: بدءاً من مدينة كزلار في داغستان.

إلا أن هذه الجيوش لم تصل إلى غروزني في ظهيرة ذلك النهار كما ورد في البيان الروسي إنها ستفعل.

ففي المحور الغربي: اعترضت تقدم القوات الروسية في انجوشيا حشود من المدنيين، أغلقت طريق العبور الرئيسي ومنافذ الطرق الالتفافية المؤدية إلى شيشانيا. رفضت هذه الحشود إخلاء الطرق، وأصرت بأنها لن تسمح بعبور الوحدة العسكرية إلا على جثث حشود المواطنين. وصلت الجرأة بهذه الحشود كما جاء في كتاب (The War in Chechuya) إلى قيامها باتلاف ٦٨ عربة حربية، وحرق عدة سيارات ، والاستيلاء على أسلحة من الجنود ، كما تحطمت طائرة مروحية حربية روسية من طراز Mi- 8 على الطريق العام بين القوات الروسية وحشود المواطنين.

وأمام هذا الموقف وقع تذمر بين صفوف ضباط الحملة، الذين رأوا بأن مهام الجيش لا تشمل محاربة مواطنين مدنيين غير مسلحين. ووافق معهم قائدهم الفريق ايفان بابيتشيف. فوقف على الطريق أمام قافلة دباباته وصرح للمراسلين. " قد تقوم السلطات الروسية بإدانتنا.. ولكننا لن نطلق النار ولن نستعمل الدبابات ضد المواطنين

.. ولن نتقدم خطوة واحدة. وإذا صدرت إلي أوامر بالتقدم، فسأعتبرها أوامر إجرامية. طبعاً من واجبات الجيش تنفيذ الأوامر الشرعية، إلا أن أية أوامر بقتل المدنيين وتدمير قرى غير مسلحة ليست شرعية" واستطرد " إن تواجدنا هنا ليس خطأنا، و لم نرغب في هذا التواجد، إن هذه العملية مخالفة للدستور الذي يمنع استعمال الجيش ضد مواطني البلد وإطلاق النار على المدنيين" واعتبر بأن موقفه لا يشكل تمرداً حيث أن مرسوم الرئيس يلتسين أورد بأنه لن تستعمل القوة ضد المدنيين العزل.

وبعد توقف دام عدة أيام ، انضمت هذه القوة إلى المحور الشمالي.

وكذلك قوات المحور الشرقي التي زحفت من مدينة كزلار في داغستان، فإنها لم تستطيع دخول ارضي جمهورية الشيشان إذ أن سكان لواء مدينة خساف يورت المجاورة لشيشانيا ويقطنها أغلبية من الشيشان، اعترضت حشود منهم مسلحة بقنابل كوكتيل تقدم القوات الروسية، وتمكنت من عزل أربع مركبات مدرعة وسيارة نقل عن باقي القوة، واحتجزت ٥٩ عنصراً من قوات وزارة الداخلية أحدهم برتبة كولونيل. وبعد مفاوضات مع مساعد القائد العام لقوات وزارة الداخلية الروسية الذي قدم خصيصاً من موسكو افرج عن ٣٨ جندياً ، ما عدا ٢١ جندياً وكلهم برتبة ضابط كان قد تم نقلهم وتسليمهم إلى السلطات الشيشانية. وبقيت القوات الروسية على هذا المحور مجمدة لفترة من الزمن إلى أن انتقلت بدورها أيضاً إلى المحور الشمالي.

وكذلك قوات المحور الشمالي التي تقدمت من مدينة موزدوك ومن إقليم ستافروبول عبر منطقة كانت تعتبر خاضعة للمعارضة، واجهتها مقاومة من أهالي المنطقة المدنيين، اعترضت تقدمها ، ودمرت دبابتين وأجبرتها في بادئ الأمر على التراجع .

وعلى ضوء هذا الوضع الهزيل في جبهات القتال، ورئيس الجمهورية/ القائد العام لقوات الفدرالية الروسية مداوم على انعزاله ، قرر وزير الدفاع الروسي غراتشيف إجراء تبديلات في القيادات الميدانية، وطلب من الفريق الأول أدوارد فوربيوف النائب

الأول للقائد العام للقوات البرية الروسية أن يتولى القيادة العامة للعمليات الحربية في شيشانيا، إلا انه وبعد أن زار الجبهة وتفقد الأوضاع واجتمع بقيادات العملية وبقيادة المنطقة العسكرية في شمال القوقاز، عاد إلى موسكو رافضاً استلام قيادة الحملة المذكورة وآثر الاستقالة من الخدمة العسكرية. ونشر في جريدة (Novaja Ezhednevanja Gazeta) بتاريخ ١٩٩٥/١/٢٥ تقريراً ذكر بأنه من وضع ضابط برتبة عالية جداً، لم تذكر الجريدة اسمه، إلا أن الجميع استخلص بأنه من إعداد فوربيوف. ويمثل التقرير انتقاداً وتنديداً شديدين بوضع القوات المسلحة الروسية.

وبمساندة من قصف جوي وصاروخي ومدفعي عنيف، تقدمت القوات الروسية باتجاه غروزني عبر مسارين في المحور الشمالي ووصلتها بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٢١ ، متجاوزة قرى وجيوب مقاومة شيشانية من دون محاولة احتلالها أو السيطرة عليها. ونتج عن ذلك مناوشات تسببت في وقوع خسائر في الجانبين وتجاوز عدد قتلى الجيش الروسي ٢٥٠ جندياً.

حاصرت القوات الروسية مدينة غروزني من الجهات الغربية والشمالية والشرقية ، إلا أن الجهة الجنوبية المؤدية إلى المنطقة الجبلية بقيت مفتوحة لتحركات القوات الشيشانية التي كانت تتناوب الاشتباك مع قوات الغزو، واخذ الراحة وزيارة أهليهم وقراهم في الجبال.

اشتد القصف الروسي لغروزني، إلا أن قواتها لم تحاول اقتحام المدينة حتى فجر يوم ١٩٩٥/١/١ عندما نشبت معركة رأس السنة التاريخية في غروزني. ولعل هذه المعركة تعتبر الأولى في التاريخ العسكري العالمي من حيث عدد الدبابات والعربات المدرعة التي خسرها جانب واحد في يوم واحد. وليس بوسعي أنا المراقب البعيد الذي يفتقر إلى خلفية وخبرة عسكرية إن أوفى هذه المعركة حقها من الوصف والتحليل. إلا أن مراسلين مؤهلين لوكالات أنباء دولية وروسية (وغياب عربية وإسلامية) تواجدوا في الميدان وكانوا يرسلون تقارير مفصلة ، وألف بعضهم كتباً قيمة

تصلح مراجع موثقة ومعتمدة عن هذه الحرب. وبحكم جذوري الشيشانية اشعر بالاعتزاز لكون موقفهم جميعاً إيجابياً بالنسبة للقضية الشيشانية، ولتصرف الشيشان مقاتلين ومدنيين ، في حين أنهم انتقدوا تصرف القوات الروسية وانتهاكاتها لحقوق الإنسان ومبادئ القانون الإنساني الدولي.

ولا فتقاري إلى الخبرة والخلفية العسكرية سأكون موجزاً في وصف المعارك الحربية وتحليلها، محاولاً أن أبذل جهداً اكبر في تحليل أسباب الحرب ونتائجها، وتصرف طرفي النزاع ومراعاتهما للاتفاقيات الدولية والقانون الإنساني الدولي . وأما من يرغب في البحث عن تفاصيل أكثر لمعارك هذه الحرب فأنسب كتاب The war in Chechnyo المدرج في جدول مراجع هذا الكتاب.

بدأت عملية اقتحام غروزني في الساعة الخامسة من فجر يوم ١٩٩٥/١/١ بدخول ٦٠٠٠ جندي روسي مع ارتال تزيد عن ٣٥٠ دبابة ومدرعة عسكرية وناقلات جنود. وبدلاً من أن يكون دخولها على شكل استعراض احتفالي كما كان يخيل للقيادات الروسية، تصدت لها القوات الشيشانية والحقت بها خسائر وإصابات كثيرة فاقت التوقعات.

بنيت الخطة الدفاعية الشيشانية عن غروزني على أن يكون الالتحام مع العدو باحتكاك مباشر ومن مسافات قريبة في شوارع المدينة وباستعمال أسلحة خفيفة يحملها المجاهدون من دون إعاقة أو إبطاء حركة الأفراد، والانتقال من موقع إلى آخر بسرعة حسب تطور الالتحام.

سمح المقاتلون الشيشان لطوابير الدبابات والآليات المدرعة وناقلات الجنود الروسية التوغل بدون مقاومة في شوارع المدينة التي تصعب على الدبابات الروسية المناورة فيها، بينما كان مقاتلون شيشان مدربون ومسلحون براجمات مضادة للدروع ، وبنادق قنص، وبنادق أوتوماتيكية، وقنابل يدوية رابضون في أبنية متعددة الطبقات

على جوانب الشوارع، يترصدون طوابير الآليات الروسية للانقضاض عليها في اللحظة المناسبة.

وعندما أصبحت جميع طوابير الآليات التي قامت بعملية الاقتحام داخل شوارع المدينة، قام المجاهدون الشيشان بتفجير آليات في مقدمة ومؤخرة كل طابور ، فسدت بذلك طرق الهروب على الآليات المتبقية التي قام المقاتلون الشيشان بتفجيرها بما فيها من الذخيرة ، وقتل من كان فيها من الجنود الروس حرقاً أو من انفجار الذخيرة . ومن يتمكن من الخروج من الآلية كان القناصة الشيشان يصطادونهم ببنادق القناصة والرشاشات.

إن معظم الآليات التي اشتركت في هذه العملية دمرت أو استولى عليها الشيشان وقتل ماينوف على ألف من الجنود الروس الذين بقيت جثثهم مبعثرة في شوارع المدينة لعدة أيام تنهشها الكلاب. وكانت السلطات الشيشانية قد اقترحت هدنة لوقف القتال فترة حتى تتمكن القوات الروسية من نقل قتلاها مراعاة لكرامة الميت وجثمانه، إلا أن الجانب الروسي تجاهل الاقتراح، حرصاً من القيادة الروسية على عدم الكشف عن عدد الإصابات بين قواتها. ومع أن السلطات الروسية لم تنشر رسمياً أرقام القتلى والإصابات بين قواتها في حرب ١٩٩٤/ ١٩٩٦، إلا أن معظم المؤرخين يقدرون بأن الإصابات بين القوات الروسية المتنوعة في هذه المعركة وحدها زادت عن ١٥٠٠ قتيل ، ومئات الجرحى ، ووقع العشرات في الأسر. كما تم تدمير اكثر من ٢٥٠ من الدبابات والعربات العسكرية والاستيلاء على العديد منها.

تردد في الأوساط الروسية بأن موافقة غراتشيف على خطة الاقتحام والأمر بتنفيذها في فجر يوم رأس السنة تمت في حفلة سكر بمناسبة عيد ميلاده ، ألا أنه ظل يسعى لرفع مسؤولية الكارثة عن نفسه والقيادات العليا. وصرح بتاريخ ١٩٩١/١/٩ في مدينة الماماتا:

"صحيح أن التخطيط لهذه العملية جرى على عجل، إلا أنها نفذت بعدد قليل من الإصابات. وارغب أن أكون صريحاً وأقول بأن هذا العدد القليل من الإصابات وقعت لان عدداً من الضباط من ذي الرتب المتدنية المشتركين في العملية أصابهم الارتباك والتشويش. كانوا يتوقعون نصراً سهلاً.. وأمام الضغوط انهاروا " .

أما الفريق بابيتشيف الذي قاد عملية الاقتحام من الجهة الغربية فقد صرح لوفد زائراً من منظمة الأمن والتعاون الأوروبي.

"القادة في موسكو خذلونا.. أرسلونا إلى الشرك وتخلوا عنا "

وعلق رئيس أركان القوات الشيشانية مسخادوف على العملية

"كانت عملية بدون منطق ولا معنى. لقد زجوا قواتهم في عملية غبية. كان عليهم أن يعرفوا بأن الشيشان جادون عندما يصرحون بأنهم سيقاومون حتى الموت".

وقال الجنرال شوارتزكوف قائد عام قوات الحلف الثلاثيني ضد العراق في حرب الخليج : "يحيرني مسار ونتيجة هذه العملية، إلا أنني اقترح أن تقوم أمريكا بإرسال فرق للتدرب مع الشيشان".

وكان من اشد المعارضين للحرب مفوض منظمة حقوق الإنسان في روسيا سيرجي كوفاليوف. وفي مسعى للتوصل إلى وقف الحرب والتوصل إلى حل سلمي ذهب مع رفاق له إلى غروزني – وتواجد في أيام هذه المعركة في القصر الرئاسي في غروزني. وشاهد جثث القتلى الروس مبعثرة في برك مياه واوحال في شوارع المدينة ، أخذت تنحل وتنهشها الكلاب. ووصف ذلك في مقابلة صحفية :

"رأينا تحت عربة صغيرة واقفة في الشارع كلباً صغيراً يأكل شيئاً ما . وعندما اقتربنا اخذ ينبح في وجهنا . ورأينا جندياً روسياً ينهش الكلب جثمانه . لقد كان هذا من اشد مناظر الرعب التي شاهدتها في حياتي".

وكان كوفاليوف يندد بالقصف العشوائي للأهداف المدنية، ويرسل برقيات متتالية إلى يلتسين يطلب "وقف هذه المجزرة البشعة المجنونة وان ينقذ البلاد من حلقة الحقد واليأس والأكاذيب الدموية" إلا أن يلتسين المنعزل لم يرد عليه.

وعندما خرج يلتسين من عزلته بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٢٦، ترأس اجتماعاً لمجلس الأمن القومي، وفي مسعى للتخفيف من الانتقادات الموجهة إليه وعد بوقف عمليات القصف الجوي، إلا أنه خلف الأبواب وجه توبيخاً قاسياً لوزيري الدفاع والداخلية للفشل في القضاء على التمرد الشيشاني في وقت قصير ، وقال "من المهم جداً نزع سلاح العصابات الشيشانية واحتلال غروزني بسرعة. فأي تأخير في هذا المجال سيراه العالم الخارجي علامة ضعف روسيا". ولعل هذا التوبيخ كان عاملاً في اتخاذ قرار اقتحام غروزني ليلة رأس السنة .

وعندما عاد كوفاليوف إلى موسكو طلب مقابلة يلتسين. وقد تمت المقابلة فعلاً وتحدثا لمدة أربعين دقيقة وكان معظمه من جانب كوفاليوف الذي علق عنها :

"كان ذلك بتاريخ ١٩٩٥/١/٦، واستمع يلتسين عابساً مقطب الوجه. قلت له: يا سيادة الرئيس .. إنني أتوسل إليك .. غداً في السابع من يناير يصادف عيد الميلاد حسب التقويم المعتمد في الكنيسة الأرثوذكسية. انتهز هذه المناسبة لإعلان وقف عمليات القتال، حتى ولو كان ذلك لغايات إعادة تجميع القوات وجمع الجرحى وجثث القتلى المبعثرة في شوارع غروزني ، ولعلنا نستطيع أن ننقذ حياة بعض الجرحى. لم تظهر على يلتسين علامات التأثر .. لم يقل لا ، بل قال بأن الوقت لم يحن بعد ".

داوم كوفاليوف جهوده لإيقاف القتال. وتباحث في هذا المسعى مع شامل بيساييف واصلان مسخادوف (الذي اخذ كوفاليوف انطباعاً بأن موسكو تستطيع أن تتعامل معه) وكذلك رئيس جمهورية انجوشيا رسلان أوشييف الذي قال له " امنحوا الشيشان الاستقلال ونعدكم بأن لا تطالب انجوشيا الانفصال عن روسيا". وعندما

تبنى كوفاليوف إثارة مجزرة سيماشكى ندد عضو البرلمان الروسي غوفوروكين (Govorukhin) به وبزميله شاباد ودعا إلى محاكمتهما بتهمة بث الكراهية والبغضاء. وأخيراً تمكنت العصبة المتشددة في موسكو (حزب الحرب) من عزله من مهام مفوض حقوق الإنسان في روسيا.

وبعد فشل عملية الاقتحام في يوم رأس السنة، لجأت روسيا إلى قصف وتدمير واحتلال غروزني حياً بعد حي وشارعاً بعد شارع . وأعلنت روسيا عدة مرات بأن قواتها سيطرت على القصر الرئاسي إلا أن إخلاء القوات الشيشانية للقصر جرى بتاريخ ١٩/١/١٩٩٥ بعدما تم تدميره بشكل لم يبق فيه ملجأ من القصف المتواصل.

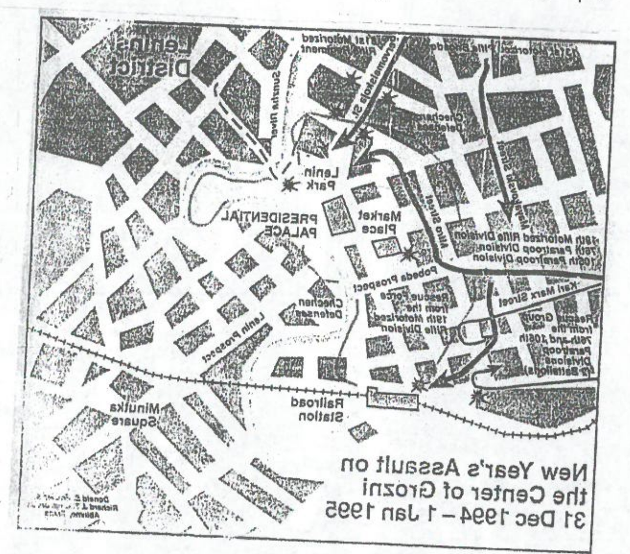
وعند قيام القوات الشيشانية بإخلاء القصر الرئاسي ، أعلن يلتسين بأن المرحلة العسكرية في عمليات شيشانياً قد أنجزت عملياً. وفي الواقع ، فان المرحلة العسكرية استمرت لغاية ٣١/٨/١٩٩٦ عند جرى توقيع اتفاقية انهاء الحرب، وقعها عن الجانب الروسي الجنرال الكسندر ليبيد وعن الجانب الشيشاني الجنرال اصلان مسخادوف.

أوردت مؤسسات أبحاث ودراسات غربية، بأن قوة النار الذي نفذته القوات الروسية في عمليات احتلال غروزني تزيد عن قوة النار الذي نفذته جميع الأطراف (العراق والحلف الثلاثيني) في حرب الخليج الثانية. وذكر خبير الإسعاف الأمريكي فريدريك كوني في مقالة نشرها في العدد الصادر بتاريخ ٦/٤/١٩٩٥ من مجلة (The New Yorker Review) تحت عنوان (Killing Chechnya) بأن عدد القذائف التي تعرضت لها مدينة سراييفو في البوسنة في اشد مراحل القتال كانت بمعدل ٣٥٠٠ انفجاراً في اليوم. في حين أن هذا المعدل في غروزني في شهري يناير وفبراير عام ١٩٩٥ كان ٤٠٠٠ انفجاراً كبيراً في الساعة الواحدة.

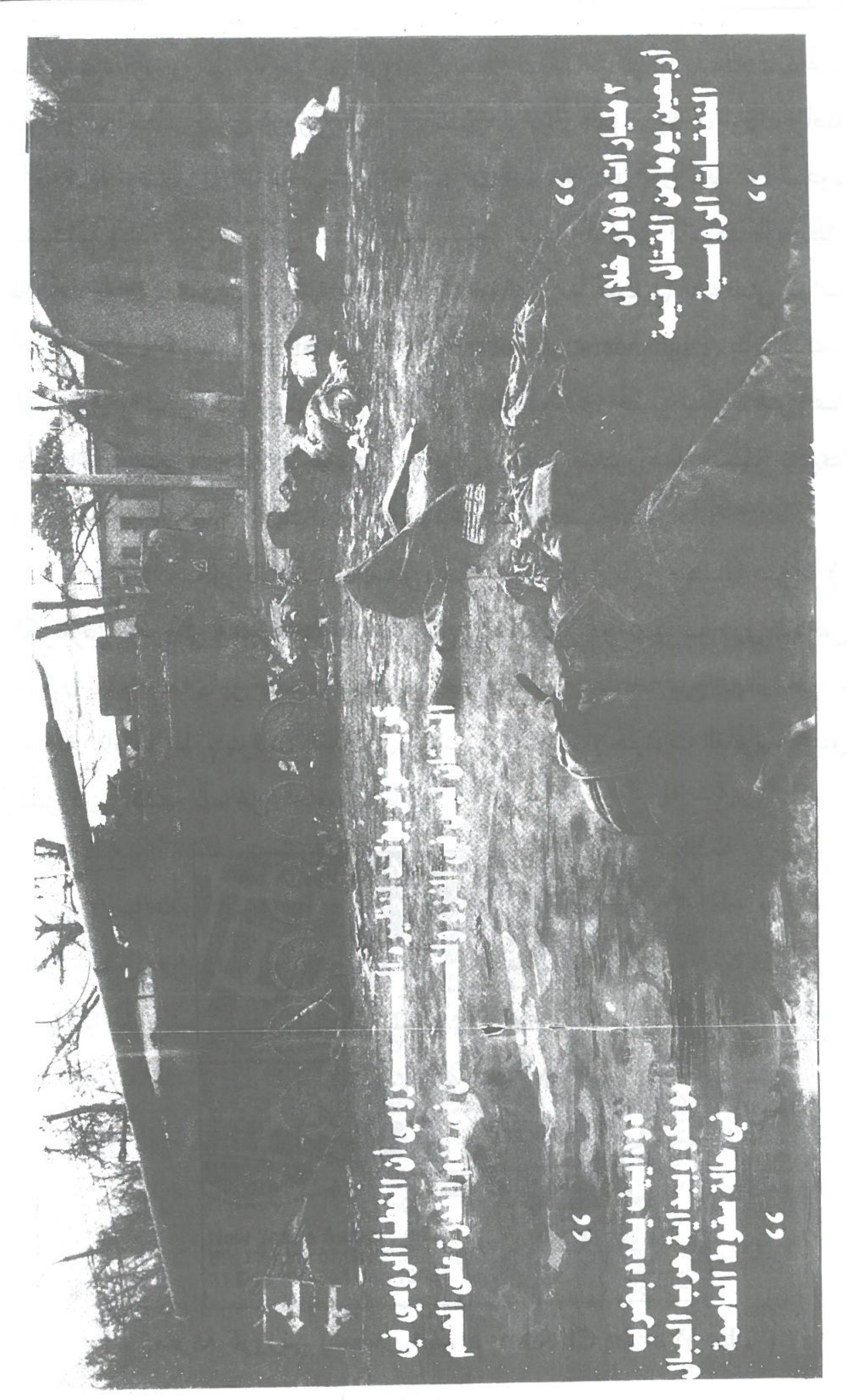
ومن الجدير بالذكر بأن كوني كان يعمل لدى جمعيات إسعاف امريكية. وقد اختفى بتاريخ ٩/٤/١٩٩٥ (مع مجموعة من العاملين معه) بعد اجتياز نقطة

سيطرة عسكرية روسية متوجهاً إلى غروزني ،يسعى لتنظيم مراكز توزيع مياه نقية غير ملوثة وصالحة للشرب في غروزني. ومع أن مصيره لا يزال مجهولاً، إلا أن أولاده وأهله وأصدقاءه توصلوا إلى قناعة بوفاته. وحيث أن اختفاءه كان بين نقطة الحدود الشيشانية وبلدة باموت، وهي منطقة كانت تسيطر عليها بالكامل القوات الروسية، فان أهله يعتبرون القوات الروسية مسؤولة عن اختفائه. وقد كتب لي الصحفي يواف كارني (مؤلف كتاب Highanders, A Journey to the Caucasus) بأن السفير الأردني في واشنطن كان الدبلوماسي الأجنبي الوحيد الذي حضر مندوباً عن سمو الأمير الحسن المعظم احتفالاً لإحياء ذكرى كوني. واعتبر الحضور هذا التمثيل تكريماً من سمو الأمير للأردنيين الشيشان في تعاطفهم مع قضية شعب جذورهم.

وكان السناتور الفانسون داماتو (عن ولاية نيويورك) واعضاء اخرون في الكونغرس الامريكي ومجموعات متعاطفة مع الشيشان قد وجهوا نداء إلى الرئيس كلنتون بعدم الذهاب إلى موسكو بمناسبة احتفالات مرور ٥٠ عاماً على انتهاء الحرب العالمية الثانية، ما لم يتوقف القتال في شيشانيا، وتتخذ الإجراءات القانونية بحق المسؤولين والمشتبه بهم عن اختفاء كوني.



معركة غروزني (المصدر كتاب The War in Chechnya).



الفصل العاشر

استمرار القتال

توزعت القوات الشيشانية التي انسحبت من غروزني في مدن وقرى وقواعد في مختلف أنحاء الجمهورية، فانتقلت الاشتباكات إليها. ونظراً للتفوق الكبير لروسيا في قوة النار (جوي وصاروخي ومدفعية ثقيلة)، وكذلك في إعداد الجيوش، عانت المقاومة الشيشانية من نكسات متتالية. وبالنسبة لموازنة القوى لدى الفريقين في تلك الفترة قال مسخادوف:

"إذا أخذنا قوة النار والتجهيزات العسكرية لدى الطرفين بعين الاعتبار، كان تفوق روسيا بنسبة ١:١٠ أيام حروب الشيخ شامل وبنسبة ١:١٠٠ في آذار ١٩٩٥".

سقطت مدينة ارغون بيد القوات الروسية بتاريخ ١٩٩٥/٣/٢٣. وبتاريخ ٣/٣٠ سقطت مدينة غودرمس ثاني المدن الشيشانية من حيث عدد السكان، وبتاريخ ٣/٣١ سقطت مدينة شالي التي كانت قد اتخذت مركزاً مؤقتاً للقيادة الشيشانية. إلا أن تقدم القوات الروسية إلى المناطق الجبلية الجنوبية واجهتها مقاومة شيشانية عنيفة، وخاصة في الممرات المؤدية إلى مدينتي فيدينو وشاتوي حيث تكبد الروس خسائر فادحة.

كما واجهت القوات الروسية مقاومة عنيفة، وتكبدت خسائر كبيرة في محاولات فاشلة للسيطرة على المناطق الواقعة غربي غروزني وخاصة في قرى سيماشكي وسيرنوفودسك وباموت. ومع أن غروزني وارغون وغودرمس وشالي والقرى المحيطة بها كانت تعتبر محتلة من قبل القوات الروسية إلا أن سيطرتها الفعلية فيها كانت محدودة، وقيل (أن القوات الروسية تسيطر فقط على البقع الواقعة تحت

أقدام وحداتها). وقيل (السيطرة للروس خلال النهار وللمقاومة الشيشانية في الليل). ودخلت وحدات من القوات الشيشانية إلى هذه المدن وسيطرت عليها لفترات قصيرة.

في ١٩٩٥/٦/٥ استطاعت القوات الروسية دخول مدينة فيدينو وبتاريخ ٦/١٣ دخلت مدينة شاتوي، وتمكنت من الوصول إلى جميع أنحاء الجمهورية، وخيل للروس وللمراقبين من الخارج بأن المقاومة الشيشانية على وشك انهيار تام، إلا أن عملية بودينوفسك بقيادة شامل بساييف أحدثت تغييراً حاسماً في وضع النزاع.

عملية بودينوفسك

في الوقت الذي بدى فيه أن المقاومة الشيشانية منهارة وفي النزع الأخير، تحركت من فيدينو صباح يوم السبت الموافق ١٩٩٥/٦/١٤ كوكبة مجاهدين شيشان بقيادة شامل بيساييف، واجتازت الحدود الشيشانية في عملية عسكرية جريئة داخل الفدرالية الروسية.

كانت الوحدة مشكلة من حوالي ٢٠٠ مجاهد استقلوا قافلة من سيارة زيغولي Ziguli-6 تخصص في الجيش الروسي للضباط وعربتي شحن عسكرية نوع Kamaz مغطاتين. ويظهر أن العملية خططت بسرية وكتمان حتى أن دوداييف لم يكن ملماً بتفاصيلها واستنكر وزير خارجيته العملية في بادئ الأمر.

كان اثنان من المجاهدين بملامح وزي ضباط روس يتقدمان القافلة في سيارة الزيغولي. وعند نقاط التفتيش العسكرية الرسمية كانا يلوحان بأوراق على اعتبار أنها وثائق رسمية ، ويشيران إلى سيارة الشحن على أنها تحوي شحنة (Cargo 200) وهو اصطلاح كان يطلق على جثث قتلى القوات الروسية في حرب الشيشان. وبحجة رغبتهما في التخلص من هذه الشحنة وتسليمها بدون تأخير يقدمان رشوة لرجال نقاط التفتيش بشكل مبالغ نقدية صغيرة أو فودكا.

وصلت القافلة في ظهيرة ذلك اليوم إلى مدينة بودينوفسك، عندما طلب المسؤول عن نقطة سيطرة تدقيق الوثائق والكشف عن عربتي الشحن المغطاتين . اقترح الضابطان المتخفيان كضباط روس أن يجري ذلك في مركز قيادة ميليشيا المدينة، واستدارت القافلة نحو المركز تحت حراسة عدد من أفراد نقطة السيطرة.

وعند وصول القافلة المركز، قام المجاهدون بهجوم مفاجئ واطلاق نار كثيف، واستولوا على مباني المركز والبلدية والاتصالات والبنك واحتجزوا من تواجد فيها واستولوا على الأسلحة والذخيرة ، ورفعوا العلم الشيشاني على مبنى البلدية.

هرعت إلى الموقع وحدة روسية من قاعدة مروحيات قريبة من المدينة مشكلة من ٣٢ ضابطاً واشتبكت مع المجاهدين، إلا أنه قتل ثمانية منهم وجرح عدد آخر.

أخذت تعزيزات روسية كبيرة تصل إلى الموقع، وأخذت المروحيات تحوم فوقه وجرى تبادل كثيف لإطلاق النار أدى إلى مقتل وجرح العديد من الطرفين.

ومن مراقبة الاتجاه الذي أخذ الروس ينقلون جرحاهم اليه ، استدل المجاهدون على موقع مستشفى ومنتجع بودينوفسك الكبير المشهور. وقرروا التوجه إليه أخذين معهم الروس المحتجزين ، ومقتادين كل من يصادفوه في الطريق، ودخلوا المجمع ومعهم حوالي ٣٠٠ رهينة . وباضافة ٤٥٠ من كوادر المجمع و ٥٠٠ مريض بلغ عدد الرهائن حوالي ١٢٠٠ شخص.

وانتهت المرحلة الأولى من العملية. وفي الاشتباكات التي استمرت أكثر من ساعتين قتل (٤٠) وجرح (٦٩) شخصاً. وكان (٦) من القتلى و (١٢) من الجرحى من المجاهدين ، كما جرى أسر ثلاثة منهم.

وكان من بين الجرحى المجاهد شرواني شقيق بيساييف، ساءت حالته واحتاج إلى عملية نقل دم تبرع به ضابط روسي برتبة ميجر. وتقديراً لموقفه الإنساني هذا عينه المجاهدون وسيطاً في التداول مع السلطات الروسية. وذكر الرهائن بعد انتهاء العملية

بأن معاملة المجاهدين مع الرهائن كانت صارمة ولكن من دون أن يمسوا الرهائن بكرامتهم أو بأذى متعمد.

وعندما تزايدت الحشود الروسية التي حاصرت المجمع وبدى أنها ستقوم بعملية اقتحام، وجه بيساييف إنذاراً بأنه سيعدم من الرهائن خمساً مقابل كل جريح من المجاهدين وعشراً مقابل كل قتيل. وأنه سيبدأ بأفراد الميليشيا والموظفين الذين كان قد احتجزهم (وكان من بينهم نائب رئيس البلدية).

كانت السلطات الروسية في حيرة عن أهداف العملية، وقائدها، واختيار مدينة بودينوفسك والمنتجع. ومن دون أن يفصح عن هويته قدم بيساييف مطالبه (إيقاف العمليات العسكرية وانسحاب الجيوش الروسية من شيشانيا، وأن تبدأ روسيا مفاوضات مع دوداييف). وطالب حضور مراسلين من وكالات أنباء عالمية لمؤتمر صحفي حول غايات وأهداف العملية. وأعلن بيساييف الذي كشف عن هويته في المؤتمر الصحفي ، بأن العملية نفذت بدون علم دوداييف حيث أن وسائل الاتصال بينهما تعطلت بعد سقوط فيدينو. وذكر بأن الهدف كان تنفيذ العملية في موسكو، إلا أنه بسبب نفاذ النقود لدفع الرشوات (وقال أنه صرف ٢٥٠٠٠ دولار أمريكي) لم يتمكن من الوصول إلى موسكو. وأن وقوع العملية في مدينة بودينوفسك كانت مصادفة غير مقصودة. وذكر بأن استمرار العمليات الحربية في الشيشان أصبحت مكلفة لشعبه، إذ أن القوات الروسية تقوم بتدمير القرى الشيشانية وقتل المدنيين العزل بدون تمييز بين أطفال رضع وشيوخ عجز ونساء وربات بيوت، مما حدى بالمقاتلين الشيشان إلى الخروج من المدن والقرى تخفيفا لمعاناة المواطنين. ولم يبق لنا خيار إلا أن ننقل القتال إلى روسيا نفسها وقال: "أن الهدف من هذه العملية هو خلق مبادرة لإيقاف القتال أو (نموت كلنا)".

وذكر بأن مجموعته مشكلة من ١٢٠ مقاتل، وأنه اختار المستشفى لأن بعض زملائه أصيبوا بجراح وبحاجة للمعالجة الطبية، بالإضافة إلى أنه لا يتوقع عملية اقتحام

ستؤدي إلى قتل المئات من المتواجدين فيه. وأنذر بأن مرافق المستشفى زرعت بالألغام، وسيجرى تفجيرها وتدميرها على من فيها إذ جرت محاولة اقتحامها.

وقال أيضاً بأنه جرى إعدام بعض أفراد المليشيا بسبب قيام القوات الروسية بقصف المستشفى، وإذا استمر القصف، أو إذا جرت محاولة لاقتحام المستشفى فسيجري قتل جميع الرجال البالغين من الرهائن بدءاً بأفراد قوات الأمن العام وموظفي السلطات الروسية، وأما الأطفال والنساء والمرضى فسيُقتَل العديد منهم من قبل القوات الروسية أثناء عملية الاقتحام.

وقال أيضاً بأنه سيفرج عن جميع الرهائن من أصول فيتنامية أو تركية لأنه لا دور ولا علاقة لهم بالنزاع ، في حين أن الرهائن من أصول شيشانية والمقيمين في الفدرالية الروسية، فسيجري التعامل معهم على أنهم مواطنون روس.

هدد ممثلو القوات الأمنية الروسية الذين حضروا المؤتمر بأنهم سيقومون بقتل ٢٠٠٠ من الشيشان المقيمين في إقليم ستافروبول، فأجاب باسييف " التعامل مع مواطني الفدرالية الروسية هو من شأن سلطاتكم ".

وفي ختام المؤتمر الصحفي طالب ببساييف بإيقاف العمليات الحربية في شيشانيا، وانسحاب القوات الروسية، والبدء بمفاوضات جادة مع دوداييف والسلطة الشرعية في شيشانيا.

في بادئ الأمر ترددت القوات الروسية في شن هجوم على المستشفى، لأن يلتسين الذي كان متواجداً في حينه في مدينة هاليفاكس في كندا لحضور اجتماع للدول السبع الكبرى كان قد ذكر في مؤتمر صحفي "بأن التعامل مع الحدث سيكون سلمياً وضمن أحكام القانون". وفي غياب توجيهات من موسكو قررت القوات الروسية اقتحام المجمع. وان يتولى قيادة العملية يغوردوف مساعد وزير الداخلية، وتكون قوات الصاعقة (Alfa) رأس الحربة في الهجوم على المبنى الرئيسي، بمساعدة عربات مدرعة وقصف شديد .

جرت المحاولة في فجر يوم ١٧ حزيران وتمكنت من احتلال مبنى الكراج ومبنى أجنحة مرضى الأورام وتحرير ٨٦ رهينة تواجدوا فيهما، غير أن الرهائن الذين سمح لهم بمغادرة المجمع أخذوا يوجهون الشتائم للقوات التي قامت بمحاولة الاقتحام ويصفونهم " قتلة ". قتل في العملية التي استمرت ثلاث ساعات جنديان روسيان وجرح عشرة آخرون. كما وقعت إصابات بين المقاتلين الشيشان وكذلك الرهائن والمرضى. وقامت القوات الروسية بمحاولة ثانية لاقتحام المجمع بعد ظهيرة ذلك النهار، استمرت لأكثر من ساعة حينما صدرت لها الأوامر بوقف المحاولة.

وفي هذه الأثناء ذهب مفوض حقوق الإنسان في البرلمان الروسي سيرجي كوفاليوف، وسكرتير مجلس الأمن الروسي الذي كان قد عين مفوضاً خاصاً للنزاع اوليج لوبوف، وعدد من أعضاء البرلمان الروسي في محاولة للتوسط في المفاوضات. ومع أن كوفاليوف ندد بالعملية التي سماها إرهابية إلا أنه صرح بأن مطالبة بيساييف البدء بمفاوضات لحل النزاع مبررة.

وفي غياب يلتسين في هاليفاكس في كندا لحضور اجتماع الدول السبع الأكثر قوة ، أتيحت الفرصة لرئيس الوزراء الروسي تشيرنوميردن (الذي كان قد أبعد عن التعامل مع القضية الشيشانية) لأن يلعب دوراً رئيسياً في المفاوضات.

وجه تشيرنوميردن رسالة إلى المجاهدين عبر التلفزيون، يطلب وضع حد لإسالة الدماء وإطلاق سراح الرهائن حالاً. وشدد بأنه لا يرغب في استعمال القوة إلا أنه لن يسمح بانتشار العمليات الحربية إلى باقي مناطق شمال القوقاز.

وفي نفس المساء، عقد بيساييف مؤتمراً صحفياً (سمحت السلطات الروسية لعشرة مراسلين روس فقط حضوره) وأبلغ بأن ثلاثين من الرهائن قتلوا خلال عمليتي الاقتحام الغبيتين، إلا أنه لن يعدم أياً من الرهائن بسببها. وأفرج عن ٣٢ من الرهائن وسمح لهم ولجثمان أحد جنود الصاعقة مغادرة المجمع. كما أفرج في نفس الليلة عن ٢٥ رهينة أخرى معظمهم من النساء والأطفال.

ومع أن مواقف تشيرنوميردن وبياسييف بدأت متشددة، إلا أنهما من خلال اتصالات هاتفية مباشرة، وتبادل رسائل على الفاكس بثت ونشرت في وسائل الإعلام الروسية والعالمية، توصلا إلى اتفاق وتضمن:

١- إطلاق سراح الرهائن، ماعدا الذين سيرافقون المقاتلين الشيشان في طريق العودة إلى شيشانيا.

٢- ضمان سلامة المقاتلين في طريق العودة وحتى دخولهم أراضي الجمهورية الشيشانية. وعندها يفرج عن الرهائن وغيرهم من المتطوعين لمرافقة المقاتلين.

٣- إيقاف العمليات الحربية في شيشانيا.

٤- البدء بمفاوضات جدية للتوصل إلى حل للنزاع.

وأصدر قائد القوات الروسية في شيشانيا الجنرال اناتولي كوليكوف (الذي كان قد اشترك في المفاوضات في بودينوفسك) أمراً بإيقاف العمليات الحربية في شيشانيا اعتباراً من الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٠ حزيران حسب توقيت موسكو، إلا أنه كان يضمر التعرض لقافلة عودة المقاتلين وأبطال الهدنة المعلنة.

ولتعذر وسيلة النقل جواً أعدت سبعة حافلات كبيرة لنقل المقاتلين ومرافقيهم من الرهائن والمتطوعين، وسيارة ثلاجة لنقل رفات الشهداء من المجاهدين. وجرى توزيع المقاتلين والرهائن المرافقين على الحافلات مع عضو برلمان واحد أو أكثر وصحفي واحد أو أكثر من الذين تطوعوا بمرافقة القافلة في كل حافلة وكان سيرجي كوفاليوف من بينهم. وقد ورد أن عدد المرافقين للقافلة شملت ١١٤ من الرهائن و ٩ عضو برلمان و ١١ صحفياً.

حاول الجنرال كوليكوف اعاقة وصول القافلة إلى شيشانيا، وكان قد صرح:

" يظن هذا الإرهابي بأنه انتصر، يتوهم بأن الجانب الروسي سيسمح له بأن يفلت من عقوبة عمليته التي يعتبرها خطوة لإعادة السيطرة الشيشانية على غروزني " وقال " أن مروحياتنا تحوم فوق مسيرة القافلة. هناك حوالي عشرين سيارة صغيرة تسير مع القافلة.

حشود على طول الطريق تحيي بيسايف والإرهابيين معه ، والرايات الخضراء (علم الجمهورية الشيشانية) رفعت في غروزني". وعملياً قام كوليكوف بإجبار القافلة على الاستدارة وإتباع مسار أطول. وعند وصول القافلة إلى مدينة خساف يرت طالب كوليكوف بالإفراج عن الرهائن وباقي المرافقين قبل العبور إلى شيشانيا. إلا أن حشود المواطنين المرحبين بالمقاتلين افشلوا محاولاته، وعبرت القافلة إلى شيشانيا عند بلدة زنداقي، حيث ودعوا الرهائن والمتطوعين المرافقين للقافلة بالعناق.

كانت للعملية نتائج إيجابية لصالح المقاومة الشيشانية إذ أنها:-

١- قوت المعنويات التي خيل في فترة أنها تزعزعت.

٢- أتاحت الهدنة فرصة للمقاومة لإعادة تنظيم وحشد قواتها وأخذ المبادرة في العمليات الحربية اللاحقة.

٣- وحتى من الناحية الإعلامية، فإن وسائل الإعلام التي كانت تسمى المجاهدين الذين قاموا بالعملية (إرهابيين)، بدأت العديد منها تدعوهم (مقاتلين من اجل التحرير). وكان لموقف الرهائن بعد الافراج عنهم دور في هذا التحول، إذ أنهم جميعاً وجهوا اللوم للوحدات الأمنية الروسية التي سماها بعضهم (مجرمين قتلة) . فمثلاً المعلمة تاتيانا ريباكوف قالت " إن قواتنا هي التي أطلقت النار علينا وقتلت العديد منا " والممرضة سفيتا جور رافليوفا قالت " إن معاملة الشيشان لنا كانت جيدة ... كانوا دمثين ... كل ما يطلبونه انسحاب القوات الروسية من شيشانيا وهذا حقهم ". وعندما حاولت امرأة أن تعترض على هذه التعليقات وتصف المجاهدين (إرهابيين قتلوا المئات منا) أسكتها أهلها وسحبوها بعيداً.

عملية بيرفومسكوي

وعملية شيشانية أخرى حظيت من الإثارة والتغطية الإعلامية مثلما حظيت بها عملية بودينوفسك ، هي الأحداث التي وقعت في قرية بيرفومسكوي في داغستان.

قامت كوكبة مشكلة من ٢٥٠ من المجاهدين الشيشان بقيادة سلمان رادوييف (زوج ابنة شقيقة دوداييف) في فجر يوم ١٩٩٦/١/٩ بعبور الحدود الشيشانية إلى مدينة كزلار في جمهورية داغستان، بهدف مهاجمة قاعدة مروحيات حربية قرب المدينة وتدمير أكبر عدد منها والعودة لشيشانيا.

لم تتواجد في القاعدة سوى مروحيتين، واتخذت القوات الروسية التي بلغها خبر العملية الاحتياطات لقطع طريق العودة والقضاء على هذه الوحدة الشيشانية. وعندها قام المجاهدون بدخول المدينة ومهاجمة مبنى الشرطة ثم اعتصموا في مجمع مستشفى المدينة واحتجزوا حوالي ٣٠٠٠ رهينة من الذين تواجدوا في الشوارع أو المستشفى.

ويظهر أن هذه العملية كانت بعلم وموافقة دوداييف، إذ بعث برسالة إلى الكرملين بأن روسيا لن تسلم من عمليات شيشانية ما لم توقف الحرب.

استشاط يلتسين غضباً، وعقد اجتماعاً طارئاً لوزرائه وقادته الرئيسيين، يوبخهم لتمكين الشيشان من القيام خلال ستة أشهر بغارتين رئيسيتين في الفدرالية الروسية خارج شيشانيا. وصاح بهم " لقد تلقينا ضربة جديدة، إنني لا أفهمكم أيها الجنرالات. هل تقضون وقتكم تحركون الدمى على طاولات في قاعات هيئات الأركان؟ يظهر أن وزارات الجيش والقوات الأمنية، والوزراء، والحكومة، ومجلس الأمن القومي الروسي، وحرس الحدود لم تأخذ العبرة و لم تتعلم من العمليات السابقة " وحمل المسؤولية المباشرة لكل من وزير الدفاع غراتشيف ووزير الداخلية كوليكوف ومدير المخابرات بارسوكوف وقائد حرس الحدود اندريه نيكولايف. واتهم حرس الحدود وهو يلوح بإصبعه في وجه نيكولايف "بأن عدة آلاف من حرس الحدود كانوا يعسكرون على امتداد الطريق الذي سلكه الإرهابيون، إلا أنهم كانوا نياماً وسمحوا للإرهابيين بالعبور بدون اعتراض. كانت التقارير تصل من عدة أطراف إلا أنه جرى تجاهلها". قدم نيكولايف استقالته إلا أن يلتسين رفضها بل طلب من المسؤولين عن

السلطات الأمنية باتخاذ إجراءات فورية وحاسمة للقضاء على العصابة بدون رحمة. وأما رادوييف (الذي كان يفتقر إلى الخبرة العسكرية وضبط النفس الذي تميز بهما بيسابييف) فقد هدد بأنه سيحيل مدينة كزلار إلى أنقاض ورماد. وبأنه وزملاؤه اقسموا أمام دوداييف بأنهم " يشكلون فرقة انتحارية لتنفيذ أوامره ، شعارها الموت أو الحرية".

كان بين وحدة المقاتلين التي قامت بالعملية محارب قديم، ذو خبرة عسكرية وشارك في حرب ابخازيا اسمه خنكر باشا اسرائيلوف، وبسبب هذه الخبرة والخلفية العسكرية طلب رودادييف منه قيادة الجوانب العسكرية من العملية. قال إسرائيليوف:

" كنت متشائماً ، وفرص عودتنا إلى شيشانيا كانت تبدو معدومة ما لم نحتجز رهائن. وحتى في هذه الحالة فلم أكن متفائلاً بأننا سنتمكن من ذلك بدون إصابات كثيرة في جانبنا ".

كان أول إجراء لاسرائيلوف توجيه المقاتلين للاستيلاء على مستشفى المدينة، وأن يحتجز جميع الكوادر والمرضى بالإضافة إلى من يتواجد في الشارع المؤدي إلى المستشفى والمحلات والمكاتب القائمة على جانبيه. فبلغ عدد المحتجزين حوالي ٣٠٠٠ شخص.

وصلت إلى الموقع قوات روسية، وقامت بدون مقدمات أو سعي لمعالجة الوضع بدون إسالة الدماء ، بهجوم عنيف على المستشفى ومن تواجد فيه فقتل (٣٤) داغستانياً مدنياً و (٧) من رجال البوليس و (٢) من الجنود و (٤) من المقاتلين الشيشان و لم يسفر عن افراج لاي من الرهائن.

وعند توقف الهجوم بعيد الظهيرة، بدأت مفاوضات مع مسؤولين من الحكومة الداغستانية ، كان رادوييف يردد خلالها "هنا في كزلار بدأت قبل ٣٠٠ عام الحروب الروسية الشيشانية ... وهنا ينبغي أن نسعى لوضع حد لها ".

ومن خلال المفاوضات ، وافق رئيس برلمان داغستان ماجا مادوف ورئيس حكومتها ميرزا بيكوف على عبور آمن للمجموعة للعودة إلى شيشانيا في قافلة مشكلة من ١١ حافلة كبيرة وثلاث عربات شحن. وكضمان لعدم التعرض لها يرافقهم ١٦٠ من كوادر المستشفى وأعضاء في برلمان وحكومة داغستان. وتضمنت الإجراءات التي اتفق عليها الإفراج عن جميع المحتجزين في المستشفى.

تحركت القافلة الساعة السادسة من صباح ١٩٩٦/١/١٠ عبر المسار المتفق عليه إلى نقطة العبور. إلا أن السلطات الروسية كانت تضمر القيام بعملية دموية تقضي على المجموعة حتى وإن أدت إلى وقوع إصابات بين الداغستانيين المرافقين للقافلة ... بل أن ذلك سيخدم هدفها لخلق توتر في العلاقات بين الشعبين المسلمين ويحد من تعاطف الشعب الداغستاني مع الشيشان.

وعندما اقتربت أول حافلة من القافلة من نقطة العبور المتفق عليها (جسر مقام على نهر أكاسيا الذي يفصل جمهوريتي الشيشان وداغستان) أطلقت مروحيات روسية النار عليها. وعندما وجد إسرائيليوف بأن القافلة في موقع منبسط ومكشوف، معرض للقصف بدون حماية، قرر دخول قرية بيرفومسكوي المجاورة بغية الاستفادة من مبانيها كملاجئ ونقاط دفاعية. وبحركة سريعة احتلت المجموعة (بدون إطلاق نار) مركز بوليس القرية واحتجزت ٣٧ عنصراً من البوليس واستولت على الأسلحة والذخيرة الموجودة فيها. وطلب إسرائيليوف من الجميع (مقاتلين شيشان، ومرافقين ومواطني القرية، وعناصر مركز البوليس) المباشرة فوراً بحفر خنادق دفاعية. كانت عملية الحفر سهلة بسبب نوعية التربة الرملية المتفتتة، إلا أنه بسبب كون منسوب المياه الجوفية قريب من منسوب سطح الأرض كانت هذه الخنادق في ظروف صقيع شهر يناير بمثابة ثلاجات.

وبالرغم من الهجوم الذي تعرضت له القافلة، وافق رادوييف على مفاوضات لحل يجنب إسالة الدماء، وعرض الإفراج عن جميع النساء والأطفال الموجودين في

القرية شريطة أن تتاح للمجموعة القتالية الشيشانية رجوعاً آمناً إلى شيشانيا، إلا أن المفاوضين الداغستان صرحوا بأنهم غير مخولين باتخاذ قرار بهذا الخصوص. وهنا طلب رادوييف أن تُستأنف المفاوضات بحضور مندوب معتمد من قبل رئيس الوزراء الروسي تشيرنوميردن، وكذلك بحضور مراسلي وكالات أنباء دولية يكونون شهوداً حياديين.

وعندما وصل رادوييف وإسرائيليوف إلى قناعة بأن هجوماً روسياً عنيفاً قادم.

تم الإفراج عن جميع الأطفال والنساء وسمح لهم بمغادرة القرية، وطلب ممن تبقى في القرية مضاعفة الجهد في حفر الخنادق وإقامة النقاط الدفاعية.

حشدت روسيا كما جاء في كتاب (The War in Chechnya, page 242)

حول القرية قوات مشكلة من ٢٤١٤ عنصراً من مختلف القوات الأمنية الروسية (وزارة الدفاع، وزارة الداخلية، المخابرات، حرس الحدود وغيرها) وكذلك (٥٤) ناقلة جنود، و (٢٢) مدرعة، و (٤) سيارات استخبارات مدرعة، ودبابة واحدة، و (٣) منصات اطلاق صواريخ غراد، و (١٢) مدفع ميدان ثقيل، و (١٤) مدفع مضاد للطائرات (مع أن السلطات الشيشانية لم تمتلك في حينه أية طائرة). و (٢٠) مدفع مورتر، و (١٥) راجمة صواريخ ضد الدبابات، و (١٠) مدافع قاذفة متفجرات، و (١٦) قاذفة نيران.

ووجهت إنذاراً يطلب من المقاتلين الإفراج عن جميع المحتجزين في موعد لا يتجاوز ١/١٤، وأن يلقوا أسلحتهم، ويخرجوا من القرية باتجاه الخطوط الروسية رافعين الأعلام البيضاء. رد المقاتلون بأنه إذا توجهت أية آلية باتجاه القرية فإنهم سيعدمون الرهائن (وهذا تهديد لم تأبه له السلطات الروسية بل تمنت تنفيذه – المؤلف).

بتاريخ ١/١٤ وصل إلى الموقع مدير المخابرات الروسية بارسكوف ووزير الداخلية كوليكوف. وجرى تمديد مهلة الإنذار يوماً واحداً.

وفي صباح ١/١٥ وجه بارسكوف بواسطة الراديو ومكبرات الصوت انذراً للمقاتلين يطلب منهم الإفراج عن المحتجزين، وإلقاء السلاح والسير باتجاه الخطوط في صف مفرد رافعين أيديهم. وبعد انتظار لمدة ٢٠ دقيقة بدأت القوات الروسية في الساعة التاسعة وعشر دقائق ما سمتها "عملية تحرير الرهائن" وقامت مروحيات ومختلف أنواع الصواريخ والمدفعية بقصف عشوائي عنيف. وأخذت محطات الإذاعة والتلفزة الروسية تبث : "بدأت الآن عملية تحرير الرهائن ... والشيشان يقومون باعدام الرهائن" . وذكرت : "إن الجنرال بارسكوف يتقدم القوات الروسية التي تزحف نحو القرية وأن سيارته قد دمرت أثناء تقدمه".

أخذ المراسلون المتواجدون في الموقع يسخرون من الأكاذيب المضللة المذاعة .

ففي الفترة التي سبقت بدء الهجوم لم تكن قد أطلقت ولو طلقة مسدس واحدة في القرية، وكان بارسكوف في موقع خلفي آمن وسيارته واقفة بجانبه لم تصب بأي خدش. وعلق المراسلون أن إذاعة النبأ بهذا الوجه مقدمة لإنعام وسام رفيع على بارسكوف.

وشبه المراسلون العملية بهجوم على قرية معادية في أشهر الحروب شراسة، وضحايا العملية كان الرهائن والمحتجزين الذين اخذت القوات الروسية بالقضاء عليهم عندما فشلت في تحريرهم.

وبغطاء من قصف جوي وصاروخي ومدفعي عنيف، استطاعت القوات الروسية الوصول إلى القرية، وعندما جرى تلامس بينها وبين المقاتلين الشيشان وتوقف القصف، قام المقاتلون الشيشان بشن هجوم معاكس واجبروا القوات الروسية على التراجع. وقامت القوات الروسية بمحاولة اقتحام ثانية في ذلك النهار إلا أنها فشلت أيضاً.

وذكر إسرائيليوف كما ورد في كتاب The War in Chechnya بأنه خلال الأيام الثلاثة التالية جرت (٢٠) محاولة اقتحام وأن القصف وتبادل إطلاق النار استمر

٨٢ ساعة متوالية بدون انقطاع. وفي يوم ١/١٧ قامت القوات الروسية بهجوم كاسح، وبدا وضع المقاتلين الشيشان ميؤوساً خاصة وأن مباني القرية كانت قد مسحت بالأرض ، عندما وصلت إلى القرية تعزيزات شيشانية من عبر الحدود، مكنت المقاتلين من رد الهجوم الروسي، وفي نفس الليلة استطاعوا اختراق الحصار الروسي والعبور إلى شيشانيا.

وذكر مراسلو وكالات الأنباء العالمية أن المحتجزين الذين كان مفروضاً أنهم رهائن شاركوا مع المقاتلين الشيشان في دحر هجمات القوات الروسية، وفضلوا (حتى الجرحى من بينهم) أن يرافقوا المقاتلين الشيشان في عملية خرق الحصار والعبور إلى شيشانيا . فمع أن ذلك كان يشكل مخاطرة كبيرة، إلا انه أقل خطراً من موت محتم تحت القصف الذي استمر حتى بعد انسحاب المقاتلين الشيشان من القرية . ولعل ذلك يعود إلى تدني مستوى الاتصال والتنسيق بين القوات الروسية المشكلة من وحدات تابعة لوزارات وأجهزة منفصلة.

تم الإفراج عن المحتجزين الذين كانوا بقوا أحياءً (٨٢ شخصاً) واختاروا العبور إلى شيشانيا مع المجاهدين ، بعد علاج الجرحى منهم وفترة استراحة من الإرهاق الذي تعرضوا له. وبدلاً من توتر بين الشعبين الشيشاني والداغستاني توثقت اللحمة.

لم تعلن السلطات الروسية ولا السلطات الشيشانية عن عدد الإصابات بين قواتها. إلا أن عدد القتلى (من غير الروس) الذين وجدوا في أرض المعركة كان ١٥٣ شخصاً (من دون تصنيفهم كمقاتلين شيشان أو محتجزين ومتطوعين لمرافقة القافلة أو من أهالي القرية).

شكلت العملية خسارة للطرفين. فبالنسبة للشيشان فإن عدد الشهداء بين صفوفهم كان كبيراً، والفوائد التي جنوها محدودة لا تبرر مثل هذه التضحية. وأما بالنسبة للجانب الروسي فان إنجاز قواتها كان هزيلاً ومهيناً. ومع أن يلتسين صرح في مقابلة مع تلفزيون ABC الأمريكي وبث في تلفزيون ORT الروسي " بأنه ينكر

بشكل مطلق بأن القوات الروسية التي اشتركت في عملية بيرفومسكوي كانت غير مؤهلة وغير قادرة على إنجاز أية مهمة بشكل صحيح". غير أن المحللين العسكريين وصفوا إنجاز القوات الروسية (فشلاً كاملاً) ، خاصة وأن عدد القوات الروسية التي اشتركت في العملية كان يزيد عن عشرين ضعف عدد المقاتلين الشيشان ومن حيث المعدات وقوة النار فإن التفوق الروسي كان يزيد مئات الأضعاف.

ومن أحاديث التصرف المهلهل للقوات الروسية في هذه العملية ما جاء في كتاب (شيشانيا حرب صغيرة مظفرة) أنه كانت قد أحضرت إلى بيرفومسكوى وحدة من قوات الصاعقة (Alpha) المشهورة للاشتراك في اقتحام القرية . وعندما شاهدت سوء التنظيم وغياب التنسيق رفضت الاشتراك في القتال وانسحبت من الموقع ، واشترى أفرادها تذاكر سفر بالقطار وغادروا إلى موسكو .

مجزرة ساماشكي

تُعتبر المجازر التي اقترفتها العصابات العسكرية الصهيونية في قرية القسطل الفلسطينية، واقترفتها القوات الأمريكية في قرية ميلاي الفيتنامية، واقترفتها القوات الروسية في قرية ساماشكي الشيشانية [ويطلق الشيشان على القرية اسم (سَىْ مَعَش أي قرون الوعل) - المؤلف] من أبشع الجرائم التي شكلت انتهاكاً فاضحاً للاتفاقيات الدولية ومبادئ القانون الإنساني الدولي المتعلقة بالتصرف أثناء النزاعات العسكرية المسلحة.

ومع أن المجزرة التي اقترفتها القوات الأمريكية كانت خلال عملية قتالية لاحتلال القرية، إلا أنه لكون أغلبية الضحايا كانوا من المدنيين، فقد جرى تحقيق توصل إلى أنه جرى استعمال مفرط للقوة كان الضحايا من السكان المدنيين وتمت محاكمة الضابط المسؤول عن العملية أمام محكمة عسكرية أصدرت حكماً بسجنه ونفذ الحكم.

وأما في القسطل وساماشكي ، اللتين ارتكبت المجازر فيهما بتخطيط مسبق، وفي غياب أية مقاومة، فلم يجر أي تحقيق رسمي، أو مساءلة للمشرفين، بل ربما منحوا أوسمة وألقاب (البطولة).

وكانت ساماشكي قد تعرضت لعمليات هجوم ومحاولات اقتحام في شهر ديسمبر ١٩٩٤ ونيسان ١٩٩٥ وآذار ١٩٩٦. وأما المجزرة التي نحن بصددها فهي التي وقعت في نيسان ١٩٩٥.

عندما أخلت القوات الشيشانية غروزني في شباط ١٩٩٢ ، توزعت في مناطق غير محتلة في أنحاء الجمهورية ومنها قرية ساماشكي. وعندما وصلت العمليات العسكرية الروسية إلى جوار القرية الواقعة في سهل منبسط يصعب الدفاع عنها، اتصل شيوخ القرية (كبار السن) بالقيادة العسكرية الروسية ، وتم الاتفاق على عدم تعرض القوات الروسية أو دخولها القرية شريطة إخلاء المقاتلين منها. وتجنباً لتعريض القرية وأهلها للمخاطر، وافق المقاتلون على إخلائها وانسحبوا إلى الجبال الجنوبية مع أسلحتهم، فغدت القرية بدون أية حماية من قوات شيشانية سوى (٤٠) عنصر من الحرس المحلي للقرية أخذت مواقع خارجها.

إلا أن القوات الروسية (من وحدات قوات وزارة الداخلية OMON) كانت قد بيتت النية على اقتحام القرية. وكذريعة لذلك طلب القائد المسؤول أن يقوم أهالي القرية بتسليم ٢٦٥ قطعة سلاح ، مع علمه أنها غير متوفرة في القرية.

وحيث أن المقاتلين الشيشان كانوا قد انسحبوا من القرية، ولعدم توفر الأسلحة المطلوبة، كان الشيوخ قد قرروا أن يبيعوا في اليوم التالي بعضاً من ماشيتهم ليشتروها بثمنها (من جنود روس) الأسلحة المطلوبة تسليمها.

لم تنتظر القوات الروسية لليوم التالي، أو حتى انتهاء فترة الإنذار التي كانت قد حددتها، بل باشرت في السابعة من مساء ١٩٩٥/٤/٧ بقصف المدينة. وتحت جنح الظلام تقدمت وحدات منها باتجاه القرية لاقتحامها، غير أنها تاهت وجهتها في

الظلام، واقتربت من غابة كانت تتمركز فيها وحدة حرس القرية حيث جرى تبادل إطلاق نار بين الطرفين أدى إلى قتل ١١ وجرح ٤٥ من الوحدات الروسية وتدمير عدد من المركبات المدرعة. كما قتل ٤ عناصر من حرس القرية.

وكانتقام للإصابات التي وقعت في صفوفها، أو عن نية مبيته وتخطيط مسبق، دخلت القوات الروسية القرية في اليوم التالي بدون أية مقاومة، وأخذت طيلة يوم وليلة، تلقى المتفجرات في طوابق التسوية وتشعل النيران في طوابق المعيشة، تحرق وتهدم المباني على من فيها من دون أن تتيح لهم فرصة الخروج، وتقتل بدم بارد نساء وأطفالاً وشيوخاً ومرضى عجز بل وحتى الماشية لم تسلم .

سردت رايا يونوروفا للصحفية الكندية اوليفيا وارد واقعة إطلاق النار، وكيف قتل ابنها البالغ ١٦ عاماً من العمر، ثم قذف ابنها الآخر البالغ من العمر (٧) سنوات في الشارع لتسحقه دبابة.

وذكر جيران بأن الفتاة رئيسا نصر الدين، البالغة من العمر ١٨ عاماً ، كانت واقفة أمام باب منزلها عندما قام بوليس OMON بدفعها إلى الداخل وإلقاء متفجرات في داخل المنزل ، وبعد مغادرة الروس وجدوا جثة الفتاة بقرب المدخل، وجثة والدها الذي كان نائماً محروقة في فراشه.

وزاخار خابيلوف البالغ من العمر ٦٨ عاماً، كان واقفاً في حديقة منزله عندما أطلق جنديان يتمازحان مع بعضهما النار عليه وقتلاه.

وظن سفيان مينابيف وجاره ظاهر كابيلوف وهما من المحاربين القدامى الذين اشتركا مع القوات السوفيتية في الحرب العالمية الثانية، بأن سجلهما العسكري سيشفع لهما. فجلسا على أريكة أمام منزل مينابيف وقد علقا على صدريهما الأوسمة التي أنعمت عليهما. كانا مخطئين في ظنهما إذ قام الجنود الروس بقتلهما وسحب جثتيهما إلى داخل المنزل وأشعلوا النيران التي أتت على المنزل وكل ما فيه . ولا يتسع المجال هنا لسرد تصرفات مماثلة كثيرة أوردها مراسلو وكالات الأنباء العالمية .

جرى حرق وتدمير ما يزيد عن ٣٠٠ منزل. ومع أن السلطات الروسية أو الشيشانية لم تعلن أرقاماً عن عدد القتلى، فان منظمة حقوق الإنسان نشرت أسماء ١٠٧ من الضحايا. كما ذكر اثنان من الشيشان دخلا القرية بتاريخ ٤/١٠ انهما قاما بمساعدة آخرين بنقل ٢٤٨ جثة إلى مسجد القرية لإعدادها للدفن. وشاهدا في حينه عديداً من القبور الجديدة.

أغلقت القوات الروسية القرية، وحظرت على المراسلين وهيئات الإغاثة وجمعيات حقوق الإنسان دخولها. استطاع النائب الليبرالي في البرلمان الروسي اناتولي شاباد دخول القرية بزي نسائي في حافلة اقلت بعضاً من نساء القرية. صعق مما شاهد وعلق: "حتماً هذه الجريمة من عمل قوات وزارة الداخلية (OMON). الجيش لا يقدم على مثل هذه الأعمال".

كما استطاع مفوض حقوق الإنسان في البرلمان الروسي سيرجي كوفاليوف دخول القرية وندد بالجريمة.

ومنعت نقطة البوليس الروسي الراهب البوذي الياباني Junsei Taranawa من دخول القرية ، إلا انه سلك ممراً في الغابات (تاه فيها يومين كما أخبرني عند زيارة له للأردن – المؤلف) ووصل القرية وعلق:

" يحتفلون الآن بمرور ٥٠ عاماً على الانتصار على الفاشيين (في الحرب العالمية الثانية). ولكن هنا تمارس الفاشية. أن روسيا لا تستحق التهنئة، بل ينبغي عزلها عن المجتمع العالمي المتحضر".

شكلت القوات الروسية لجنة تحقيق صورية ، أصدرت تقريراً (رفض أربع من أعضائها توقيعه) بأن الهجوم على القرية كان مبرراً. الا أن عدداً من أعضاء البرلمان الروسي الذين زاروا القرية قالوا : "هذه العملية تشكل تطوراً في أسلوب تعامل القوات الروسية ومعاقبة الشيشان. أنها عملية عقوبة، يقصد منها بث الرعب بين السكان وردعهم عن التعاون مع المقاتلين ". وفي البرلمان الروسي تعرض كوفاليوف وشاباد

لهجوم عنيف من قبل النائب غوفوروخين (Govorukhin) الذي طلب إحالة زميليه إلى محكمة بتهمة بث الكراهية والبغضاء ضد الروس.

با موت ... أسطورة ورمز للصمود

يقول أناتول ليفين في كتابه (شيشانيا – شاهد قبر القوة الروسية) "إن قوة صمود المقاتلين الشيشان في وجه ضغوط نفسية ومخاطر جسدية كانت موضع إعجاب شديد. فمثلاً المقاتلون الذين دافعوا عن قرية باموت الواقعة في سهل أسفل تلال هضبة جبال القوقاز ، وصمدوا خمسة عشر شهراً في وجه قصف روسي مستمر عنيف لا يستطيعون الرد عليه. يشكل صمودهم هذا أسطورة بطولة خالدة لا تقل عن أسطورة المدافعين في فيردان أو أسطورة ماسادا".

وفي ١٩٩٥/٤/١٩ اصدر وزير الداخلية الروسي كوليكوف أولى تصريحاته التي تجاوزت العشرات، ولم يكن لها أساس من الصحة، بأن باموت قد سقطت.

كان من المفروض أن تكون باموت قد سقطت في أيدي القوات الروسية في اليوم الأول من الغزو الروسي لشيشانيا ، إذ أنها قرية صغيرة على مسافة قصيرة من طريق فلادي قفقاسيا – غروزني على المحور الغربي للقوات الروسية الغازية. إلا أن هذه القوات ، كما سبق وذكرت ، تعذر عليها التقدم لأن حشوداً من الأهالي المدنيين في انجوشيا كانت قد أغلقت الطريق أمام تقدمها . وبعد توقف لعدة أيام انتقلت هذه القوات إلى المحور الشمالي ووصلت إلى غروزني عبر ذلك المحور. وانشغلت هذه القوات في محاولات للاستيلاء على غروزني من دون التوسع في باقي أنحاء الجمهورية.

عندما أخلت القوات الشيشانية غروزني، انتقلت بعض وحداتها إلى المنطقة الغربية التي تقع فيها باموت وقرى اخرى (ومنها ساماشكى). وكانت باموت مناسبة للتحشد وتخزين الأسلحة والذخائر بسبب وجود قاعدة عسكرية وصوامع صواريخ عابرة للقارات بقربها كانت روسيا قد أخلتها قبل عدة سنوات عندما انسحبت

القوات الروسية من شيشانيا. وكذلك كانت باموت موقعاً مناسباً للدفاع لكونها في منطقة غابات كثيفة ومحاطة بتلال قريبة مطلة على القرية يتعذر على المركبات عبورها فقيل " لم يطأها بسطار جندي روسي ".

أول ذكر لباموت في البلاغات العسكرية الروسية كان عن غارة شنتها الطائرات العسكرية عليها بتاريخ ١٩٩٥/١/١٢ أي في اليوم الثاني لبدء الغزو الروسي. ووقعت غارة ثانية بتاريخ ١٩٩٥/٢/١٥، واستؤنف القصف وجرت محاولة لاقتحام القرية بتاريخ ١٩٩٥/٢/٢٠ إلا أنها صدت وقتل ثلاث من الجنود الروس.

وبتاريخ ١٩٩٥/٣/١٥ شنت القوات الروسية هجوماً رئيسياً واستطاعت دخول القرية إلا أنها اضطرت للانسحاب بعد اشتباكات استمرت ثلاثة أيام.

وفي شهر مارس ١٩٩٥ شنت القوات الروسية هجوماً على القرية. ومع أن القوات الروسية لم تستطع احتلال القرية، غير إن القصف المتواصل كان قد دمرها تماماً.

وفي نوفمبر ١٩٩٥ شنت القوات الروسية عليها هجوماً شاملاً فاشلاً، واعترفت السلطات الروسية بسقوط ٥٠ قتيل بين قواتها في حين أن الجانب الشيشاني أوضح بأن القتلى بين القوات الروسية كان ٢٣٨ جندياً ، جرت مبادلة جثثهم مع أسرى أو معتقلين شيشان كانت القوات الروسية تحتجزهم.

وفي ١٩٩٦/٢/٢٢ شنت القوات الروسية هجوماً شديداً على القرية بوحدات موزعة على أربع مجموعات. ولكن هذا الهجوم فشل قبل الوصول إلى القرية بسبب أخطاء فضحت المستوى المتدني لتخطيط العمليات العسكرية في القوات الروسية. فإحدى المجموعات قامت بمحاصرة قرية آرتشي القريبة (ولكنها واقعة في جمهورية انجوشيا المجاورة) ظانة أنها باموت. ومجموعة أخرى كانت متراجعة أمام هجوم شيشاني معاكس اصطدمت مع القوا ت التي كانت تحاصر قرية آرتشي ظانة أنها وحدات شيشانية. وبعد أن تبين للوحدتين كونهما قوات روسية توحدتا في

قصف قرية آرتشي الانجوشية متوهمة بأن القصف موجه على قرية باموت. واستمر هذا الخطأ يومان شاركت فيها المروحيات الروسية التي أخذت بدورها تقصف الوحدات الروسية وقرية آرتشي. وقتل (٤) من أهالي القرية المدنيين وجرح (٢٠) واختفى (٥). وأما في الجانب الروسي فقد قتل حسب اعتراف القوات الروسية (١٤) جندي بمن فيهم قائد الكتيبة و (٢٠) جريح وتدمير دبابة. وقد تسببت هذه الواقعة في تبادل الاتهامات بين القوات الروسية والسلطات الانجوشية.

لامت القوات الروسية السلطات الانجوشية وادعت بأن السلطات الانجوشية لم تقم بأي إجراء لحماية القوات الروسية. وأما الرئيس الانجوشي الذي استغرب من هذا اللوم الغبي فقد ندد بعمليات عسكرية روسية مقصودة داخل حدود جمهورية انجوشيا أدت إلى إصابات بين المدنيين وتدمير مرافق القرية.

تولى قيادة القوات الروسية في تلك المنطقة الجنرال شامانوف (قُتل ابنه في هذه الحرب. وتولى قيادة الجبهة في الغزو الروسي لشيشانيا عام ١٩٩٩ وارتكب جرائم حرب تطرقت لها مؤلفة كتاب A Dirty War – المؤلف). وبتاريخ ٥/٢١ بدأت القوات الروسية هجوماً شاملاً ، وقصفت القرية والقاعدة بواسطة ١٠٠٠ صاروخ و ٥٠٠ قنبلة ثقيلة ألقيت من قاذفات قنابل و ٥٠٠٠ صاروخ غير موجه من مروحيات.

وفي يوم ٥/٢٢ قامت وحدة شيشانية مشكلة من ٤٠ مقاتل بمحاولات عديدة لدحر الهجوم الروسي والتحمت مع القوات الروسية بالسلاح الأبيض أدت إلى قتل ٢٢ وجرح ٥٧ من الجنود الروس وادعى الروس بأن خسارة الشيشان كانت ١٢٠ قتيلاً (مع العلم بأن مجموع المقاتلين الشيشان كان ٤٠ مقاتلاً فقط كما ورد أعلاه – المؤلف).

وبتاريخ ٥/٢٤ أعلن وزير الدفاع الروسي احتلال القرية والقاعدة العسكرية، وأنه خلال القتال جرى قتل (٤٠٠) شيشاني مقابل (٣٠) قتيل من القوات الروسية، إلا أن الجهات الشيشانية ذكرت بأن القتال لا يزال مستمراً، وأن القوات الروسية

قامت بخمس محاولات لاختراق الخطوط الدفاعية الشيشانية إلا أنها أخفقت. وأن الخسائر في الجانب الروسي بلغت حوالي (٤٠٠) قتيل و (٢٠٠) جريح وتدمير (٦) دبابات و (١٩) مدرعة ومروحيتان. وصرح النائب في البرلمان الروسي ف. اليوشن بأن خسائر القوات الروسية في هذا العمليات تجاوزت ٧٠٠ قتيل.

كانت السلطات الروسية تقدر قبل بدء الهجوم على باموت بان عدد المقاتلين الشيشان الذين يدافعون عنها حوالي ١٠٠ عنصر، إلا أنها بعد المعركة صرحت أنهم كانوا بحدود ٨٠٠ مقاتل. وقد هزأ من هذا التصريح الضابط اناتولي فوتيانكو Anatoli Voitanko الذي كان أسيراً لدى السلطات الشيشانية لمدة عام ونصف، وكان أيام المعركة المذكورة متواجداً في باموت ، وقال:

"إذا كنا نتحدث عن نصر روسي كاسح، علينا أن ننتظر لمدة طويلة. لقد كنت شاهداً على ما جرى في باموت. كان الدفاع عنها من قبل مجموعات صغيرة من المقاتلين أقدر أن مجموعهم لم يتجاوز (٨٠) عنصراً. في حين أن القادة الروس كانوا يسردون أخباراً بأنهم مشتبكون في قتال مع آلاف من رجال العصابات ".

المقاتلون الذين أخلوا القرية انسحبوا إلى مناطق مجاورة وقواعد أخرى في الجمهورية الشيشانية. وبعد صد ١٧ محاولة اقتحام، ومقاومة دامت أكثر من ١٧ شهر، لا غرابة أن تصبح باموت أسطورة ورمزاً للصمود.



يلتسين ومسخادوف يوقعان الإتفاق.. (١٢/٥/١٩٩٧م)

الفصل الحادي عشر
انتعاش المقاومة الشيشانية

بدلاً من الانهيار الذي دأبت السلطات الروسية تشيعه بعد سقوط غروزني ومعظم المدن والقرى الروسية بيد قواتها التي وصلت إلى معظم أنحاء شيشانيا، فإن المقاومة الشيشان انتعشت خلال فترة قصيرة، وبدأت تأخذ المبادرة في عمليات أثارت تعجب وإعجاب العالم، وتمثلت في عمليات بودينوفسك وبيرفومسكوي وصمود باموت الأسطوري التي ورد ذكرها، واقتحام مدن ونصب كمائن ألحقت خسائر كبيرة في الجانب الروسي. وأود أن أتطرق إلى بعضها باختصار.

اقتحام مدينة ارغون

بتاريخ ١٩٩٥/٨/٢٠ دخلت كوكبة مشكلة من ٢٥٠ مقاتل شيشاني بقيادة علاء الدين حمزاتوف مدينة ارغون قادمة من منطقة مدينة دارغوي. وكانت قافلة الكوكبة مشكلة من ١٠ سيارات صغيرة وشاحنتي كاماز محملتين بأسلحة وذخيرة وراجمتي صواريخ ومواد إعاشة ومطبخ ميدان. ويظهر أنها سلكت طرقاً فرعية حيث أن (١٣) نقطة سيطرة روسية كانت متواجدة على الطريق الرئيسي بين ارغون ودارغوي.

احتل المقاتلون الشيشان مركز بوليس المدينة بدون مقاومة، وطردوا الضابط المسؤول عن المركز. وأعلن حمزاتوف نفسه حاكماً عسكرياً في المدينة ممثلاً لدوداييف (مع العلم بأنه كان قبل بدأ الغزو الروسي متعاطفاً مع المعارضة الشيشانية – المؤلف) وصرح بأن العملية ليست موجهة ضد القوات الفدرالية، بل لمراقبة وحفظ الأمن في المدينة عند انسحاب القوات الفدرالية بموجب مفاوضات كانت جارية في حينه.

وانتشرت القوات الشيشانية في الحي المحيط بمركز البوليس وأقامت نقاطاً دفاعية.

وفي اليوم الثاني، أحاطت القوات الروسية بهذا الحي القريب من مركز المدينة. وقامت وحدة عمليات خاصة بمساندة ثلاث دبابات ومدرعتين وحوالي ١٠-١٥

مروحية بمحاولة لاسترجاع المركز ولكنها فشلت. فلجأت إلى قصف شديد للحي استمر أربع ساعات، قام المقاتلون خلاله بالتسلل من المركز واختفوا بدون أثر تاركين خلفهم السيارات والتموين ومطبخ الميدان . وعندما دخلت القوات الروسية المركز وجدت جثث ثلاث مقاتلين ومدنيين اثنين، كما كانت نتيجة القصف في الحي قتل ستة من المدنيين وحوالي ماية رأس من الماشية.

غرابة العملية ليست فقط في اختفاء المقاتلين الشيشان بدون أثر، بل لأنه في عملية القصف الشديد لم تصب أية قذيفة مركز البوليس نفسه، في حين أن معظم مباني الحي قد دمرت واشتعلت النيران في خمسين منها.

أهمية هذه العملية في أنها أظهرت بأن السلطة الشيشانية الشرعية أعادت حشد قواتها، وأن اليد العليا في الجمهورية لها. وأن الرشوة تعمل العجائب في دوائر السلطات الروسية، التي تشعل حرب فساد لا لمصلحة وطنية أو قومية، بل تمكينها من ممارسة عمليات السلب النهب والابتزاز.

اقتحام مدينة غودرمس

كانت السلطة التي نصبتها روسيا برئاسة دوكة زفجاييف في شيشانيا أثناء فترة الحرب، تسعى لاكتساب نوعاً من الشرعية ، من خلال اجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية في الجمهورية في الفترة الواقعة فيما بين ١٤-١٧ ديسمبر ١٩٩٥ ، اعتبرتها السلطات الشرعية الشيشانية غير دستورية وسعت إلى تعطيل وإعاقة عملية التصويت. وبهذا الهدف كانت عملية اقتحام غودرمس التي خطط لها أن تستمر خلال أيام التصويت فقط ثم الانسحاب من المدينة.

احتشدت قوات شيشانية في جنوب وشرق المدينة، آخذه بعين الاعتبار بأن وحدات قوات وزارة الداخلية الروسية المعسكرة خارج المدينة في هذين الاتجاهين لم تكن قد أقامت استحكامات عسكرية منيعة.

دخلت وحدة مقاتلة شيشانية بقيادة سلمان رادوييف المدينة بتاريخ ١٣/١٢/١٩٩٥ ووصلت تعزيزات أخرى لمساندتها. احتلت هذه القوات مستشفى المدينة وسمحت للمرضى وكوادر المستشفى (ما عدا الذين تطوعوا للبقاء) مغادرته. ثم قامت بمحاصرة محطة سكة الحديد ومركز قيادة قوات وزارة الداخلية، ووزعت كمائن لمنع وصول تعزيزات روسية إليها.

حاولت وحدة روسية الوصول إلى المركز، إلا أن الكمائن الشيشانية دحرتها بعد مقتل ثلاثة من الجنود الروس. ثم أرسلت تعزيزات أخرى ، إلا أنها دحرت أيضاً بعد مقتل (١٨) وجرح (٢٨) من أفرادها وتدمير ثلاث مدرعات.

وكان الضابط الروسي المسؤول عن محطة سكة الحديد المحاصرة أيضاً قد طلب مساندة، إلا أن النجدة التي أرسلت تكبدت إصابات كثيرة شملت (٣٠) قتيلاً و (١٣) مفقوداً بما فيهم قائد النجدة. وفشلت محاولة وحدة روسية أخرى لنجدة مركز القيادة بعد أن قتل (٧) من أصل (٨) من وحدة الاستطلاع التابعة لها.

ومع أنه كان بوسع القوات الشيشانية احتلال محطة سكة الحديد ومركز قيادة قوات وزارة الداخلية إلا أنها لم تحاول ذلك تجنباً لإصابات بينها ، خاصة وأنه كان قد خطط للبقاء في المدينة بضعة أيام فقط (الأيام المقرة للتصويت) ثم الانسحاب منها.

وقعت يوم دخول القوات الشيشانية اصطدامات في نقاط سيطرة روسية أخرى في المدينة، تكبد الروس خلالها (١٨) قتيل و (٤٤) جريح و (٢٠) مفقود. ولذلك فإن القوات الروسية لم تحاول فك الحصار عن محطة سكك الحديد ومركز قيادة قوات وزارة الداخلية، خاصة وأنها كانت تعتقد بأن القوات الشيشانية ستغادر المدينة بعد انتهاء عملية التصويت. وعندما لم تغادر القوات الشيشانية المدينة بعد انتهاء عملية التصويت، حشدت روسيا قوات كبيرة. وشنت هجوماً على المدينة بتاريخ ١٩/١٢/١٩٩٥. إلا أن القوات الشيشانية، التي ارتفعت معنوياتها بسبب النجاح السهل غير المتوقع لعمليتها، نظمت مقاومة الهجوم الروسي بتقسيم قواتها إلى خمس مجموعات. وبتاريخ ٢١/١٢/١٩٩٥ وصلتها تعزيزات من منطقة شالي، واستمرت

سيطرتها على المدينة لغاية ١٩٩٥/١٢/٢٣ عندما صدرت لها الأوامر بالانسحاب منها.

ومن أبرز تطورات هذه العملية

١- بعد أن كان قد خطط لتكون عملية محدودة تهدف إلى تعطيل أو إعاقة التصويت في الانتخابات، تحولت إلى عملية كبيرة، سيطر المقاتلون الشيشان خلالها على المدينة وقطعوا اتصالاتها مع الخارج، وحاصروا القوات الروسية المتواجدة فيها لمدة عشرة أيام.

٢- العدد الكبير من الإصابات في الجانبين. فالقوات الروسية كانت قد أعلنت بأن خسائرها شملت (٣٦) قتيلاً و (١٤١) جريحا و (٣٧) مفقوداً (وجدت جثة ٣٢ منهم)، ثم عدلت أرقام إصاباتها إلى (٧٠) قتيلاً و ١٥٠ جريحاً، وأن خسائر الشيشان تجاوزت ٣٠٠ مقاتل ، في حين أن الشيشان أعلنوا بأن خسائرهم شملت (١٠٧) قتيلاً و (١٩) جريحاً وخسائر الجانب الروسي شملت (٧٠٠) بين قتيل وجريح وتدمير (٤٠) مدرعة.

وأما الإصابات بين المدنيين من سكان المدينة نتيجة القصف العشوائي العنيف الذي استمر بدون انقطاع لمدة ستة أيام فكانت (٢٦٧) قتيلاً حسب البلاغات الروسية و (١٢٧١) قتيلاً حسب المصادر الشيشانية ، أكثرهم من النساء والأطفال الذين لم يتمكنوا من مغادرة المدينة بسبب القصف الروسي المتواصل.

٣- قدرت بعض المصادر بأن التدمير لحق بأكثر من ٥٠٪ من مباني المدينة، إلا أن مصادر أخرى ذكرت بأن هذه النسبة مبالغ فيها.

٤- لم يتحقق هدف المقاتلين الشيشان في تعطيل التصويت للانتخابات. إذ أعلنت السلطات الشيشانية التي عينتها روسيا بأنها تمت بنجاح وأن زفجاييف فاز بمنصب رئيس الجمهورية.

٥- أظهرت هذه العملية بأن القوات الروسية غير جاهزة وغير قادرة على مواجهة الهجمات الشيشانية. كما أظهرت بأن قوات دوداييف ليست ضعيفة وأن بإمكانها القيام بعمليات حربية على مقياس كبير.

٦- كانت هذه العملية مقدمة لعمليات أخرى. فالقوات الشيشانية التي هاجمت قاعدة المروحيات في مدينة كزلار الداغستانية وتطورت إلى ما سميت بعملية بيرفومسكوي خرجت من غودرمس كعملية انتقام ضد القاعدة التي كانت تخرج منها المروحيات الروسية لقصف غودرمس.

٧- أظهرت العملية عدم أخذ القوات الروسية أي اعتبار لسلامة المدنيين العزل. إذ أنها أغلقت أثناء الاشتباكات جميع الممرات التي حاول المدنيون الخروج من المدينة عبرها.

وضع مفوض حقوق الإنسان في البرلمان الروسي سيرجي كوفاليوف اللوم لأحداث غودرمس هذه على بعثة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في شيشانيا. وقال : "لو أن هذه البعثة كانت قد أوضحت بشكل صريح بأن الانتخابات المذكورة تعيق عملية السلام لما أقدمت السلطة الشيشانية المعنية من قبل روسيا عليها. وأن استئناف القتال (بعد فترة هدنة وهدوء) لم تكن نتيجة الاعتداء على الجنرال رومانوف، بل كانت البداية في مدينة غودرمس وبسبب الانتخابات".

اقتحام غروزني

كرسالة بأن القصف الروسي العشوائي لقرى آمنة غير مسلحة لن يمر بدون رد، وكرد على إجراءات غير دستورية تقوم بها السلطة الشيشانية المعينة من قبل الروس، ولإظهار أن القوات الشيشانية الشرعية لم تقهر، وأنها قادرة على القيام بعمليات رئيسية كبيرة في المكان والزمان الذي تختاره ، قررت اقتحام غروزني والبقاء فيها لأيام محدودة.

كان المقاتلون الشيشان يدخلون المدينة كمواطنين عاديين عائدين إلى بيوتهم، وأخذوا يعدون تجهيزات وأسلحة وذخائر في مستودعات سرية. وفي فجر يوم ١٩٩٦/٣/٦ دخلت قوة مشكلة فيما بين ٣٥٠-٦٠٠ مقاتل المدينة من ثلاث اتجاهات، في حين أن القوات الروسية الموجودة في المدينة كانت مكونة من ٥٠٠٠ عنصر من قوات وزارة الداخلية جرى تعزيزها بلواء وكتيبة من قوات وزارة الدفاع.

وفي الفترة الواقعة بين الساعة السادسة والعاشرة صباحاً كانت سبع نقاط سيطرة ، والقاعدة العسكرية في المدينة قد تعرضت لإطلاق النار. وخلال فترة قصيرة سيطرت القوات الشيشانية على ثلاث من أربع مناطق في المدينة ، واحتلت المراكز الأمنية. وخلال عدة ساعات سيطرت على ٨٠٪ من المدينة وجميع الجسور الواقعة على نهر سونجا ودمرت ٢٠ مدرعة روسية.

اتيحت للقوات الشيشانية حرية التحرك في المدينة، فأقامت كمائن للتعزيزات الروسية التي فقدت الكثير من ناقلات الجنود والمدرعات. وعند الظهيرة كانت القوات الشيشانية قد احتلت عدة مباني حكومية ومبنى محطة التلفزيون. وفي الساعة الثانية بعد الظهر ظهر دوداييف على شاشة التلفزيون وأعلن بأن العملية جرت بأمر منه. وبعده ظهر على الشاشة مسخادوف الذي أعلن بأن الإصابات بين القوات الروسية تجاوزت ٥٠٠ بين قتيل وجريح ، في حين أن الإصابات بين القوات الشيشانية لم تتجاوز لغاية تلك الساعة قتيلاً واحداً واربعة جرحى . وأن جميع الأهداف الرئيسية من العملية قد أنجزت فعلاً، وبوسع الوحدات الشيشانية الانسحاب من المدينة بدون عائق.

وفي المساء قطع المقاتلون الشيشان اتصالات الهاتف والراديو مع الخارج وأصبح الوضع داخل المدينة غامضاً.

وحسب البلاغات الروسية كانت الإصابات بين قواتها (٢٦) قتيلاً و (٥٠) جريحاً، وثم عدل عدد الجرحى ليصبح ١٠٧. كما قامت القوات الشيشانية باحتاز ٨٢ عامل إنشاء يعملون في مرافق تابعة للقوات الروسية.

أصبحت القوات الروسية مجمدة لا تقوى على الحركة، وجرى حصار كامل لإحدى سراياها.

وكانت مجموعة من قوات وزارة الداخلية (OMON) المحليين قد خرجت في سيارات جديدة تابعة للبوليس. وعندما قابلتها مجموعة من المقاتلين الشيشان أطلقت نيراناً في الهواء، ثم استسلمت للوحدة الشيشانية وسلمتها أسلحتها والسيارات الجديدة.

واستمر إطلاق النار على نقاط السيطرة الروسية في المدينة يوم ١٩٩٦/٣/٧ وعند حلول الظهيرة كان قد جرى تدمير نقطتي السيطرة الروسية رقم ١٣ ورقم ٦.

اشتكى قائد قوات وزارة الداخلية (OMON) في المدينة بأنه طلب تعزيزات ومساعدة من وحدات وزارة الدفاع المتواجدة حول غروزني، إلا أن هذه الوحدات امتنعت عن تقديم المساعدة، بل أن قادتها لم يردوا على اتصالاته المتكررة.

وبعد أن أنجزت القوات الشيشانية أهدافها التي كانت قد حددتها مسبقاً أخلت بتاريخ ٣/٧ وسط المدينة، وبتاريخ ٣/١٠ انسحبت الوحدات الشيشانية الرئيسة من المدنية.

أعلنت السلطات الروسية بأنه "بعد وصول إمدادات وتعزيزات للمدينة بتاريخ ٣/٨ قامت القوات الروسية الباسلة بتحرير المدينة من العصابات". وأصبح هذا الإعلان موضع استهزاء من الإعلام الروسي والعالمي، لأن القوات الشيشانية كانت قد أعلنت أهدافها ونيتها في إخلاء المدينة مسبقاً عند بدء العملية ، و لم تحاول التمسك بالمدنية والمخاطرة بإصابات بين أفضل وحداتها.

وكمحاولة للتقليل من أهمية الإنجاز الشيشاني، أعلنت السلطات الروسية بأن الإصابات بين قوات الفدرالية خلال هذه العملية كانت (١٤) قتيلاً و (٢٢) جريحاً وأن الإصابات بين العصابات الشيشانية كانت عشرة أضعاف على الأقل. غير أن جريدة Komsomolskaya Pravda اليومية نشرت في العدد الصادر بتاريخ ١٩٩٦/٣/١٢ بأن العدد الحقيقي للإصابات بين القوات الروسية كانت (١٠٠) قتيل و (٢٢٠) جريح و (٤٧) لا زالوا مفقودين، وخسائر القوات الشيشانية على نفس المستوى تقريباً. أما الإصابات بين السكان المدنيين فلم يهتم أحد بإحصائها.

وفي تقرير صدر عن دائرة الادعاء العام العسكري (صدر نتيجة تحقيق في فشل القوات الفدرالية وغياب استعدادها لمواجهة مثل هذه العمليات) ، جاء بأن الإصابات بين القوات الروسية كانت (٩٧) قتيلاً و (٢٣٠) جريحاً وتدمير ٢١ مدرعة وناقلة جنود حربية. كما قتل (٢٠) من رجال المليشيا الشيشانية الموالية لروسيا و (٢٥٠) مدنياً.

مصادمات وكمائن

اتبعت القوات الشيشانية سياسة استنزاف لمعنويات وقدرات القوات الروسية تمثل في إطلاق النار على المعسكرات ونقاط السيطرة الروسية ومراكز البوليس ونصب الكمائن لتحركات قوافل قواتها. فأصبحت هذه القوات تعيش في حالة رعب وتوقع هجمات شيشانية في أية لحظة وفي أي مكان ، وتخشى الخروج من مكامنها وتحصيناتها في الظلام . وقيل في هذا الصدد "بأن القوات الروسية لا تسيطر في شيشانيا الا على المواقع التي تقع تحت أقدام جنودها. وأن السيطرة في المدن والقرى التي احتلتها قد تكون جزئياً لها خلال النهار، وأما في الليل فإن السيطرة للمقاومة الشيشانية كاملة".

وفي كمين نصبته القوات الشيشانية قرب قرية ستاري اتشخوي بتاريخ ١٩٩٦/٣/١٦ تكبدت القوات الروسية (٥٥) قتيلاً و (٢٠٠) جريحاً. واضطرت على الانسحاب من القرية تاركة وراءها جثة (٢٧) قتيلاً و (٦٧) جريحاً و (١٥) عربة مدرعة مدمرة.

وفي كمين آخر في نفس الفترة بقرب قرية ساماشكى، تكبدت القوات الروسية (٢٨) قتيلاً وحوالي (١١٨) جريحاً.

وفي كمين بتاريخ ١٩٩٦/٤/١٦ في مضيق على طريق رئيسي على مسافة ١٥ كم شمال مدينة شاتوي ، تكبدت القوات الروسية حسب البلاغ الصادر عن وزير الدفاع غراتشيف (٥٣) قتيلاً و ٥٢ جريحاً. ووجهت في البرلمان الروسي انتقادات شديدة لغراتشيف ووزير الداخلية والقيادات العسكرية المركزية بالتخبط في التنسيق بين الوحدات العسكرية والأمنية المختلفة. وتشكلت لجنة للتحقيق في التقصير الذي أدى إلى هذا العدد الكبير من الإصابات، فتوصلت اللجنة كما جاء في التقرير الذي رفعه المدعي العام العسكري إلى أن عدد القتلى كان (٩٥) عنصراً منهم (٢٦) برتبة ضابط. وأن الخسائر في المعدات شملت تدمير دبابة واحدة، وستة مدرعات، ومدرعة تابعة لقسم الاستخبارات العسكرية، وعربة قيادة القافلة التي قتل فيها قائد القافلة وأعضاء هيئة أركانه. كما دمرت (١٣) عربة شحن عسكرية. في حين أن مراسلي

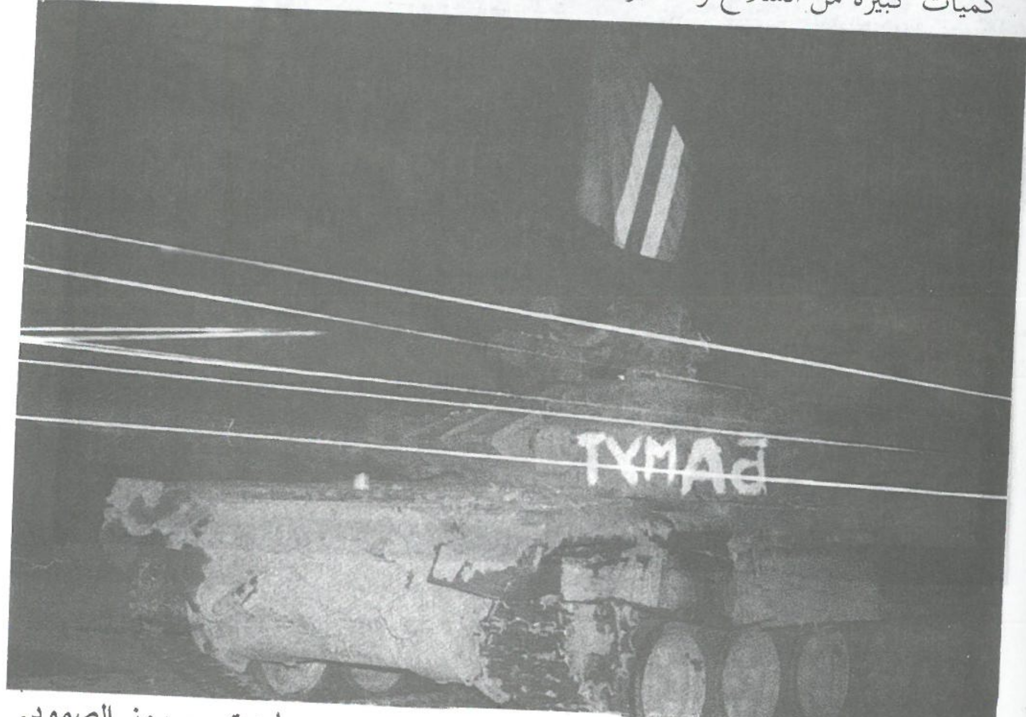
وكالات الأنباء الروسية والعالمية التي وصلت إلى الموقع ذكروا بأنهم شاهدوا ٣٧ مركبة متنوعة كانت النيران لا تزال مشتعلة فيها.

وهذه الخسائر كانت تشكل حوالي ٥٠٪ من عناصر القافلة و ٧٠٪ من معداتها. وأوردت صحف روسية بأنه جرى بتاريخ ٤/١٦ نقل ١٦٣ جثة جندي وبوليس إلى أنحاء مختلفة في الفدرالية الروسية.

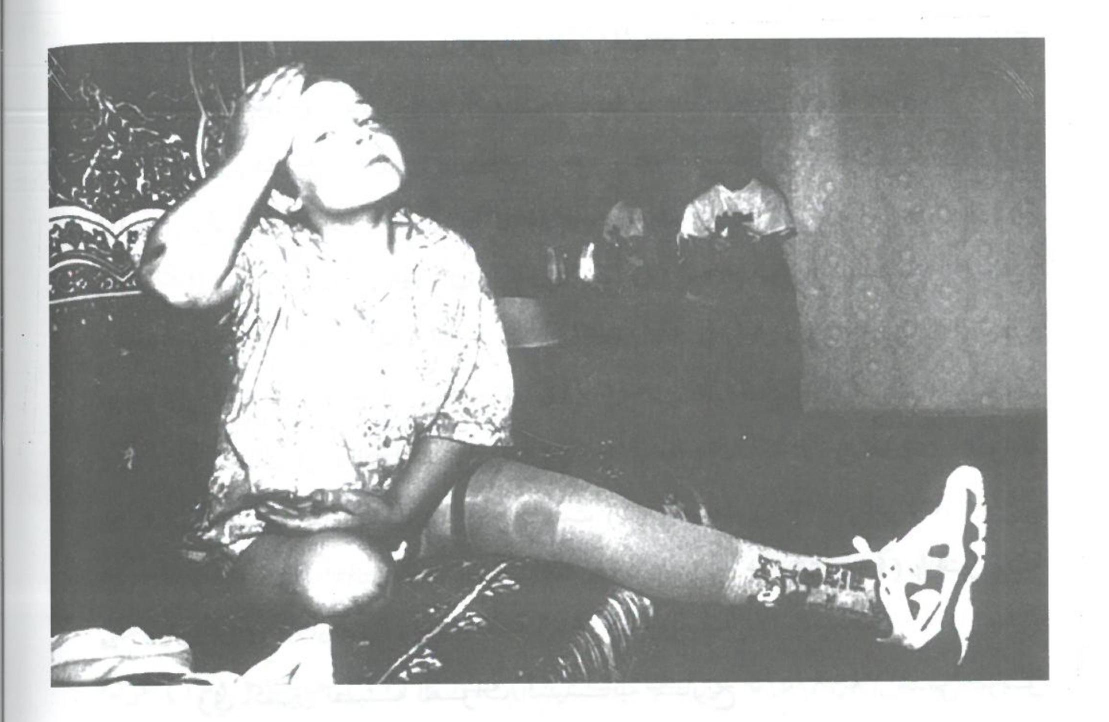
وجاء في تقرير اللجنة المذكورة بأن كمين يوم ٤/١٦ كانت الضربة القاسية الثالثة على هذه الوحدات التي كانت قد نقلت إلى شيشانيا قبل أربعة أشهر . وبلغت مجموع الإصابات في أفرادها حوالي (٢٢٠) قتيلاً . ففي الضربة الأولى هاجمت القوات الشيشانية معسكراً لها وقتلت (١٢) وجرحت (٨) وأسرت (٣١) من أفرادها.

وفي الضربة الثانية قتلت القوات الشيشانية (٢٤) وجرحت (٤١) واعتبر ثلاثة من عناصرها في عداد المفقودين.

وفي كمين نصبته القوات الشيشانية بتاريخ ١٩٩٦/٥/٥ على طريق غودرمس/ ارغون، دمرت القوات الشيشانية ١٥ مدرعة روسية، واستولت على كميات كبيرة من السلاح والذخيرة.



باموت ... رمز الصمود.





ولكننا لا نبكي.

الفصل الثاني عشر
الضربة القاضية

تحرير غروزني وارغون وغودرمس

كانت عمليات استنزاف قوة القوات الروسية المتواجدة في شيشانيا بمثابة تسجيل نقاط في جولات نزال بين الملاكمين الشيشان والروس. أما الضربة القاضية التي انتصر الشيشان من خلالها فكانت تحرير غروزني وارغون وغودرمس بتاريخ ١٩٩٦/٨/٦.

كان الشيشان قد وصلوا إلى قناعة بأنه لم يبق مجال لإنهاء الحرب إلا باستعمال القوة لردع القوة. وأن المفاوضات بين جانب يمثل دولة عظمى ، يكاد يسيطر كاملاً على أراضي الجانب المقابل الذي تخيله منهاراً ، لن تؤدي إلى حل عادل له فرصة الدوام.

قررت القيادة الشيشانية القيام بعمليات على نطاق واسع تثبت بأن المقاومة الشيشانية ليست فقط غير منهارة، بل أنها تمكنت من تنظيم وحشد قواتها لتوجيه ضربة قاضية إلى قلب القوات الغازية ، وأن يعي الرأي العام في روسيا عبثية الاستمرار في حرب ، وأن كلا الجانبين غير قادرين على الانتصار .

وقد وضعت الخطة الشيشانية بتكتم بحيث أن قادة الوحدات التي ستشارك مباشرة في العملية فقط كانوا على علم بتفاصيلها وبنيت الاستراتيجية التي وضعها مسخادوف على:-

١- المباشرة بدخول وحدات خاصة عالية التدريب إلى مدن غروزني وارغون وغودرمس في نفس الوقت.

٢- انضمام المقاتلين الذين كانوا قد دخلوا المدن المذكورة سابقاً كمواطنين عاديين عائدين إلى منازلهم إلى هذه القوات.

٣- محاصرة معسكرات ونقاط السيطرة الروسية بحيث تصبح مشلولة غير قادرة على الحركة حتى في المحيط المجاور لهذه النقاط.

٤- حشد القوات في غروزني والسيطرة على الأهداف المهمة منها مثل مباني الحكومة ومراكز البوليس وقواعد الجيش.

٥- تنظيم خطوط دفاعية وكمائن للحيلولة دون وصول تعزيزات من خارج هذه المدن أو فيما بينها.

٦- استنزاف القوات الروسية إلى أقصى حد، بحيث تستهلك ذخيرتها وتموينها وتصبح غير قادرة على معالجة الوضع.

٧- تجميد حركات القوات الروسية في مناطق أخرى في شيشانيا بتكثيف عمليات اشتباكات في المناطق التي تتواجد فيها قوات روسية كبيرة.

٨- الاستفادة إلى أقصى حد من طبيعة حرب الشوارع حيث يتعذر على الروس القصف العشوائي العنيف لتواجد قواتها في جميع أحياء المدينة.

٩- الاستفادة من الخبرة المكتسبة في عمليات الاقتحام السابقة لمدن غروزني وارغون وغودرميس (التي مر ذكرها).

وقبل أن استطرد أكثر، لعله من المفيد التوضيح بأن الاستراتيجية الشيشانية كانت قد شملت تسلل مقاتلين مسبقاً، يتوزعون في غروزني ومدن أخرى مهمة بصفتهم مواطنين عائدين إلى بيوتهم، يعدون مستودعات تموين وأسلحة وذخيرة. وعندما يعلن توقيت بدء العملية (خيار الصفر) تقوم كل مجموعة بشل حركة قوات نقاط السيطرة القريبة منها حتى تتمكن الوحدات التي تقتحم المدينة من تنفيذ المهمات الموكولة إليها بدون إعاقة.

وأما نقطة السيطرة (التي يتردد ذكر اصطلاحها هنا) فكانت عبارة عن قاعدة عسكرية صغيرة لفوج أو سرية من الجنود، على شكل ملاجئ ومنامات ومستودعات تموين وذخيرة منشأة تحت الأرض، ضمن ساحة سماوية محاطة بسياج من جدران أو أكياس الرمل أو الأسلاك الشائكة. تتوفر فيها مرابض لإطلاق النار ومواقف للآليات. وكانت داخل مدينة غردزني وحدها ٢٢ من نقاط السيطرة هذه.

بدأت عملية (خيار الصفر) قبيل الساعة السادسة من صباح يوم ١٩٩٦/٨/٦ في غروزني وارغون وغودرمس في نفس الوقت. وصدرت على الصفحات الأولى من الصحف الروسية مانشيتات بخط كبير (المقاتلون الشيشان يهاجمون المدن الرئيسية في نفس الوقت).

ففي ارغون، تمكن المقاتلون الشيشان قبيل ظهيرة ذلك اليوم من احتلال مركز البوليس بدون قتال والاستيلاء على ما فيه من سلاح وذخيرة. كما تمكن المقاتلون من الاستيلاء على القيادة العسكرية في المدينة التي تسللت القوات المتواجدة فيها إلى مدرسة مجاورة على اعتبار أن المقاتلين الشيشان لن يدمروا المدرسة. جرى احتلال المدينة بسرعة غير متوقعة وانسحبت القوات الروسية إلى خارجها مع أنه كان قد توفرت لها مساندة من قاعدة صواريخ قريبة وطائرات مروحية. وخسرت القوات الروسية في الاشتباكات ١٥ مدرعة حربية. وقيل أن سلمان رادوييف كان قد حصل على (١٠) صواريخ ضد الطائرات تطلق من الكتف واستعملت بعضاً منها مما حد من حرية المروحيات في الاقتراب من الأهداف.

وأعلنت القيادة الشيشانية استيلاء قواتها على الجزء الأكبر من مدينة غودرمس. وفي الحقيقة لم تكن هناك مقاومة روسية ، لأن قوات المليشيا المحلية (من الشيشان) انضموا إلى المهاجمين. احتل المقاتلون محطة سكة الحديد، وسيطروا على طريق روستوف / باكو المار بطرف المدينة، وهو طريق حيوي لتحركات القوات الروسية. ثم جرت المفاوضات والاتفاق على أن تنسحب القوات الفدرالية من المدينة بدون قتال.

في الساعة ٦,٥٥ من صباح ١٩٩٦/٨/٦ بدأت قوات شيشانية مشكلة من حوالي ١٥٠٠ مقاتل بقيادة شامل بيساييف دخول مدينة غروزني في مجموعات تتكون من ٣٠-٤٠ مقاتل. تقدمت باتجاه السوق المركزي ومبنى سكة الحديد، وفي اشتباكات استعملت في بعضها مدافع مورتر تمكنت في الساعات الأولى من الهجوم الذي خطط له بدقة شل حركة بعض نقاط السيطرة ومراكز بوليس ومعسكرات جيش داخل المدينة، وكذلك السيطرة على الطرق المؤدية للمدينة لقطع الطريق على

تعزيزات روسية ، وخلال ساعات قليلة احتل المقاتلون الأحياء الرئيسية في المدينة، ووصلوا إلى مسافة تقل عن ١٠٠ متر من مجمع مقر حكومة زفجاييف. ووزع قائد المجموعة رسلان جيلاييف رجاله على مواقع حول المجمع تمكن قناصته من اطلاق النار عليه ، إلا أنه امتنع عن اقتحامه حتى لا تقع إصابات بين المدنيين المتواجدين فيه.

قامت المروحيات الروسية بعمليات قصف في محاولة لعرقلة دخول المقاتلين الشيشان للمدينة كما جرت محاولات لإرسال تعزيزات روسية من المطار الشمالي وقاعدة خانكالا لمساعدة القوات المحاصرة داخل المدينة، إلا أنها عجزت عن دخول المدينة. وتمكن المقاتلون الشيشان من إسقاط عدة مروحيات وكذلك تدمير أربع مدرعات على طريق المطار. وعند حلول ظهر ذلك النهار كان قد قتل ١٣ وجرح ٥٣ من القوات الروسية. وفي صبيحة النهار التالي كانت الإصابات بين القوات الروسية قد بلغت ٢٩ قتيلاً وأكثر من ١٠٠ جريح، فصدرت الأوامر إلى جنود نقاط السيطرة والمراكز الأمنية الروسية المحاصرة عدم المخاطرة بمغادرة استحكاماتها.

ومع أن شدة القتال كانت قد خفت في ليلة ٩٦/٨/٦ إلا أنه استؤنف في صباح اليوم التالي، وغدت حالة القوات الروسية أكثر حرجاً. وكانت حكومة زفجاييف الموالية لروسيا قد انسحبت من المجمع الحكومي في المدينة إلى قاعدة خانكالا العسكرية. وجرت محاولات لإرسال تعزيزات روسية إلى مجمع مقر الحكومة من قاعدة خانكالا ومن المطار الشمالي إلا أنها فشلت في الوصول إلى المجمع. واعترفت القيادة الروسية بسقوط (٨) مروحيات وتدمير (١٥) مدرعة في المرحلة الأولى من عملية (خيار الصفر).

استمر تعزيز القوات الشيشانية في المدينة فوصل تعدادها بعد ثلاثة أيام إلى حوالي ٣٠٠٠ مقاتل، واستطاعت السيطرة على وسط المدينة وحوالي ٨٠٪ من مساحتها. ووفقاً لبلاغ صادر عن وزير الإعلام الشيشاني مولادي أودوغوف، بلغت الخسائر الروسية خلال الأيام الثلاثة الأولى من العملية حوالي ١٠٠٠ قتيل وتدمير ٤٤ مركبة مدرعة وإسقاط (٩) مروحيات. كما استولى الشيشان على (٨) سيارات مدرعة وكميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة.

وكإجراء لإعاقة إرسال تعزيزات روسية من قواعد أخرى في شيشانيا، قامت القوات الشيشانية بعمليات اشتباك مع القوات الروسية في جنوب / غرب وجنوب/ شرق غروزني.

أظهرت عملية (خيار الصفر) بأن القوات الروسية المتواجدة في شيشانيا غير مستعدة لهذا المستوى من القتال. ومع أن جميع قوات الاحتياط الروسية المتوفرة في شيشانيا أرسلت لمواجهة المقاتلين الشيشان في غروزني، فأنها عجزت عن تغيير الوضع لصالحها، بل تمكن المقاتلون الشيشان من الاستيلاء على مراكز أخرى مهمة مثل محطة سكة الحديد وتقاطع مينوتكا الذي تردد اسمه مراراً أثناء ذلك الحرب. ولم تتمكن القوات الفدرالية من الاستعانة بقصف جوي وصاروخي ومدفعي ثقيل داخل المدينة لتشابك خطوط قوات الجانبين.

ومن حجم التعزيزات والذخيرة ومواد التموين التي أدخلها الشيشان إلى غروزني، بات واضحاً بأنه لا نية للشيشان الانسحاب من المدينة خلال فترة قصيرة. ولأن الشيشان كانوا قد سيطروا على الطرق الموصلة للمدينة من الشرق والجنوب والغرب فإن إمكانية تعزيز قواتهم كانت متاحة، في حين أن الممر الوحيد المتاح للقوات الروسية كان الطريق الذي يربط المدنية بقاعدة خانكالا العسكرية. وكانت مصادر السلاح والذخيرة متوفرة للشيشان ، إما بالاستيلاء عليها أو بشرائها من الوحدات الروسية.

وبعد أسبوع من القتال أصبح وضع القوات الروسية في غروزني حرجاً. وبث التلفزيون الروسي بأن الإصابات بين قواتها بلغت ٢٢١ قتيلاً و ٧٧٦ جريحاً وعدداً غير معروف من المفقودين. وأما وزير الإعلام الشيشاني فقد صرح بأن القتلى بين القوات الروسية بلغ ١٢٣٠ جندياً وبين القوات الشيشانية ٣٧ شهيداً. وأما الضحايا بين المدنيين، فلم يهتم أحد بحصرها، إلا أنها كانت كثيرة لأن الجانب الروسي كان قد رفض الاقتراح الشيشاني بفتح ممرات آمنة ليبتعدوا عن مواقع الاشتباكات.

قامت القوات الروسية خلال أيام القتال بمحاولات لإرسال تعزيزات لقواتها المحاصرة في غروزني، إلا أنها كررت الأخطاء التي ارتكبتها في يوم رأس السنة الجديدة

عام ١٩٩٥ وذلك بإرسال قوافل دبابات ومدرعات وناقلات جنود بـدون حماية من المشاة، فقام المقاتلون الشيشان بتدميرها قبل وصولها إلى مواقع القوات المحاصرة التي وجدت نفسها عاجزة بدون مساعدة. وقال ضابط تواجد مع إحدى هذه القوات.

"كانت موسكو تذيع بأن العملية صغيرة وغير مهمة، والحكومة الشيشانية المعينة من قبل الروس كانت أيضاً تذيع بأن الوضع في غروزني تحت سيطرتها الكاملة. ولكننا كنا محاصرين ومواقعنا تدمر. وعندما وجهت نداء بالراديو اطلب النجدة ... أجاب الطرف الآخر ... قد تصلكم النجدة في أية لحظة ... ما يدريني متى وكيف..؟ أنا الجندي العامل على الراديو ".

وبعد بدء الهجوم الشيشاني بخمسة أيام، أي بتاريخ ١٩٩٦/٨/١١ تحركت الكتيبة الروسية رقم ٢٧٦ وقوامها ٩٠٠ جندي في محاولة لدخول المدينة إلا أنها دحرت بعد اشتباكات دامت يومين خسرت خلالها ٥٠٪ من قوتها.

وجاء في كتاب (شيشانيا – حرب صغيرة مظفرة) ، بأن فوجاً من القوات الروسية يطاردهم المقاتلون الشيشان قد التجأوا إلى مستشفى رئيسي في غروزني . وكان قائد الفوج وعدد من أفراده قد جرحوا وبقوا ممددين في الشارع المار أمام المستشفى. لم يجرأ جنود الفوج أن يخرجوا لسحب قائدهم وزملائهم الجرحى إلى الداخل ، بل طلبوا من ممرضات وكوادر المستشفى القيام بهذه المهمة.

قام كادر المستشفى بمفاوضة وأخذ موافقة المقاتلين الشيشان على السماح لأفراد هذا الفوج الخروج من المستشفى والالتحاق بإحدى القواعد الروسية داخل المدينة، إلا أن أفراد الفوج المرعوبين رفضوا الخروج ما لم يشكل كادر المستشفى (وخاصة الممرضات) بملابسهم البيضاء درعاً بشرياً يحيط بهم ويحميهم اثناء الانتقال.

ووفر المقاتلون الشيشان خروجاً آمناً لحوالي ١٢ مراسل لوكالات أنباء روسية ودولية من مبنى المجمع الحكومي المحاصر، فأصدرت القيادة الروسية بلاغاً بأنها قامت بتحريرهم. وادعت القيادة الروسية بأن العملية الشيشانية على وشك الانهيار. وأنها من البداية قصد منها تشويش عملية تنصيب يلتسين رئيساً للفدرالية، وستنسحب

القوات الشيشانية من المدينة بعد انتهاء عملية تنصيب الرئيس ونهب وسلب بنوك المدينة.

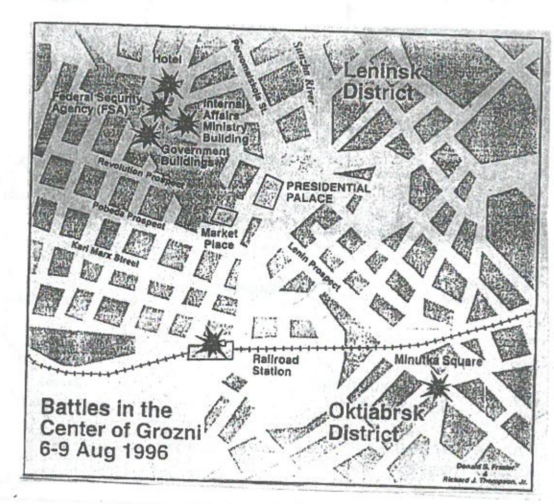
واما قائد العملية شامل بيساييف فقد علق عنها قائلاً:

"دخلنا وحررنا عاصمة جمهوريتنا لنبقى فيها. بإمكان الروس استعادة المدينة إلا أن ذلك سيستغرق عاماً ونصف عام وتدمير المدينة مرة أخرى. وبإمكانهم استعادتها خلال شهر ونصف شهر ولكن ذلك سيكلفهم فيما بين ١٠-١٥ ألف جندي روسي قتيل".

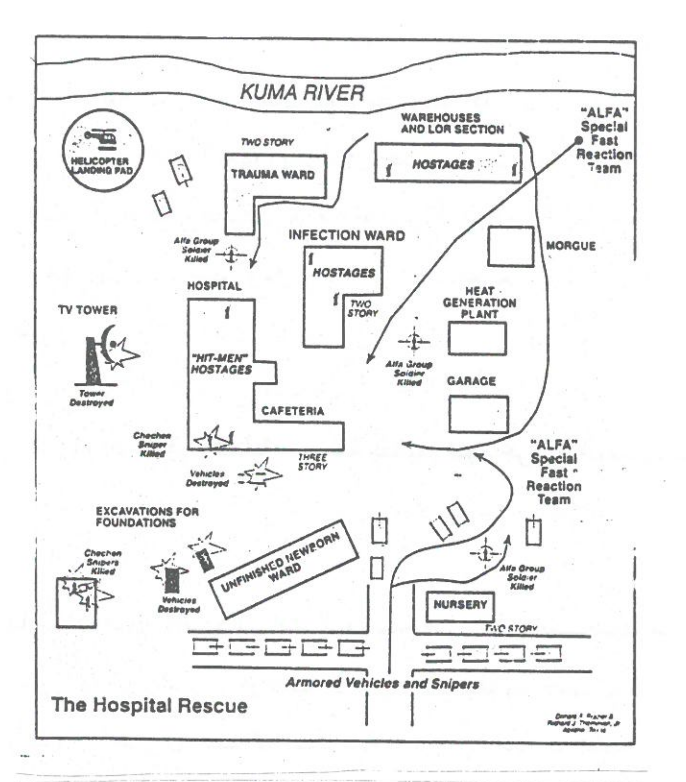
وأما وزير الإعلام الشيشاني فقد علق ساخراً:-

" العملية الشيشانية هي عملية بوليسية يقصد منها تجريد العصابات المسلحة الروسية الخارجة على القانون، والتي تتجول في الأراضي الشيشانية، وتعيث فيها فساداً".

وفي نهاية المطاف، كانت القوات الروسية هي التي انسحبت من غروزني (وباقي أنحاء الجمهورية الشيشانية) بموجب الاتفاقية التي وقعها الجنرال الكسندر ليبيد عن الجانب الروسي والجنرال اصلان مسخادوف عن الجانب الشيشاني في مدينة خساف يرت الداغستانية بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١.



معركة غروزني (المصدر كتاب The War in Chechnya).





عملية بودينومسك (المصدر كتاب **The War in Chechnya**).

الفصل الثالث عشر
استشهاد دودايف
مات الرئيس ... عاش الرئيس

ارتفعت أكف المحيطين بالجثمان ... يتضرعون إلى الله عز وجل ويدعون للشهيد ، ورددوا " مات الرئيس ... عاش الرئيس " وأدوا قسم الولاء لنائب الرئيس زيلمخان اندرباييف حسب أحكام دستور الجمهورية الشيشانية.

بالنسبة للمراقبين والمتبعين للأحداث ، لم يكن استشهاد دوداييف أمراً غير متوقع ، فقد سبق أن تعرض لمحاولات اغتيال عديدة . وأما الأمر الذي زاد من تقديرهم للتراث الشيشاني فكان الشكل السلس لانتقال السلطة ، في حين أن السلطات الروسية لم تستوعب هذا القدر من الانضباط من قادة وحدات المجاهدين الشيشان، فنشرت أنباءً بأن الرئيس الجديد قد اغتيل خلال نزاع على السلطة.

كان دوداييف بالنسبة للسلطات الروسية المطلوب رقم واحد حياً أو ميتاً. ففي شهر فبراير ١٩٩٥ اصدر المدعى العام العسكري الروسي مذكرة وجه فيها أربع تهم لدوداييف ، عقوبة كل واحدة منها الإعدام بموجب أحكام القانون الجنائي الروسي. ومن أهم هذه التهم الخسارة الكبيرة التي لحقت بالقوات الروسية في شهر ديسمبر ١٩٩٤ ويناير ١٩٩٥. إذ جاء في المذكرة:-

" في محاولة للتمسك بالسلطة بالقوة، فإن دوداييف وتشكيلاته غير القانونية، نظموا مقاومة ضد قوات وزارة الدفاع ووزارة الداخلية والمخابرات والاستخبارات العسكرية الفدرالية التي كانت تقوم بواجباتها لاقرار الأمن وإعادة الوضع الدستوري في إقليم شيشانيا ".

وفي منتصف آذار ١٩٩٥ أعلن المدعى العام الذي عينته روسيا في شيشانيا بأنه اصدر مذكرة توقيف بحق دوداييف وعدد من قادة السلطة الشيشانية . وفي بادئ الأمر أنيطت هذه المهمة بوزارة الداخلية والمخابرات ثم أوليت إلى وزارة العدلية . وفي

نيسان ١٩٩٠ أرسلت دائرة المخابرات الروسية إلى شيشانيا فريقاً مدرباً لتنفيذ هذه المهمة، إلا انه جرى في شهر مارس استدعاء الفريق إلى موسكو لأن مدير الدائرة سيرجي ستيباشين لم يكن قد وقع أمر هذه المهمة. ويظهر أن أياً من المسؤولين لم يجرؤ على توقيع مثل هذا الأمر حتى لا يتحملوا مسؤولية المخاطر التي قد تنجم عنها. ومع أن أحداً لم يجرؤ على توقيع مثل هذا الأمر الا أن اغتيال دوداييف اصبح هدفاً تبنته السلطات الروسية. وقد جرت فعلاً عدة محاولات لاغتياله، منها تفجير السيارة التي كان يستقلها عادة في تنقلاته، وقد نجا دوداييف لأنه كان في سيارة أخرى في الموكب. وعلق دوداييف "الأعمار بيد الله ... وإنني مستعد لملاقاة ربي".

ومع أنه كانت هناك رغبة قوية لدى السلطات الروسية لاغتيال دوداييف، إلا أنه كانت هناك جهات عليا فيها تخشى بأن يكون دوداييف قد أودع لدى جريدة النيويورك تايمز أو الواشنطن بوست أو غيرها من الصحف الدولية الواسعة الانتشار، مغلفاً مع وصية يجري فتحه في حالة موت غير طبيعي له، يحوى معلومات تدين تورط مسؤولين روس مهمين في صفقات بيع أسلحة وتهريب أموال. وقد جاء ذكر وزير الدفاع غراتشيف ومدير المخابرات ستيباشين على سبيل المثال . وقال لي شامل بينو الذي كان أول وزير خارجية في عهد دوداييف بأن دوداييف ذكر " في موسكو من يخشوني ميتاً أكثر مني حياً " .

وعندما فشلت محاولات اغتيال دوداييف في عملية برية، جرى التركيز على قتله بصاروخ يطلق من الجو . وقد خصص لهذه الغاية فريق مع طائرات مناسبة في قاعدة جوية قريبة من الجمهورية الشيشانية، تكون جاهزة لقصف صاروخي لأي موقع ترد الأنباء بتواجد دوداييف فيه بغض النظر عن خسائر قد تقع بين المدنيين. وقد حدث ذلك عدة مرات ولكن بعد أن كان دوداييف قد غادر الموقع. ولذلك فإن الجهات الأمنية الشيشانية أخذت تشك في أن بعض المراسلين الذين يحضرون مؤتمراته الصحفية كانت تتوفر لديهم أجهزة ترسل إشارات للسلطات الروسية. وعلى ذلك شددت إجراءات حضور المراسلين غير الموثوق بهم.

كانت وسيلة الاتصالات الهاتفية المتوفرة لدى دوداييف الهواتف اللاسلكية التي تعمل من خلال الأقمار الصناعية. وحيث أن دوداييف ، طيار حربي ، ملم بامكانية التقاط الإشارات التي تصدر عن مثل هذه الهواتف وتحديد مواقعها، فإنه كان يتخذ احتياط منها:-

١- أن تجري المكالمات في مواقع خارج المدن والقرى حتى لا تتعرض للقصف.

٢- أن تكون مكالماته قصيرة، بحيث لا تتوفر للجهة الروسية الوقت الكافي لتحديد الموقع وإقلاع الطائرة والقصف. وكان الترتيب المتخذ أن يقوم أحد الخبراء الثقة بمتابعة فترة المكالمة مع صلاحية قطعها وإغلاق الإشارة اللاسلكية عند شعوره بالخطر حتى بدون موافقة دوداييف.

٣- أن يوضع أنتين الهاتف التي تصدر من خلاله الإشارات اللاسلكية على مسافة كافية من موقع الهاتف والشخص المتكلم ، بحيث انه إذا جرى القصف (موقع الأنتين الذي يبث الإشارات) يكون تأثيره في موقع الذي يستعمل الهاتف محدوداً.

وفي يوم الحادث لم يجر الالتزام بالاحتياطات الواردة في الفقرتين الثانية والثالثة أعلاه. فالبنسبة لأهمية المكالمات التي كانت تتعلق بمساعي لإجراء مفاوضات لوقف القتال والتوصل لحل سياسي للأزمة، استغرقت المكالمات فترة أطول من حدود السلامة. وكذلك بالنسبة لأنتين الهاتف فقد ركب فوق ظهر السيارة التي كان دوداييف عند إجراء المكالمة يجلس في المقعد الأمامي فيها، لأن الكيبل الطويل الذي يربط الهاتف والأنتين كان قد تلف، و لم يتوفر في حينه بديلاً مناسباً له.

يتطابق ما ورد في كتاب شيشانيا - حرب صغيرة مظفرة وكتاب (The War in Chechnya) . حول الصورة العامة للوضع عند حدوث الاغتيال.

ففي ليلة ٢١/٢٠ نيسان ١٩٩٦، ذهب دوداييف ومعه زوجته آلا ، وابن أخيه وسخان دوداييف ، وممثله السابق في موسكو حامد كوربانوف ومساعده واخه إبراهيم ، والمدعي العام العسكري محمود يانبيف وعدد من الحرس الشخصي إلى تلة خارج قرية (غيخي تشو) لإجراء اتصالات تتعلق بلقاء محتمل مع يلتسين الذي كان يتطلع إلى دورة رئاسية جديدة ، ويرغب في السير نحو حل اللازمة الشيشانية قبل

موعد الانتخابات . وكان وزير القوميات الفدرالي ورئيس الفريق الروسي في المفاوضات مع الشيشان ميخائيلوف يسعى لوضع الترتيبات لهذا اللقاء بالتعاون مع رئيس جمهورية تتارستان وملك المغرب. وفي لحظة الانفجار كان دودايف يجلس في المقعد الأمامي في سيارة الجيب (نيفا) وبجانبه كوربانوف، بينما كان يانييف واقفاً بجانب باب السيارة المفتوحة. وأما إبراهيم فكان جالساً خارج السيارة يدخن سيجارة، وزوجته آلا وابن أخيه وسخان والحرس الشخصي فكانوا في سيارة أخرى على بعد بضع عشرات الأمتار.

وقع انفجاران واستشهد دودايف وكوربانوف وينايف حالاً وأصيب إبراهيم بجراح في صدره. نقلت جثث الشهداء إلى القرية. وكانت زوجته آلا تظن بأن زوجها كان مغمياً عليه ولا يزال حياً، ولذلك جلست طيلة الليل عند رأسه تصلي وتدعو. وفي صباح اليوم التالي وصل إلى القرية كبار المسؤولين والقادة الشيشان، وقرروا أن يباشر نائب الرئيس ياندرباييف مهام الرئاسة فوراً حسب أحكام الدستور.

وأما عن مكان دفن الشهيد، ومن حضر الدفن فلا تتوفر معلومات موثقة. كان التوجه إلى نقله ودفنه في القرية التي ولد فيها (يالخروي) إلا أنه بسبب الخشية من غارات روسية على حشود المشيعين ، وأن تقوم السلطات الروسية بنبش قبره ونقل جثمانه، فقد اتفق على دفنه في بقعة لا يعرف موقعها إلا عدد قليل من المسؤولين. وذكر باستوكاييف قائد الحرس الشخصي للشهيد بأنه بعد أن أقيمت صلاة الجنازة على الشهداء، قام أربع من حرس دودايف بنقل جثمانه ودفنه في غابة قريبة.

كانت في موقع الانفجار حفرة كبيرة وحطام سيارة النيفا، إلا أنه لم تؤخذ صوراً ولم يجر تشريح لجثث الشهداء حتى يتسنى للمختصين التوصل إلى نوع المتفجرات وطريقة التفجير. التفسير الأكثر انتشاراً بأن التفجير جرى بواسطة صاروخ جو / أرض موجه نحو أنتين الهاتف النقال . غير أن هناك من يشكك في هذا التفسير على اعتبار أن:-

١- لم يكن قد توفر لدى سلاح الجو الروسي التكنولوجيا اللازمة لدقة إصابة الهدف بهذه الطريقة، مع أن البعض رجح بأن أمريكا زودته بالتكنولوجيا والأجهزة اللازمة.

٢- أفاد أهالي قرية (غيخي تشو) والقرى المجاورة بأنهم لم يسمعوا أصوات أية طائرات في منطقة الحادث عند وقوع الانفجار.

٣- أصدرت القيادة الفدرالية العامة بلاغاً بأنه لم تكن في وقت الحادث أية طائرات روسية في الجو ولم تطلق أي صاروخ في منطقة الحادث . الا أن القيادة العسكرية الروسية لم تكن عادة مطلعة على جميع العمليات التي تخطط لها دائرة المخابرات، ومنها المتعلقة بمحاولات اغتيال دودايف.

انتشرت إشاعات بين المتشككين بنظرية صاروخ جو/ارض بان المخابرات الروسية لجأت إلى وسائل أخرى ومنها :-

١- المتفجرات كانت مزروعة في سيارة النيفا نفسها من قبل عناصر مدسوسة على جماعات دودايف .

٢- كانت المخابرات قد توصلت إلى اتفاق بين الحكومتين الروسية والشيشانية لفتح خط هاتف لاسلكي مباشر لتيسير الاتصالات بينهما ، وبما أن الاتصالات عبر الهواتف اللاسلكية يمكن التقاطها (كما حدث بالنسبة لبعض الاتصالات التي نشرت الصحف نصوصها) ، اقترحت المخابرات الروسية تزويد دودايف بهاتف نقال يرتبط به جهاز سري (صندوق اسود) يسجل المكالمات المتبادلة وفي نفس الوقت يحرم المتطفلين من التقاط الإشارات اللاسلكية . وأرسل مع الجهاز خبير خاص يتولى تشغيله عند إجراء الاتصالات . وكانت القنبلة التي قتلت دودايف ورفاقه مزروعة في هذا الصندوق ، ولم يكن الخبير الذي قتل أيضاً في الحادث يعلم بوجود القنبلة ، لأن المخابرات كانت قد خططت لموته أيضاً ، حتى لا يشك الجانب الشيشاني في محتويات الصندوق وحتى لا يقوم الخبير المذكور بالكشف عن أسرار العملية .

٣- وتردد أيضاً بان المخابرات الروسية كانت قد توصلت إلى تحديد الذبذبات التي تصدر عن هاتف دوادايف ، لان سلمان روداييف كان قد ترك هاتفاً مماثلاً له عندما انسحب من قرية فيرموسكابا .

وكما وردت شكوك وراجت إشاعات حول أحداث تتعلق بمصير شخصيات عالمية (هل اقدم هتلر على الانتحار أو انتقل إلى أمريكيا الجنوبية وعاش فيها متخفياً ؟ ومن اغتال كندي ... اوزولد أو غيره؟) ، راجت الإشاعات وبدأ التشكك حول مصير دوداييف ، وفيما إذا كان قد مات فعلا عند وقوع الانفجار أم أصيب بجراح بليغة ونقل إلى الخارج لتلقي العلاج . وقد عزز هذه الشكوك سلمان روداييف الذي كان يظن بأنه قد توفي في إحدى المعارك ، ولكنه ظهر في شيشانيا فجأة وعقد مؤتمراً صحفياً بتاريخ ١٩٩٦/٧/٢٠ وقال بأنه كان قد أصيب فعلاً بجراح كبيرة ونقل إلى الخارج للمعالجة ، واضاف واقسم "بان دوداييف حي ويتلقى العلاج في الخارج ، وانه كلفه بالعودة إلى شيشانيا لخوض الكفاح المسلح ضد روسيا ، وشن حرب شاملة عليها حتى يتحقق النصر".

وعلق ستيباشين رئيس جهاز المخابرات السابق على هذا المؤتمر: "إنني لا اقسم على القرآن ... ولكنني متأكد بان دوداييف ميت . وان تصريحات روداييف ما هي إلا كذبة تهدف إلى خلق بلبلة ورفع معنويات الانفصاليين" .

وكذلك أرملة دوداييف آلا ، كانت غامضة في إجاباتها على استفسارات المراسلين عن واقعة الاغتيال ودفن الشهيد . وفي أواخر شهر مارس ١٩٩٦ جرى اعتقالها في مطار نالتشك عندما كانت تحاول المغادرة إلى تركيا بجواز سفر مزيف . وقيل أنها كانت تنوي الالتحاق بولديها اللذين كانا يدرسان فيها ... إلا أنه قيل أيضاً بأنها كانت تنوي الالتحاق بزوجها الذي يتلقى العلاج في الخارج.

أفرج عن آلا بأمر من يلتسين ، وارسلت إلى بلدة بوشكين القريبة من موسكو حيث ولدت ويعيش فيها والدها المتقاعد . إلا أنها غادرت البلدة المذكورة بتاريخ ١٩٩٧/٧/١٢ بصحبة امرأة كانت آلا على معرفة بها كما صرح والدها.

وبتاريخ ١٩٩٦/٨/٦ قالت آلا في مقابلة أجرتها معها صحيفة تصدر في أوكرانيا .

"أنا أيضاً أتمنى أن يكون جوهر على قيد الحياة ... ولكنني أعزي نفسي بأنني سألتقيه في العالم الآخر " .

وقالت آلا التي كانت في حينه تعيش في إحدى المدن الأوكرانية تحت حماية من حكومتها "بأنها هربت من موسكو بسبب ملاحقة ومضايقة الشرطة الروسية السرية لها ، ومحاولة اختطافها اعتقاداً بأن في حوزتها وثائق سرية. وبأنها تتمنى أن تكف هذه الشرطة عن مضايقتها لأن هذه الوثائق اختفت بوفاة دوداييف". وذكرت "بأن هذه الوثائق تتعلق بأسماء شخصيات قيادية في روسيا كانت تخطط لاغتيال يلتسين في زيارة مخططة له لغروزني". وقالت "إن دوداييف كان يسعى لتحقيق تسوية سلمية مع يلتسين يضع حداً للنزاع الدامي .. إلا أن دوائر الفساد في موسكو التي تستفيد من الحرب تقف ضد أية مساعي للتسوية". وقالت "إن يلتسين يميل للتوصل إلى تسوية إلا أن حاشيته الفاسدة تتحمل مسؤولية استمرار القتال" . وقالت "إن يلتسين يشكل ضمانة للتحولات الديموقراطية في روسيا ، ولذلك فأنها ستصوت له".

وجاء في المصدر السابق The War In Chechnya ما يمكن تصنيفه كقصة من قصص الخيال (Fiction Story) عن مؤامرات ومكائد دوائر المخابرات الدولية ومضمونها بان المخابرات الروسية كانت تخشى أن تتسبب التوجهات الاستقلالية في شيشانيا في نزاع مسلح قد يمتد إلى أنحاء أخرى في شمال القوقاز . فشكلت لجنة خاصة لمتابعة الأحداث وتحليلها وتقييمها، والطرق المناسبة للتعامل معها.

توصلت اللجنة إلى أن التوجهات الاستقلالية في شيشانيا قد تجذرت، ويتعذر قمعها بالقوة. وان الحكومة الشيوعية في الجمهورية تعتبر رمزاً لدوام الاستعمار الروسي. ولذلك قررت أن تحل محلها حكومة تشبع في الظاهر تطلعات الشعب الشيشاني للاستقلال، ولكنها لا تتصرف بما يتعارض مع مصالح روسيا.

وحيث أن المؤتمر القومي للشعب الشيشاني كان يقود التوجهات والحركة الاستقلالية، فقد رأت المخابرات الروسية أن تأخذ زمامها، بدس عملاء لها في لجانه المختلفة، وأن تعهد قيادته إلى شخص تثق به وتعتمد عليه، وقد وقع الخيار على دودايف ... أول شيشاني سمح النظام الشيوعي له أن يصل إلى رتبة جنرال في القوات المسلحة. فهو على هذا الأساس يعطي وزناً ظاهرياً، إلا أنه لغيابه عن شيشانيا فترة طويلة ، ولأنه من عشيرة صغيرة ، لم يكن له خصوم ويعتبراً محايداً بين الفئات الشيشانية المتنافسة.

تقاعد دودايف من الخدمة العسكرية وعاد إلى شيشانيا ليتولى رئاسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر. وبمساندة موسكو سقطت حكومة زفجاييف، وتولى المؤتمر السلطة، وانتخب دودايف رئيساً للجهورية. وكما هي العادة في القصص الخيالية عن مؤامرات المخابرات الدولية، كان لدودايف بديل يشبهه تماماً ويحل محله في بعض المناسبات لدواع أمنية.

بعد وصوله للسلطة، أخل دودايف بتعهداته للسلطات الروسية، وقاد الاتجاهات التي كانت تعمل على استقلال الجمهورية الشيشانية وانفصالها عن الفدرالية الروسية. فأدت إلى توتر شديد في العلاقات الروسية / الشيشانية. وكانت في روسيا مراكز قوى (حزب الحرب) فاسدة يهمها أن يستمر ويتصاعد هذا التوتر ولو أدى إلى حرب. ففي مثل هذه الظروف تستطيع أن تقوم بأعمال النهب والسرقة والتهريب وتنمية ثرواتها. وفي حاشية دودايف أيضاً كانت مجموعات فاسدة لها مصلحة في استمرار النزاع.

وتستطرد القصة الخيالية ... بأن دودايف أصيب بحالة يرقان شديدة تستدعي انعزاله وتجميد نشاطاته لمدة شهرين. وحتى لا يتسبب غيابه في بلبلة في شيشانيا تقرر أن يتولى البديل السلطة مؤقتاً، ونقل دودايف للمعالجة في روسيا. وعندما شفي دودايف، كان بديله قد طابت له مظاهر السلطة ولم يعد راغباً في التخلي عنها والعودة إلى الظل . وكذلك دوائر الفساد في موسكو وغروزني كانت قد وجدت في

البديل العوبة يسهل السيطرة عليه والاستمرار في عمليات السرقة والنهب والتهريب. وحتى دودايف نفسه لم يعد متحمساً للعودة إلى حياة المسئوليات والمخاطر.

وهكذا استمر البديل في تمثيل دوره حتى مات في عملية التفجير .

فتحت بيوت العزاء التقليدية لتقبل العزاء والدعاء للشهيد في جميع قرى جمهورية الشيشان، وكذلك في أماكن تواجد الشيشان في مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتي السابق. واصدر الرئيس الجديد يندربايف مرسوماً بإطلاق اسم مدينة جوهر على غروزني .

ونصبت جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان / انجوش واللجنة الأردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان في صويلح صيواناً كبيراً توافدت إليه للعزاء حشود كبيرة من الأردنيين من مختلف المنابت والأصول والعقيدة، يتقدمهم مندوب نائب جلالة الملك سمو الأمير الحسن رعاه الله وأدام له الصحة . فكان مظهراً لتفاعل الشعب الأردني النبيل مع طموحات ونضال الشعب الشيشاني الباسل.

وفي البرلمان البولندي ألقيت كلمات تشيد بالمناضل الراحل، ووقف الأعضاء دقيقة لإحياء ذكراه.

وأطلق اسم دودايف على شارع رئيسي في مدينة ريجا عاصمة لاتفيا.

وفي مدينة تارتو في استونيا، حيث حُوِّل المبنى الذي كان يشغل قيادة القوات السوفيتية في جمهورية استونيا الاتحادية الاشتراكية إلى فندق سياحي (Barelay Hotel)، تتصدر قاعة الاستقبال الرئيسية صورة كبيرة لدودايف وعلقت موظفة الاستقبال " إننا نعتبره بطلاً وطنياً "

دور دودايف في الحركة الاستقلالية الشيشانية

لم يكن للشهيد دودايف دور في نشوء الحركة الاستقلالية الشيشانية. كان بخلفيته كجنرال في القوات السوفيتية ، خدماته في قواعد بعيدة عن موطنه، وكذلك زواجه من ابنة ضابط روسي رفيع، غائباً عن مثل هذه النشاطات.

إلا أن تواجده في استونيا في الفترة التي نشطت أثناءها الحركات الاستقلالية الانفصالية في دول البلطيق، واحتكاكه بناشطين في هذه الحركات، أيقظت في نفسه ما كانت في غفوة من مشاعر التطلع لحق شعبه في الاستقلال وتقرير المصير، والتخلص من نير حكم تعسفي أجنبي.

و لم يكن للشهيد أي دور في عقد الاجتماع الأول للمؤتمر الوطني الشيشاني في نوفمبر ١٩٩٠، الذي أصدر توصيات بإعلان استقلال وسيادة جمهورية الشيشان ، وصادق عليها برلمان الجمهورية بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧ ، وكانت دعوته لحضور الاجتماع كغيرة من الضيوف من داخل الاتحاد السوفيتي ومن الخارج واتيحت له كغيره من الضيوف إلقاء كلمات في المؤتمر ، ومنهم مؤلف هذا الكتاب.

وأما ما لفت الانتباه إلى الجنرال الطيار الشاب فكان مضمون كلمته (باللغة الروسية) ، حيث تطرق إلى معاناة الشيشان عبر التاريخ من الحكم الروسي التعسفي . واقترح الضابط ، الذي كان لا يزال عاملاً في القوات السوفيتية ومرشحاً لرتب أعلى:

١- على الشيشان أن يشترطوا أن تكون فترة خدمة العلم لأبنائهم في جمهوريتهم أو مناطق مجاورة .

٢- أن يرفض فتح معسكرات في شيشانيا .

٣- وصف قرار الاستقلال والسيادة الصادر عن المؤتمر ، كقذيفة انطلقت من مدفع . وفي حين يتعذر استرجاعها، فإنه ينبغي رعايتها لتصل إلى الهدف المنشود.

استخلص المنظمون للمؤتمر الوطني (وكانوا بحق خيرة المثقفين المنتمين في الشيشان) بأن لدى دودايف استعداد للإسهام في الحركة الاستقلالية . وحيث أن مثل هذه المساهمة دعم كبير للحركة ... فقد اختير رئيساً للجنة أنيطت بها مهمة التنسيق مع جمهوريات ومقاطعات شمال القوقاز بغية وضع أسس للتعاون فيما بينها ، مع تطلع للتوصل إلى نوع من اتحاد كونفدرالي فيما بينها . وفي وقت لاحق عرضت عليه رئاسة اللجنة التنفيذية الرئيسية للمؤتمر . قبل دودايف العرض ، وتقاعد من الخدمة العسكرية السوفيتية، وعاد إلى شيشانيا.

وفي الدورة الثانية للمؤتمر التي عقدت يومي ٨ و ٩ حزيران ١٩٩١ سيطر التيار الراديكالي برئاسة دودايف على الدورة ، وأصبحت مجموعة المثقفين الذي نظموا الدورة الأولى أقلية فانسحب معظمهم . ولعل هذا كان عاملاً في تطور النزاع الروسي/ الشيشاني ، وحال دون التوصل إلى حلول مماثلة لما جرى في جمهورية تتارستان تحقق معظم طموحات وتطلعات الشعب الشيشاني مع حفظ ماء وجه دولة عظمى بتأجيل إعلان الانفصال عنها.

أثبتت الأحداث ، أن دودايف لم يكن موفقاً في اختيار أعوانه ، ولا في وضع الرجل المناسب في الموقع المناسب ، بما يساعد على تحقيق درجة مقبولة من تنمية اقتصادية واجتماعية وسياسية. فقد تبين بأن عدداً ممن قربهم وأولى إليهم مراكز هامة وحساسة، كانوا انتهازيين ، هدفهم السيطرة على النشاط الاقتصادي في الجمهورية ونهب موارد النفط . ولما تنازعوا على المغانم انفصلوا عن دودايف وانضموا إلى فئات المعارضة ، بما فيها معارضة مسلحة استعانت بروسيا في محاولات للاستيلاء على السلطة. وأما المثقفون والبراغماتيون فقد انزووا في صوامعهم لا حول لهم ولا قول.

ومن قرارات دودايف التي كانت موضع تساؤل وانتقاد كانت :-

١- القرار الصادر باعتبار تاريخ ١٩٩٢/٩/٢ عيد استقلال جمهورية الشيشان، مع العلم أن قرار استقلال وسيادة الجمهورية كان قد صدر بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧ من قبل برلمان جمهورية الشيشان انجوش ذات الحكم الذاتي بناء على توصية المؤتمر

الوطني الشيشاني، وفق الإجراءات المنصوص عليها في دستور الاتحاد السوفيتي الساري في حينه.

أما مرسوم دوداييف الصادر بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢، فلم يستند إلى مؤتمر أو استفتاء شعبي مما جعله موضع طعن باعتباره انفصالاً من جانب واحد بدون سند دستوري . (مثل المرسوم الذي أصدره يلتسين بانفصال الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية عن الاتحاد السوفيتي السابق بدون استفتاء أو قرارات مؤتمرات وطنية ومصادقة برلمانية). ولعل دوداييف ويلتسين كانا يتبنيان شعار " التاريخ يبدأ بنا".

٢- تغيير اسم جمهورية الشيشان إلى اسم جمهورية اتشكيريا الشيشانية. أن اسم اتشكيريا كان يطلق على منطقة محدودة في الجمهورية، وهي المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية الجبلية الكثيفة الغابات والتي كانت معقل مقاومة الشيشان للاحتلال الروسي للقوقاز.

المعارضون لتغيير التسمية رأوا بأن هذا التغيير يتيح لروسيا فصل منطقة اتشكيريا عن باقي الجمهورية ، والاعتراف بها كجمهورية مستقلة بما يلبي تطلعات الشعب الشيشاني إلى استقلال جمهورية اتشكيريا الشيشانية ، وضم باقي أنحاء الجمهورية إلى الفدرالية الروسية على اعتبار أنها غير مشمولة ضمن اتشكيريا.

وأما المدافعون عن تغيير التسمية فكانت حجتهم بأن القصد من التغيير هو أن يكون اسم جمهورية الشيشان الرسمي (جمهورية اتشكيريا الشيشانية) مختلفاً عن اسم (جمهورية الشيشان) الذي ورد في دستور الفدرالية الروسية كجزء من الفدرالية. ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن الجانب الشيشاني اصر في جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت مع الفدرالية الروسية استعمال اسم (جمهورية اتشكيريا الشيشانية).

٣- انتقد المعارضون عدم ترسيم الحدود رسمياً بين الجمهورية الشيشانية وجمهورية انجوشيا التي انفصلت عن الجمهورية الشيشانية وانضمت إلى الفدرالية الروسية. وبُني انتقادهم على أساس أن عدم ترسيم الحدود رسمياً يتيح للقوات الروسية عبور الحدود بدعوى انه لا توجد حدود مرسومة محددة بين الجمهورية الشيشانية والفدرالية الروسية . وأما حجة المدافعين عن عدم ترسيم الحدود فكانت أن انفصال انجوشيا عن شيشانيا

حركة تكتيكية مؤقتة تتيح للانجوش استعادة لواء بريغورودني المتنازع عليها مع اوسيتيا الشمالية. وعندما يتم ذلك تعود انجوشيا للانضمام مع شيشانيا .

٤- وجه انتقاد شديد لتعامل دوداييف مع غامسخورديا رئيس جمهورية جورجيا السابق الذي كان قد عزل من منصبه في عملية انقلاب وصحبة الملتجئين إلى الجمهورية الشيشانية كحكومة في المنفى. إذ كان دوداييف يرى في غامسخورديا رفيق نضال ضد النفوذ الروسي. وأما السلطات الجورجية فاعتبرت ذلك تدخلاً في الشوون الداخلية الجورجية، فقامت بقطع العلاقات وإغلاق الحدود مع شيشانيا. وكانت هذه الحدود المنفذ الوحيد للجمهورية الشيشانية للخارج بدون العبور من أراضي الفدرالية الروسية .وكان غامسخورديا صاحب توجهات دكتاتورية وقومياً جورجياً متطرفاً، باشر بإجراءات القمع لتطلعات ابخازيا واوسيتيا الجنوبية للانفصال عن الجمهورية الجورجية ، والالتحاق بالفدرالية الروسية.

جاء في كتاب (الصعود إلى الجبال الشيشانية) ، تأليف الصحفي أحمد الخميسي .

[(في مجلة نوفى فريميا) تستشهد الصحفية جالينا كوفالسكايا (مارس ٩٥) بعد عودتها من رحلة إلى جروزني بحوار دار بينها وبين بعض المواطنين. يقول لها راعي غنم بسيط: "أنتم الصحفيون تسألون الجميع. اسأليني أنا عن رأيي تسمعين وجهة نظر راعي غنم بسيط. أقول لك إذا استمر دوداييف في الحكم استمر وجود الشيشان ، وإذا ذهب ذهبت الشيشان". وقاطعه مواطن آخر قائلاً: "ماذا فعل لك دودايف هذا؟ هل قام بشيء حقيقي لتصبح الشيشان قوية؟ أبداً. إلى أين قادنا ؟ أغلقت المدارس، ولا توجد أدوية في البلد ، والمرتبات لا تدفع، المعاشات لا تدفع ، هذا هو ما فعله دودايف". ويرد عليه الراعي : " أو تظن انهم يدفعون مرتبات أحد في روسيا ؟ الناس هنالك يشحذون في الشوارع الروسية، وأيضا لا توجد لهم أدوية . سافر أخي إلى ستافروبول للعلاج منذ شهر ، ورأى نفس الأحوال فيها. لكن دودايف منحنا على الأقل الاستقلال". ويرد الرجل الآخر : "وما قيمة هذا الاستقلال؟ ما قيمته إذا كانت

الطائرات راكدة مكانها لا تطير ، والقطارات متوقفة محلها، ولا يستطيع أحد جلب أية سلعة أو بضائع بهدوء؟." يرد الراعي : "تسأل لماذا الاستقلال ؟لكي نكون أسياد أنفسنا ، لكي لا يستطيع أحد مرة أخرى أن يحشرنا كالغنم في عربات القطارات ويقوم بترحيلنا كما فعلوا معنا عام ١٩٤٤"].

في نظر شعب الجمهورية الشيشانية كان دودايف الرئيس الشرعي المنتخب ، له مؤيدون، وله معارضون، أو مؤيدون لبعض سياساته ومعارضون للبعض الآخر.

لم ينظر إلى نفسه ... ولم تتملق له الجماهير بأنه هبه من السماء ، ملهم معصوم من الخطأ ، فيصيبه الغرور ويتحول إلى طاغية. كان واعياً بان الدستور الذي صدر في عهده لا يسمح له بأن يترشح لمنصب رئيس الجمهورية اكثر من دورتين متتاليتين ، فترة الدورة الواحدة أربع سنوات .

لم تكن الجماهير تهتف له (بالروح... بالدم... نفديك) ، فالفدا بالروح وبالدم ينبغي للوطن وليس للأشخاص ولو كانوا القادة ، بل ينبغي أن يكون القادة في مقدمة المستعدين لفداء الوطن كما فعل الشهيد دوداييف رحمه الله.

وبغض النظر عن الولاء أو المعارضة لدوداييف، أو التأييد أو الانتقاد لتصرفاته، فقد ظل إلى آخر يوم في حياته، وكذلك بعد مماته، رمزاً شامخاً لإرادة الشعب الشيشاني في الحرية والاستقلال وحق تقرير المصير . كان عند قوله " حلمي أن أقاتل دفاعاً عن استقلال الشعب الشيشاني. هذا هو هدفي في الحياة ولن أحيد عنه تحت أية ضغوط " .

رحم الله الشهيد واسكنه فسيح جناته

الفصل الرابع عشر
الاستعداد للدفاع عن الاستقلال

حتى وقبل وصولها إلى السلطة، كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر القومي للشعب الشيشاني قد شكلت في أيلول و آب ١٩٩١ وحدات حرس وطني ، قامت باحتلال مرافق تابعة لحكومة زفجاييف والجمهورية الروسية الاتحادية السوفيتية والاتحاد السوفيتي ، كما ساهمت في اسقاط حكومة زفجاييف.

وعندما وصل المؤتمر إلى السلطة ، وانتخب دوداييف رئيساً للجمهورية، عمل النظام الجديد على تشكيل جيش نظامي يكون دعامة القوات الدفاعية والأمنية الشيشانية . وضم هذا الجيش وحدات (على مستوى فرقة ولواء وكتيبة وسرية وحظيرة) مشاة، ودبابات، ومدفعية، وسلاح جوي، ودفاع جوي، وخيالة، وحرس حدود، وقوة أمن سيارة، ووحدات استخبارات وتموين واتصالات وغيرها . ونظمت قيادة الجيش النظامي من خلال هيئة أركان عليا.

كما تم تطوير الحرس الوطني وقوات وزارة الداخلية وأجهزة الدفاع المدني التي عهد إدارتها إلى لجنة الدفاع العليا في الجمهورية.

قدر مجموع أفراد الجيش النظامي حوالي ١٢٠٠٠ عنصر ، في حين أن روسيا قدرت بأن في وسع السلطة الشيشانية حشد حوالي ٣٠٠٠٠٠ مقاتل (أي حوالي مجموع الذكور في الجمهورية التي تتراوح أعمارهم بين ١٤- ٦٥ عاماً ، وهذه مبالغة كبيرة- المؤلف).

وبالإضافة إلى التشكيلات العسكرية والأمنية . والدفاعية الآنفة الذكر ، تشكلت فرق الدفاع الذاتي التطوعية في الأولوية والمدن والقرى ، تقوم بتنظيم الدفاع والمحافظة على الأمن في مناطقها، وتنضم إلى قوات الجيش النظامي عند إعلان التعبئة العامة والطوارئ في الجمهورية.

ووجه دوداييف نداء للمحاربين القدامى الذين خدموا في القوات السوفيتية الالتحاق بالقوات النظامية أو التسجيل لديها للالتحاق عند إعلان التعبئة العامة أو الطوارئ. فتوفرت في الجمهورية كوادر مؤهلة كافية من عسكريين محترفين، ما عدا اختصاصات السلاح الجوي الذي عانى من نقص في كوادر صيانة وإدامة صلاحية الطائرات، وكان عدد الطيارين المؤهلين أقل من الطائرات المتوفرة . فأنشئت مدرسة لتدريب طيارين كما أرسل ٤٠ طياراً للتدرب في تركيا.

وأدخلت في مدارس الجمهورية مساقات دروس حربية ودفاع مدني . وبداية من عام ١٩٩٢ أجريت مناورات عسكرية مختلفة لاختبار استعداد الوحدات القتالية وهيئات الأركان النظامية العاملة، وكذلك الاحتياط، وقوات الأمن ، وفرق الدفاع المدني، وفرق الدفاع الذاتي التطوعي. وقسمت الجمهورية إلى أربع قطاعات دفاعية الوسط (وتشمل غروزني)، والغربي والشرقي والجنوبي . وأما القطاع الشمالي فكان تحت سيطرة المعارضة.

وكان الحرس الوطني يضم حوالي ٦٢٠٠ عنصراً ، وتشكيلاته مماثلة لتشكيلات الجيش النظامي، وكان عادة يشترك في المناورات العسكرية.

وكان هناك لواء ابخازيا (لواء الذئاب) بقيادة شامل بسباييف ، الذي كان قد تشكل بقرار من حركة كونفدرالية شمال القوقاز . وعندما توقفت الاشتباكات في ابخازيا عاد اللواء إلى شيشانيا وأعلن الولاء لنظام دوداييف والحق بوزارة الداخلية وأنيطت به تنفيذ مهمات خاصة.

وألحقت بوزارة الداخلية أيضاً وحدات حماية الشخصيات الرسمية المهمة، وكانت تضم أقساماً للاستخبارات الوطنية والخارجية ومكافحة التجسس.

تسليح القوات الشيشانية

كان تسليح القوات الشيشانية وفرق الدفاع المدني من مصادر روسية بشكل رئيسي ومنها:-

١- قواعد ومدارس تدريب ومراكز اتصالات وطائرات وآليات ومعدات عسكرية وأسلحة وذخيرة وملابس ومواد تموينية آلت للجانب الشيشاني عند انسحاب القوات الروسية من شيشانيا.

٢- معدات وأسلحة وذخائر كانت السلطة الشيشانية تستوردها مباشرة من مصانع روسية وباقي جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. وأشارت صحف روسية بأن بعض الضباط الروس المقتدرين مالياً كانوا يشترون من سوق السلاح في غروزني، كمقتنيات شخصية ، أصنافاً من احدث أنواع البنادق والمسدسات التي لم تكن قد صرفت بعد حتى للوحدات الخاصة في القوات الروسية.

٣- معدات وأسلحة تشتري بمبالغ زهيدة من الضباط والجنود الروس المتواجدين في شيشانيا.

٤- نسبة متفق عليها من صفقات المعدات والأسلحة والذخائر التي كانت أوساط في القيادة الروسية تصدرها لبعض البلدان من خلال السلطات الشيشانية.

وكانت السلطات الشيشانية قبل وضع يدها على مخلفات القوات الروسية التي انسحبت من شيشانيا ، قد اشترت معدات وأسلحة من جورجيا (في عهد غامسخورديا) ودول البلطيق وأوكرانيا.

وبعد أن اصبح وضع القوات الروسية في شيشانيا متردياً وفقدت حرية الحركة خارج معسكراتها، وأصبحت هذه المعسكرات بدورها معرضة لإطلاق النار وتهديدات من قبل مجموعات شيشانية، قررت السلطات الروسية سحب قواتها من الجمهورية الشيشانية.

وكان القائد العام للقوات الروسية مارشال الجو شابوشنيكوف قد اصدر توجيهات لقيادة منطقة شمال القوقاز العسكرية لجمع المعدات العسكرية وحفظها في مستودعات أمينة، وفوض قائد المنطقة الجنرال ستروخوف بالتفاوض مع دوداييف

لانسحاب القوات الروسية ومعداتها. إلا أن روسيا نقلت حوالي ٢٠٪ فقط من هذه المعدات. ووجه اللوم والاتهام إلى وزير الدفاع غراتشيف حول هذا التقصير . لأنه كان قد اصدر بتاريخ ١٩٩٣/٣/٢٨ الأمر رقم 316/1/03085 يطلب نقل ٥٠٪ من المعدات والأسلحة الموجودة في شيشانيا مما يوحي بأنه كان قد عقد صفقة مع دوداييف لاقتسامها مناصفة.

ومما أعاق نقل هذه المعدات إن الشيشان قاموا باحتجاز طائرات الشحن الروسية التي كانت قد بدأت بشحنها . ووجهت اتهامات بأن ذلك جرى بتنسيق مع ضباط القوات الروسية الذين قاموا ببيع كميات منها لمصلحتهم الشخصية.

وقدرت موجودات معدات القوات الروسية في شيشانيا التي آلت إلى الشيشان عند جلائها كما وردت في كتاب (The War in Chechnya)

٤٢ دبابة طراز T-62 ، T-72 .

٣٦ ناقلة جنود طراز BMP-1 و BMP-2 .

٣٠ مدرعة طراز BTR-70 و BRDM-2 .

١٥٣ مدفع من بينها ١٨ راجمة صواريخ غراد طراز BM-21 و ٣٠ مدفع هاوزر عيار ١٢٢ ملم طراز D-30 .

٥٣٠ صاروخ ضد الدبابات من بينها (٢) طراز Konkurs، و (٢٤) طراز Fagot .

٤١٥٣٨ بندقية ومسدس من أصناف مختلفة.

٧٤٠ قذيفة ضد الدبابات.

١٠٠٠ صاروخ غراد عيار ٨٢ ملم .

٢٤٠٠٠ قذيفة مدافع هاوتزر .

١٤٠٠٠٠٠ طلقة بندقية.

٢٠٠٠٠٠ قنبلة يدوية .

١٣١ طائرة تدريب تشيكية الصنع صنف L-39 مزودة بقواعد إطلاق صواريخ جو / أرض.

١٤٩ طائرة تدريب تشيكية الصنع صنف L-29 مزودة بقواعد إطلاق صواريخ جو / أرض .

٣ طائرات ميج ١٧ .

٢ طائرات ميج ١٥

٦ طائرات شحن.

وعدد من المروحيات العسكرية ومعدات وذخائر أخرى وموجودات مستودعات تموين متنوعة.

واتهمت وزارة الداخلية الروسية بأن مجموعات شيشانية قامت منذ بداية عام ١٩٩٢ وحتى آب ١٩٩٤ بسلب ٩٠٠ قطار شحن مار عبر الجمهورية ونهبت محتويات ٦٤٩٨ عربة قطار . وادعت بأن هذه الأعمال كانت بمعرفة دوداييف الذي كان قد سحب مهمة حماية القطارات داخل الحدود الشيشانية من قوات وزارة الداخلية الروسية وأناطها بوحدات شيشانية مقربة منه بقيادة شامل بيساييف. غير أنه وجهت اتهامات إلى أوساط روسية أيضاً ، على أن هذه الأعمال كانت لتغطية صفقات غير قانونية متفق عليها مسبقاً . فمحتويات الشحنات ومصدرها ووجهتها كانت معروفة فقط لقلة من المسؤولين الروس. وقد وجه ٦٠٠ اتهام جنائي ضد مجهول، إلا أنها بقيت مسجلة على الورق ولم يأبه أحد بمتابعتها وأجراء التحقيق حولها.

وقدر الخبراء بأن الأسلحة والذخيرة المتوفرة عند الشيشان عند بدء الحرب كانت كافية لاشتباكات قوية لعدة أسابيع .

غير أن الركن الأساسي للدفاعات الشيشانية كان العنصر البشري.

الشعب الشيشاني بتراثه وتقاليده وتاريخه وولائه.

وصف العالم الانتروبولوجي الروسي Sergi Arutiunov المجتمع الشيشاني "بأنه مجتمع ديموقراطية عسكرية. فهم بعكس بقية شعوب القوقاز لم يكن عندهم ملوك أو أمراء أو بارونات أو نظام إقطاعي. في أيام السلم كانت تقاليدهم القومية تنظم

أمورهم من خلال مجلس شيوخ (كبار السن) منتخبين . ولكنهم مثل مجتمعات ديموقراطية عسكرية اخرى في العالم كانوا يعتمدون مؤسسة قيادة حربية. لم تكن للمؤسسة وقائدها أية سلطة أيام السلم ، إلا أنه في حالات الحرب أو تعرض لاعتداء خارجي، كانت القبائل تتحد تحت قيادة قائد حربي يُختار لمؤهلاته في القيادة العسكرية. ويحظى القائد بالطاعة طالما بقي القتال مستمراً . فالشيشان نشأوا وتدربوا عبر القرون على الانتماء للعشيرة والتضامن معها. وفي القرنين الأخيرين أضيفت إلى ذلك قيم الديانة الإسلامية في الانتماء والتضحية".

وبتفهم لهذه الخلفية انتقد الضابط المتقاعد ورئيس اللجنة العسكرية. في مجلس الدوما الروسي سيرجي يوشنكوف وقال "الأغبياء يزعمون بأن العملية العسكرية موجهة ضد عصابات متمردة ... ولكنهم في الواقع ورطونا مع شعب له تراث وتقاليد عريقة".

وجاء في كتاب (Crying Wolf) (بأن الحكومة الروسية استخفت بقدرة الشيشان على المقاومة، لأنها كانت تعتقد بأن نظام دوداييف على وشك الانهيار، وصورت قوات ذلك النظام كمجرمين يكرههم الشعب . وغاب عن وعي الحكومة الروسية قوة المجتمع الشيشاني، وعراقة تقاليده، وإرادة قوية صقلتها تجارب قرنين من الكفاح، اكسب الشعب طاقة هائلة للمقاومة ، وجعلته واحداً من أقوى الشعوب من الناحية العسكرية في العصر الحاضر).

وقالت مؤلفة الكتاب التي عملت مراسلة حربية في شيشانيا طيلة أيام الحرب ، بأنها في إحدى الأيام شاهدت مجموعة متطوعين مشكلة من أصدقاء وجيران كانت متجهة للقتال في إحدى القطاعات. ومع أن المجموعة كانت قليلة التدريب، واتصالاتها مع القيادة العليا مقطوعة، وعددها صغير مقارنة بوحدات قوات العدو التي تتوجه للاشتباك معها، إلا أن معنوياتها كانت عالية ومستعدة للقتال حتى النهاية . فمعنويات أفرادها العالية ارتكزت على:

١- وحدة وثقة واعتماد على بعضهم فيما بينهم .

٢- قناعة بامتيازهم على الخصم (شيشاني واحد مكافئ لعشر دبابات أو مائة جندي روسي)

٣- قناعتهم بعدالة قضيتهم.

وجاء في الكتاب أعلاه ، بأن الشيشان استطاعوا أن يجمعوا أفضل ميزات جيش بدائي وجيش عصري بدون مزايدات بالتفاخر بأنفسهم أو ذم خصمهم . كان جيشاً بدائياً لأن معظم تشكيلاته كانت آنية وليدة ساعتها وليست وحدات عسكرية نظامية . كانت تفتقر إلى الكثير من متطلبات الوحدات العسكرية النظامية من تدريب، والتدرج المحدد لقيادتها، والأسلحة الضرورية في الحروب الحديثة مثل السلاح الجوي والسلاح المدرع والمدفعية الثقيلة ووسائل الاتصال وجمع المعلومات الإلكترونية.

ولكنه كان جيشاً عصرياً ... إذا أنه بعكس ما تصوره المحللون العسكريون، (بسبب التفوق الروسي الكبير في إعداد المقاتلين، وكميات وأصناف المعدات الثقيلة)، بأن مقاومة الشيشان ستنحصر في عمليات (كمائن ... اضرب وانسحب) . إلا أن الشيشان اثبتوا قدرتهم على مواجهات عسكرية بمستوى فرق متكاملة، وانتصروا فيها ليس فقط بسبب معنويات عالية وشجاعة نادرة ، بل بتخطيط متميز من قبل هيئة أركان مؤهلة ، مكنتهم من الصمود أمام قصف شديد مكثف ، والقيام باشتباكات عسكرية على مستوى فرق وألوية. واستطاعوا على تنظيم تواجد وإدامة أعداد كافية من المقاتلين في ميادين القتال مع تموين وتزويد مناسب ومناوبات للاستراحة.

ولعل هذا النجاح يعود إلى أن عدداً كبيراً منهم كانت لهم خبرة عسكرية في القوات السوفيتية ويتقنون تكتيك التحركات العسكرية. فمسخادوف الذي كان عند استقالته من القوات السوفيتية قائداً للواء مدفعي كان يعتبر الأفضل في القوات السوفيتية . وأثبتت بأنه قائد ناضج ، ومخطط استراتيجي مؤهل .

وهناك تعليقات كثيرة لمراسلين دوليين ، تواجدوا في شيشانيا وبقوا فيها خلال فترة القتال، وألفوا كتباً عن مشاهداتهم، تشير إلى معنويات المقاتلين الشيشان الذين كانوا يرددون :

- الدبابة كفن متحرك للجنود داخلها.
- أنني لا أقاتل من أجل دودابييف بل من أجل وطني.
- أنني سأطيع دودابييف مادام القتال مستمراً ، وبعدها سأحاسبه في صناديق الاقتراع.
- أنني مطمئن بأن زملائي لن يتخلوا عني حياً أو ميتاً.

هكذا كان الوضع في الجانب الشيشاني بالرغم من قلة الإمكانيات والمحاصرة. وكان التجاوب الروسي، بالرغم من إمكانياتها ومواردها الكبيرة، دفاعياً غير منظم ، ونقص في قيادات مؤهلة، وعدم ثقة الضباط بالمجندين ، وكره المجندين للضباط الفاسدين. كان الضباط الروس يترددون في الهجوم على المراكز الشيشانية ، ولهذا لجأوا إلى قصف شديد مكثف أوقعت خسائر كبيرة بين المدنيين مما أدى إلى نمو إرادة الصمود ومقاومة العدوان عند الشيشان ، حتى بين الفئات التي كانت قبل بدء الغزو الروسي تعتبر معارضة لدودابييف. الروس لم يستخدموا قوات مشاة مدربة لاقتحام المراكز الشيشانية، في حين أن وحدات مشاة شيشانية صغيرة ولكنها مدربة تمكنت من تدمير أعداد كبيرة من الدبابات والمدرعات الروسية، كما تمكنت من تجميد تحركات الوحدات الروسية في معسكراتها وثكناتها ونقاط السيطرة العسكرية.

كان هناك غياب للتنسيق بين الوزارات والمؤسسات العسكرية الروسية، وأوضاع الجنود في الميدان تعيسة بحيث أن المجندين كانوا ينامون في عرباتهم لعدم وجود خيام تأويهم. وكان هناك نقص في الخرائط وصور المواقع والأهداف. وكانت أعداد كثيرة من الدبابات تبقى متعطلة بسبب نقص في كوادر صيانتها ، وسائقي الدبابات لم يكونوا ماهرين. كانت عمليات القصف المدفعي تجري من قبل جنود مخدرين بالكحول. وفي غياب تعليمات وأوامر واضحة كانوا يلجأون إلى قصف عشوائي كانت في بعض الأحيان تطال ضد وحدات روسية مجاورة.

وكمثال على الوضع التعيس الذي كان المجندون الروس في سن المراهقة يعانون منه حدثني رمضان ابن صديقي الشهيد سلمان.

كان محمد (جد رمضان) فقيهاً يتقن اللغة العربية ويعتز بكل ما هو عربي. وعندما اندلعت حرب ١٩٦٧ كان من أوائل عدة آلاف من شيشان الجمهورية سجلوا للتطوع وطلبوا السماح لهم بالذهاب إلى فلسطين للدفاع عن القدس الشريف. أخذ سلمان عن والده حب العرب، وتعلم اللغة العربية، وتفقه في الأمور الدينية. يؤم الصلوات، وكان مطلوباً لمراسيم عقد الزواج الشرعي. وكان محمد وأبناؤه الثلاثة (سلطان وسلمان وعبسي) يسعون للتعرف على زوار الجمهورية من شيشان الأردن . هكذا تعارفنا وتوطدت علاقات الصداقة بيننا.

كان منزل العائلة في غروزني على الضفة الشرقية من نهر سونجا، غير بعيد من القصر الرئاسي . وعندما اشتد القصف الروسي لغروزني في شباط ١٩٩٥ جلت العائلة إلى بلدتهم (تشيتشن يورت) ، بينما بقي الإخوان سلمان وعيسى في غروزني للمحافظة على ممتلكاتهم.

أصابت قذيفة منزل العائلة واستشهد سلمان، فقام عيسى بحفظ جثمانه في كتلة من الثلج ، حتى تمكن بعد أسبوعين من نقله إلى تشيتشن يورت ودفنه هناك.

وذكر رمضان (ابن الشهيد سلمان) بأنه ووالدته مرا ذات يوم في سيارتهم على إحدى نقاط السيطرة العسكرية الروسية حيث كان المجند المناوب صبياً في سن المراهقة. سألهم المجند فيما إذا كانا سيعودان للمرور من النقطة خلال فترة مناوبته .. ولما كان الرد بالإيجاب طلب مستجدياً أن يجلبوا له بعض الطعام والدخان.

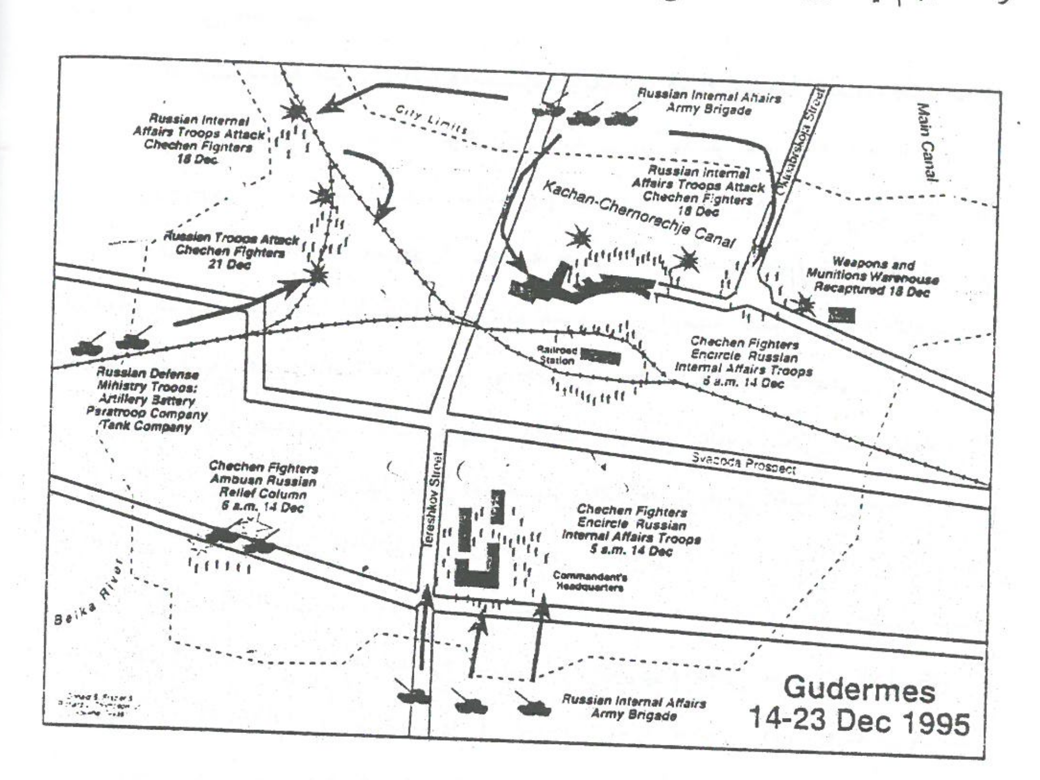
ويذكر رمضان بأنه كان ينوي أن يجلب له بعض الطعام ولكن ليس الدخان . إلا أن والدته التي كانت عيونها تدمع شفقة على هذا المجند الصبي أعدت سلة حوت أنواعاً من الأطعمة وعلبتي دخان.

وفي حالة أخرى يذكر رمضان بأنهم سمعوا ذات مساء أصواتاً في حقل الذرة أمام منزلهم في البلدة، حسبوها صادرة عن خنزير بري وهموا بإطلاق النار عندما اكتشفوا بأنه كان مجنداً روسياً صبياً يأكل عرانيس الذرة النيئة . أخذ الجندي يتوسل بأن يسمحوا له بإكمال وجبته ، فهو هارب من وحدته العسكرية وظل مختبئاً في الغابة

المجاورة لمدة يومين بلا طعام. أخذوه إلى الداخل وأطعموه وقدموا له ملابس (حيث أن ملابسه العسكرية كانت في حالة بائسة من الاهتراء والقذارة ، قامت والدته بحرقها).

وبعد الاستراحة عرضوا عليه أن يعيدوه إلى موقع وحدته ، إلا أنه أفاد بأنه يفضل الانتحار على العودة إلى وحدته . وعندها طلبوا منه أن يكتب رسالة إلى ذويه يخبرهم بمكان تواجده ... ولما كانت السلطات العسكرية الروسية تراقب المراسلات الصادرة والواردة من شيشانيا، ذهب رمضان إلى جمهورية داغستان المجاورة حيث أودع الرسالة في البريد . وبعد بضعة أيام قدمت والدة المجند من روسيا واستطاعوا تهريبه ليعود إلى عائلته ومع والدته.

أورد هذا المثلين على إهمال القيادات الروسية الفاسدة لوضع جنود اغرار زجت بهم في حروب قذرة تتيح لها السلب والنهب وابتزاز الرشوات.



عملية اقتحام غودرمس (المصدر كتاب The War in Chechnya).

الفصل الخامس عشر
فساد ... فساد .... فساد ... وراء الحرب القذرة

قدمت في الفصل العاشر من كتابي (الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ – ١٩٩٠) عرضاً مبسطاً للحرب الروسية / الشيشانية ١٩٩٤ – ١٩٩٦، وتطرقت للأهداف الحقيقية وراء الغزو الروسي للجمهورية الشيشانية، والأسباب التي أعلنتها روسيا مبررة للغزو، وكيف تولدت عند الشيشان إرادة التصدي للغزو الروسي.

فالنسبة للأهداف الحقيقية للغزو كنت قد أدرجت:-

١- عقلية التمسك بالاستعمار ونهب موارد المستعمرات والتسلط بحكم شعوبها. فسلطات الفدرالية الروسية، بالرغم من ادعاءات الانفتاح والتوجه الديموقراطي واحترام حقوق الإنسان، ما هي إلا استمرارية للسلطات القيصرية والشيوعية باسم جديد ، ولكن بنفس العقلية والأهداف.

٢- الموقع الجغرافي لشيشانيا، ومرور الطرق والسكك الحديدية وخطوط نقل البترول والغاز والطاقة الكهربائية الرئيسية عبرها، وتواجد مرافق استخراج وتصفية النفط فيها . إن روسيا المتمسكة بالسيطرة على القوقاز شماله وجنوبه بأي ثمن، بهدف ضمان ارتباط أقطارها بموسكو ، عملت على ضعضعة الأوضاع وعدم الاستقرار الأمني والسياسي فيها، ولجأت إلى اختلاق أزمات منها :-

أ- أزمة ناغورنو – كاراباخ بين أذربيجان وأرمينيا.

ب- أزمة أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في جورجيا.

ج- انفصال أنجوشيا عن شيشانيا.

د- أزمة لواء بريغورودني بين أنجوشيا وأوسيتيا الشمالية.

هـ- إثارة خصومات عرقية بين القبرطاي والبلقر في جمهورية القبرطاي – بلقر.

د- إثارة خصومات عرقية بين الكاراتشاي والشركس في جمهورية الكاراتشاي – شركس.

٣- إصرار روسيا على المشاركة مع والسيطرة على الشركات التركية والغربية في استغلال مصادر النفط في منطقة بحر قزوين، والعمل على مرور خطوط تصديرها عبر روسيا (مروراً بشيشانيا) بدلاً من مرورها عبر أذربيجان وجورجيا وأرمينيا إلى تركيا. وكانت مؤامرة أبعاد الرئيس الأذري السابق التشيبي وإعادة حيدر علييف السكرتير الأول السابق للحزب الشيوعي في أذربيجان للحكم ضمن هذا المخطط.

٤- الخوف من أن تكون شيشانيا قدوة لغيرها من أقطار (مستعمرات) الفدرالية الروسية في الانفصال .. فبغض النظر عن نتيجة أزمة شيشانيا ، يتفق المحللون على أن الفدرالية الروسية الحالية تتصف بجميع السلبيات التي عانت منها السلطات القيصرية والشيوعية، وأن عمرها سيكون أقصر من سابقاتها، وأن انحلالها أمر محتوم.

٥- رغبة يلتسين في أن يظهر بصورة الرئيس الحازم المتمسك بوحدة روسيا قبل إجراء الانتخابات الرئاسية القادمة في روسيا.

٦- غرور القيادات العسكرية العليا في روسيا وفسادها، فخططت لحرب شيشانيا لتغطية عمليات نهب وبيع موجودات المرافق العسكرية الروسية بدعوى استهلاكها في العمليات الحربية في شيشانيا.

وأما الأسباب المعلنة للغزو وتعليقي عليها فقد ذكرت منها :

١- الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية هي جزء من الفدرالية الروسية، تمردت وأعلنت الانفصال من طرف واحد بدون اعتبار للإجراءات الدستورية المناسبة. وعليه فإن من واجب السلطات الروسية أن تحافظ على وحدة أراضي روسيا.

وهذا الادعاء مخالف للواقع، إذ أن إعلان استقلال جمهورية الشيشان كان بناء على قرارات المؤتمر الوطني الشيشاني ومصادقة برلمان الجمهورية عام ١٩٩٠ في حين أن انفصال جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية عن الاتحاد السوفيتي السابق كان بقرار فردي من الرئيس يلتسين بدون استفتاء أو مؤتمر وطني أو مصادقة من برلمان الجمهورية.

٢- الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية هي جزء من الفدرالية الروسية.

وهذا الادعاء مخالف أيضاً للواقع. فشيشانيا كانت جمهورية مستقلة ذات سيادة منذ ١٩٩٠/١١/٢٧. وعندما انحل الاتحاد السوفيتي في نهاية عام ١٩٩١ لم تكن الجمهورية الشيشانية قانونياً ولا عملياً جزءاً لا من الاتحاد السوفيتي السابق ولا من الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية السابقة . كما وأن جمهورية الشيشان رفضت الانضمام إلى الجمهورية الفدرالية الروسية التي تشكلت بوقت لاحق بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٣. وبناء على ذلك فإن الجمهورية الشيشانية لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من الجمهورية الفدرالية الروسية.

٣- الادعاء بأن القضية الشيشانية أمر داخلي تخص روسيا ولا يحق لدول خارجية التدخل فيها.

وهذا الادعاء مخالف أيضاً للواقع، حيث أن الغزو الروسي لشيشانيا يمثل بموجب المواثيق والأعراف الدولية غزواً واحتلالاً عسكرياً لدولة مستقلة ذات سيادة. ومن واجب المجتمع الدولي استنكاره والسعي لإزالة آثاره.

٤- الادعاء بأن السلطة في شيشانيا غير شرعية وانها وصلت إلى الحكم بطريقة غير دستورية.

والواقع أن السلطة في شيشانيا كانت تمثل إرادة شعب الجمهورية، وتمّ اختيارها في انتخابات حرة جرت بوجود مراقبين دوليين ، ولم يطعن أحد بإجراءاتها.

٥- الادعاء بأن السلطة في شيشانيا واقعة تحت تأثر منظمات المافيا التي تقوم بنهب موارد البلاد.

والواقع أن المافيات في الاتحاد السوفيتي السابق (بما فيها التي سميت بالمافيا الشيشانية) ولدت وكان مركز عملها ومجال نشاطها الرئيسي في روسيا ، وبالاخص في العاصمة موسكو.

٦- الادعاء بأن المقاتلين الشيشان ما هم إلا تجمعات عصابات متمردة، خارجة على القانون، وتنشر الإرهاب والفوضى في شيشانيا. ومن واجبات السلطة المركزية في موسكو تخليص سكان شيشانيا منهم.

وهنا المهزلة المضحكة ، فإذا صح القول بأن المقاتلين الشيشان ما هم إلا تجمعات عصابات، فماذا يكون مستوى أكبر جيش نظامي في العالم مسلح بأحدث الأسلحة وأكثرها تدميراً، تلحق به هذه العصابات هزيمة مهينة؟ ما هو مستوى الجندي والضابط الروسي النظامي الذي كان يبيع سلاحه وحتى مركبته لرجال العصابات مقابل بضعة دولارات (المعبود الجديد) أو حفنة من الروبلات (المنهارة) أو وجبة غذاء أو زجاجة فودكا؟ بينما كان المقاتل الشيشاني يدفع هذا البدل من ماله الخاص وقوت عياله في سبيل نيل حرية واستقلال وطنه.

وأما عن ارادة التصدي للعدوان لدى الشعب الشيشاني فقد كتبت :

تردد التساؤل عن دوافع القرار الشيشاني للتصدي للعدوان الروسي. والمحللون لإمكانيات الطرفين والظروف الدولية السائدة اعتبروا هذا القرار تهوراً وشبه انتحار جماعي بلاهدف مبرر ، وان الانضمام إلى الفدرالية الروسية الواسعة ذات الإمكانيات الكبيرة في مصلحة الشيشان.

إلا أن التجربة الشيشانية تحت حكم مختلف أنظمة السلطة الروسية، جذرت وقوت فيهم إرادة التصدي للعدوان وعزيمة الدفاع عن الحرية والاستقلال . ومن أهم هذه الدوافع:-

١- الحرية حق طبيعي للإنسان أفراداً وجماعات. والمثل الشيشاني يقول (نحن أحرار ومتساوون كالذئاب).

٢- الاستقلال وحق تقرير المصير مبدأ أقرته القوانين والمواثيق الدولية، والدفاع عنه حق لكل شعب بل واجب عليه.

٣- إن مزايا اتساع روسيا ووفرة إمكانياتها وقوة مركزها الدولي لم تعم جميع شعوب الاتحاد السوفيتي بل انحصرت على الدوائر الحاكمة (الطبقة الجديدة) والعنصر السلافي . وكان هناك تخطيطاً مركزيا يهدف إلى طمس تاريخ وحضارة وتراث الشعوب غير السلافية، فالعقلية الروسية لم تتغير منذ أن كتب الجنرال يرمولوف عام ١٩١٨ إلى القيصر الإمبراطور يقول:-

"عندما تكون القلاع جاهزة . فسأعرض على الأوغاد القاطنين بين نهري ترك وسونجا (شيشانيا الصغرى) والذين يسمون أنفسهم (مسالمين) قواعد للعيش والتزامات توضح لهم انهم رعايا لجلالتكم لا حلفاء كما كانوا يؤملون حتى الآن . فإذا أذعنوا، كما يجب أن يفعلوا، فسأخصص لهم المساحات الضرورية وفقاً لعددهم وأقسم البقية بين القوزاق والقره – نوغاي. وإذا لم يذعنوا فسوف أجبرهم على الانسحاب والانضمام إلى اللصوص الآخرين الذين لا يختلفون عنهم إلا في الاسم . وفي هذه الحالة ستكون الأرض برمتها تحت تصرفنا ".

٤- تجاربهم السابقة أيام الحكم الروسي القيصري والشيوعي، وما تعرض له إخوانهم الأنجوش الذين غرر يلتسين بهم ووعدهم بانهم إذا أنفصلوا عن شيشانيا وانضموا إلى الفدرالية الروسية سيعاد إليهم لواء بريغورودني (وهو موطن قومي تاريخي لهم)، إلا أنه بدل تحقيق هذا الوعد ارتكبت السلطات الروسية بحقهم عام ١٩٩٢ جريمة وحشية ومجزرة بشعة قتلت المئات منهم وطردت حوالي ٦٠ ألف من بيوتهم في ذلك اللواء ولا يزالون يعيشون لاجئين في أنجوشيا وشيشانيا، فوصل الشيشان إلى قناعة إلى أن المخطط الروسي هو إفناء الشعب الشيشاني والقضاء عليه كقومية متميزة، وذلك بدءاً بسياسة يرمولوف الشرسة (تدمير القرى، شنق الرهائن، ذبح النساء والأطفال) الذي كتب إلى القيصر يقول :-

"يتميز الجبليون الشيشان بروح الاستقلالية . يضربون المثل في الاستقلالية ويولدون روح التمرد وحب الحرية حتى بين أخلص رعايا إمبراطوريتكم . ولن أجد راحة بال طالما بقي شيشاني واحد حياً . إن قتل شيشاني واحد يعني إنقاذ مئة روسي من الموت ".

وعن هذه القناعة أرسل الشاعر الشيشاني حسن اسرئيلوف عام ١٩٤٠ كتاباً إلى اللجنة الإقليمية للحزب الشيوعي التي كانت تحاول أن تجتذبه إلى صفوفها إلا أنه آثر أن يقود حركة استقلال . وقال في كتابه:-

"منذ أكثر من عشرين عاماً، دأبت السلطات السوفيتية على محاربة شعبي وهي تهدف إلى تدميره مجموعة بعد أخرى. وإنني على يقين الآن بأن الهدف من هذا الحرب

هو إبادة شعبنا بالكامل. ولهذا فإنني قررت أن أقود شعبي في كفاحه للتحرر . إنني أعرف جيداً بأن شيشانيا وأنجوشيا ستواجه صعوبات قصوى في التخلص من النير الأحمر ، إلا أن إيماني عميق بأن هذا العمل هو الوحيد المتبقي والمتوقع في مثل هذه الظروف. أن الأمل في وقوف شعوب شمال القوقاز المتعطشين للحرية، وكذلك الأمم المقتنعة بها إلى جانبنا يدفعني إلى الإقدام على هذا التصرف الذي قد تعتبرونه مغامرة وتهوراً بلا معنى. إنني أومن بأنه المسلك الوحيد الممكن".

وفي هذا المجال قال الرئيس دوداييف.

" هناك سؤال واحد .... هل نريد أن نكون أحراراً أو نبيع مستقبلنا للعبودية؟. لقد حان الوقت لنختار".

٥- رغبة الشيشان في أن يفندوا وإلى الأبد مقولة (شيشانيا جزء من روسيا، والقضية الشيشانية شأن داخلي لروسيا لا يجوز للعالم الخارجي التدخل فيها)، وتطلعهم إلى أن يعترف العالم بواقع استقلال وسيادة جمهوريتهم فتتمتع بمظلة القوانين والمواثيق الدولية (بعدم جواز احتلال أراضي الدول الأخرى بالقوة العسكرية).

أنني بعد أن أتيحت لي نظرة اشمل على مجريات الحرب ونتائجها وقراءة كتب قيمة ألفها مراسلون دوليون تواجدوا في شيشانيا وعايشوا ظروف الحرب ، توصلت إلى قناعة بأن الذين سعوا إلى إشعال الحرب واستمراره لم يكن دافعهم الأهداف التي مر ذكرها أعلاه ..... ولا انتماءاً وحرصاً على مصالح استراتيجية واقتصادية للفدرالية الروسية، بل كان دافعهم (وهم في مراكز قوة في موسكو) أن يستغلوا ظروف الحرب من اجل:

١- التنافس على مراكز ومناصب رئيسية في السلطة الروسية.

٢- العمل على رفع شعبية يلتسين حتى يفوز في الانتخابات الرئاسية، وخاصة وأن ابنته المدللة ومستشارته المتنفذة تاتيانا كانت بمثابة الراعية والحامية لهذه المجموعات.

٣- إتاحة المجال لأوساط في القيادات الروسية العسكرية لبيع معدات وأسلحة وذخائر روسية لمنفعتها الخاصة بدعوى استهلاكها في حرب الشيشان.

٤- اتاحة المجال للقادة ولمختلف الرتب في القوات الروسية المتواجدة في شيشانيا، نهب وسرقة كنوز وموجودات متاحف ومرافق التراث الشيشاني، وكذلك الابتزاز وأخذ الرشوات وبيع المعدات والأسلحة والذخائر التي بحوزتهم.

٥- احياء صراع عقائدي .... حيث إن روسيا العنصرية كانت تعتبر نفسها وريثة للإمبراطورية البيزنطية التي سقطت بعد احتلال العثمانيين للقسطنطينية . وعلى هذه الفرضية تقمصت دور راعية الكنيسة الأرثوذكسية وفي خصام دائم مع الإسلام . ومع أن النظام الشيوعي الملحد كان قد تخلى عن الادعاء بدور روسيا في رعاية الكنيسة الارذوكسية، إلا أن الخصام مع العدو التقليدي تركيا استمر على شكل نزاعات ومطالبات حدودية.

وعندما انهار النظام الشيوعي، أخذت الفيدرالية الروسية تستعيد دور الراعي للكنيسة الأرثوذكسية والشعوب السلافية. والشيشان بدورهم أخذوا يعتبرون أنفسهم ورثة الحركة الصوفية الإسلامية التي قاومت الاحتلال الروسي للقوقاز لأكثر من قرنين.

٦- احياء صراع عرقي تمثل في تطلع القوزاق إلى فصل مناطق في شمال وغرب جمهورية الشيشان ، وأحياء كيان للقوزاق فيها بدعوى أن القياصرة كانوا قد منحوها لهم أثناء الحروب الروسية / القوقازية في القرنين الثامن والتاسع عشر.

وكان سيرجي شاخرى وزير القوميات منذ عام ١٩٩٢، وحتى مايس ١٩٩٤، وخليفته نيكولاي يغوروف ، اللذين عهدت إليه هاتين المهمتين في الفقرة الواقعة فيما بين مارس ١٩٩٢ وحزيران ١٩٩٥ ، قوميين قوزاقيين متطرفين، عملاً على تعطيل وإعاقة محاولات حل النزاع بدون اللجوء إلى الحرب. وسعياً مع عدد ممن كان يشغل مركز اتامان (زعيم) في القبائل القوزاقية على إعادة تشكيل وحدات عسكرية قوزاقية مرتزقة، على مثال الوحدات التي كانت تشكل الحرس القيصري، وكان يعهد إليها بحماية خطوط القتال الأمامية في الجبهة القوقازية،إلا أن النظام الشيوعي كان قد حل هذه التشكيلات التي وقعت خلال الحرب الأهلية في روسيا بجانب القوات البيضاء في السعي لإعادة النظام القيصري.

إنني اعتقد أن مقولة الأهميــة الاســتراتيجية لموقـع جمهوريـة الشيشـان بالنسبة للفدرالية الروسية قد بولغ فيها. جمهورية الشيشان أقليم داخلي صغير تحيط به الفدرالية الروسية من جميع الجهات باستثناء جزء صغير من حدودها الجنوبية مع جورجيا. وهذه الحدود عبارة عن هضبة مرتفعة لا تخترقها طرق صالحة لسير المركبات. وعلى ذلك فإن الجمهورية الشيشانية ليست في وضع يتيح لها الاتصال المباشر مع قوى أجنبية قد تعمل ضد مصالح روسيا. كما أن الجمهورية الشيشانية لا تشكل حاجزاً في وصول الفدرالية الروسية إلى المياه الدافئة أو أي بلد آخر .

وكذلك قواعـد الصواريـخ البالسـتية الاسـتراتيجية العـابرات للقـارات، والـتي كانت متواجدة في شيشانيا (مثل باموت) أيام الحرب الباردة ، كانت قد أغلقـت منـذ عدة سنوات؟

و لم تعـد الجمهوريـة الشيشـانية مصـدراً مهمـاً للنفـط والغـاز كمـا كـانت في الماضي ، فبسبب الضخ الجائر الذي اتلف آبـار النفـط في شيشـانيا، هبـط الإنتـاج مـن أكثر من ٢٠ مليون طن في السنة أيام الحرب العالمية الثانية إلى اقل من ٥ مليون طن في السنة عام ١٩٩١، أي بما لا يزيد عن ١,٥٪ من إنتاج الفدرالية الروسية من النفط.

ومصافي البترول في غروزني، التي كانت بطاقة تكرير ٢٢ مليون طن في السنة وكانت ثاني اكبر تجمع مصافي البترول في الاتحاد السوفيتي السابق، كانت قد اصبحت بسبب قدم التكنولوجيا، وعدم الصيانة المناسبة، وتدمير أقسام رئيسية فيهـا غير مجدية اقتصادية.

وخطوط أنابيب النفط والغاز، وشبكات الكهرباء، والطريق الـبري الرئيسـي، وسكة الحديد المارة فيها، فإن بوسع الفدرالية الروسية عمل تحويـلات لمساراتها لا تمر من الجمهورية الشيشانية بكلفة قليلة مقارنـة بنفقـات العمليـات الحربيـة . وقـد جـرى ذلك عملياً بالنسبة لخط أنابيب النفط. وجاء في كتاب (الصعود إلى الجبال الشيشـانية) بأن كلفة تحويلة بدأ العمل بتنفيذها لسكة الحديد بطول ٧٨ كيلومتراً ولا يمر بـأرض الجمهورية الشيشانية ، فتصبح المواصلات عليها بمأمن من أية اضطرابات شيشانية تقدر بحوالي ٦٠ مليون دولار أمريكي، أي حوالي نفقات يوم واحد من الحـرب الروسـية -

الشيشانية وهذه الكلفة المتدنية نسبياً مقارنة بنفقات الحرب تنطبق على عمل تحويـلات لطريق السيارات وخطوط النفط والغاز والكهرباء وغيرها .

وليس لموقع الجمهورية الأهمية التي تردد بالنسبة لإنتـاج ونقـل وتصديـر نفـط حوض بحر قزوين. فهناك مسارات انسب من دون المرور من شيشانيا.

وأثبتت مجريات الحرب، ومواقف حكومات جمهوريات الحكم الذاتي في شمال القوقاز، بـأن التخـوف مـن أن تصبـح شيشـانيا قـدوة لجيرانهـا في السـعي للاسـتقلال والانفصال عن روسيا غير مبرر. إذ أوجد الحكم الروسي المتعاقب ظروفاً ديموغرافية في هذه الأقاليم ، يتعذر على شعوبها (المتعددة الأصول والأعراق والعقيدة) وحدة الهـدف فيما يتعلق بالانفصال عن روسيا . فحالة الشيشان الذيـن كـانوا يشكلون الأغلبية في جمهوريتهم لم تتوفر في جمهوريات شمال القوقاز الأخرى.

وباختصـار .... فـإن حـرب ١٩٩٤- ١٩٩٦ الروسـية / الشيشـانية لم يكـن دفاعاً عن مصالح وطنية للفدرالية الروسية.

بل كانت (حرب فساد .. فساد ... فساد .. حرب قذرة لغايات قذرة... حرب ضـد السكان المدنيين في جمهورية الشيشان ، بدون تمييز لخلفيتهم العرقيـة شيشـاناً أو روسـاً أو غيرهـم).



معركة تحرير غروزني (المصدر كتاب The War in Chechnya).



جرائم الحرب ... مقابر جماعية.

الفصل السادس عشر
تصرف أطراف النزاع
وانتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني والدولي

أخذت مبادئ حقوق الإنسان ، وقواعد القانون الدولي الإنساني تحتل دوراً كبيراً في مفهوم المجتمع الدولي ، فأخذ ينادي بوجوب خضوع المسؤولين والمتورطين في انتهاكها لمساءلة قانونية جزائية، لا تعفيهم منها مرور الزمن أو بعض اوجه الحصانة . ولعل تفعيل المحكمة الجنائية الدولية الذي دخل حيز الوجود ، سيقوي هذا التوجه العالمي .

رأيت أن استعرض في هذا الفصل قواعد القانون الدولي الإنساني والانتهاكات الروسية لها في شيشانيا ، مع الاعتذار عن أي نقص أو تضارب أو غموض في عرضي لعدم تخصصي في القانون . وقد استعنت بترجمة عربية لنشرة (احترام القانون الدولي الإنساني وكفالة احترامه – دليل عملي للبرلمانيين رقم ١ لسنة ١٩٩٩) الذي أعدته اللجنة الدولية للصليب الأحمر والاتحاد البرلماني الدولي . بل إنني نقلت بعض القواعد والأحكام كما وردت في هذه النشرة حرفياً .

القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان

القانون الدول الإنساني هو مجموعة القواعد الدولية التي تتوخى التخفيف من آثار النزاعات المسلحة على الأشخاص والممتلكات في حالات النزاعات الدولية أو النزاعات غير الدولية (الداخلية).

وأما حقوق الإنسان فإنها تضع قواعد تيسر النمو المنسجم للفرد في إطار المجتمع سواء في أوقات النزاعات المسلحة أو السلم .

ويهدف كلا الفرعين إلى صيانة الكرامة الإنسانية في جميع الظروف .

وقد جرى توثيق قواعد القانون الدولي الإنساني في معاهدات واتفاقيات وبروتوكولات دولية ، تعتبر ملزمة بشكل متساو لجميع الأطراف بغض النظر عن الطرف الذي بدأ الحرب . ويمكن تصنيف هذه المعاهدة والاتفاقيات إلى المجموعات التالية :

أولاً: اتفاقيات من اجل حماية ضحايا الحرب :

أُقرت بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٢ الاتفاقيات التالية ، وتعهدت بمراعاتها ١٨٨ دولة من بينها روسيا :

أ. اتفاقية جنيف الأولى لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان.

ب. اتفاقية جنيف الثانية لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار .

جـ. اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب .

د. اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في الحرب .

وفي ١٩٧٧/٦/٨ أقرت البروتوكولات والإعلانات التالية المتعلقة بهذه الاتفاقيات:

أ. البروتوكول الأول الإضافي لاتفاقيات جنيف الموقعة بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٢ والمتعلقة بحماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية .

ب. البروتوكول الثاني الإضافي لاتفاقيات جنيف الموقعة بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٢ والمتعلقة بحماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية (نزاعات مسلحة داخلية).

جـ. إعلان بموجب المادة/٩ من البروتوكول الأول أعلاه ، متعلق باختصاص اللجنة الدولية الإنسانية لتقصي الحقائق .

وتنص المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف ، على انه : "في حالة نزاع مسلح ليس له طابع دولي، يلتزم أطراف النزاع كحد أدنى بحماية الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال الحربية (بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين القوا أسلحتهم) والأشخاص العاجزين عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر ، ومعاملتهم معاملة إنسانية دون أي تمييز ضار قائم على العرق أو

اللون أو الدين أو المعتقد أو الجنس أو المولد أو الثروة أو أي معيار مماثل" . ويحظر في جميع الأوقات والأماكن ما يلي:

١. الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية كالقتل والتشويه والتعذيب والمعاملة القاسية .

٢. اخذ الرهائن .

٣. الاعتداء على الكرامة الشخصية مثل المعاملة المهينة التي تحط بالكرامة.

٤. إصدار أحكام وتوقيع عقوبات دون إجراء محاكمة أمام محكمة مشكلة قانونياً.

ويكفل القانون الدولي الإنساني الحماية للسكان ، المدنيين على الوجه التالي:

١. ينبغي التمييز خلال العمليات الحربية بين المقاتلين والسكان المدنيين الذين ينبغي أن لا يكونوا أهدافاً مباشرة للعلميات العسكرية أو ضحايا عرضيين للقتال.

٢. ينبغي التمييز بين المرافق المدنية والأهداف العسكرية ، وعدم الإضرار بالممتلكات الضرورية لبقاء ومعيشة المدنيين (مواد غذائية ، إمدادات مياه ... الخ) .

٣. تمنع كلياً الهجمات التي لا تقتصر آثارها على هدف عسكري محدد كالقصف العشوائي والمكثف .

٤. تمنع كلياً الهجمات أو التهديدات التي تتوخى إشاعة الرعب بين السكان المدنيين.

٥. يمنع استعمال السكان المدنيين كدروع بشرية لحماية مناطق أو أهداف عسكرية من الهجمات العسكرية المعادية .

٦. يمنع تدمير المنشآت التي تحتوي على قوى خطرة (السدود والمحطات النووية وغيرها) والتي قد يسبب تفجيرها خسائر جسيمة بين السكان المدنيين.

ثانياً: اتفاقيات بشأن حظر أو تقييد استخدام أنواع مختلفة من الأسلحة

وفي هذا المجال أقرت المعاهدات البروتوكولات التالية :

أ. معاهدة حظر أو تقييد استخدام بعض الأسلحة التقليدية التي يمكن اعتبارها مفرطة الضرر أو عشوائية الأثر، وقد أقرت في جنيف بتاريخ ١٩٨٠/١٠/١٠ .

ب. البروتوكول الأول المتعلق بالشظايا التي لا يمكن الكشف عنها بواسطة الأشعة السينية . وقد اقر في جنيف بتاريخ ١٩٨٠/١٠/١٠.

جـ. البروتوكول الثاني المتعلق بحظر استخدام الألغام والشرائك الخداعية وأنواع أخرى من العتاد الحربي أو الحد من استخدامها . وقد اقر في جنيف بتاريخ ١٩٨٠/١٠/١٠ وعدل بتاريخ ١٩٩٦/٥/٣.

د. البروتوكول الثالث المتعلق بحظر استخدام الأسلحة الحارقة ، أو تقييد استخدامها . وقد اقر في جنيف بتاريخ ١٩٨٠/١٠/١٠.

هـ. البروتوكول الرابع المتعلق بشأن حظر استخدام الليزر المسبب للعمى . وقد اقر في جنيف بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٣.

و. اتفاقية حظر إعداد وصنع واستخدام الأسلحة الكيماوية وتنظيم تدميرها وقد أقرت في باريس بتاريخ ١٩٩٣/١/٣.

ز. معاهدة حظر استخدام وتخزين وإنتاج ونقل الألغام المضادة للأفراد وتدميرها . وقد أقرت في اوتاوا بتاريخ ٤/٣ ديسمبر ١٩٩٧. وقد وقعت عليها ٨٢ دولة ، إلا أن روسيا والولايات المتحدة لم توقعاها بعد .

وتمنع المادة/ ٣٥ من البروتوكول الأول أعلاه :

١. استعمال الأسلحة التي لا تميز بين الأهداف العسكرية وغير العسكرية، وبين المقاتلين والأشخاص المحميين مثل الألغام المضادة للأفراد .

٢. استعمال الأسلحة أو القذائف أو أية مواد أخرى من شأنها أن تسبب اضراراً بليغة للمحاربين الخصوم ، وكذلك الوسائل التي من شأنها أن تسبب معاناة يمكن تجنبها إذا كان بالإمكان بلوغ الهدف بأضرار اقل.

٣. استعمال القذائف الخفيفة القابلة للاشتعال ، والرصاص الذي ينشطر أو يتفجر داخل الجسم البشري ، وكذلك الأسلحة السامة.

٤. استعمال الأسلحة التي يكون مفعولها الرئيسي الإصابة بشظايا لا يمكن الكشف عنها في الجسم البشري بواسطة الأشعة السينية.

٥. استعمال الشراك الخداعية والأسلحة الحارقة.

٦. استعمال الوسائل أو أساليب الحرب التي صنعت لتسبب ، أو يمكن أن تسبب، أضراراً بالغة وواسعة الانتشار وطويلة الأمد بالبيئة الطبيعية.

ثالثاً : اتفاقية بشأن حماية بعض الأنواع من الممتلكات :

وفي هذا المجال أقرت الاتفاقية والبروتوكولات التالية :

أ. اتفاقية بشأن حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح ، وتحمي الآثار المعمارية أو الفنية أو التاريخية وممتلكات ثقافية أخرى. أقرت في لاهاي بتاريخ ١٩٥٤/٥/١٤.

ب. بروتوكول بشأن حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح ، وحظر نقلها من إقليم محتل ، كما ينظم الحفاظ على هذه الممتلكات وإرجاعها . وقد اقر في لاهاي بتاريخ ١٩٥٤/٥/١٤.

جـ. البروتوكول الثاني لاتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح الدولي أو الداخلي ، ويعزز الحماية للاماكن الثقافية . وقد اقر في لاهي بتاريخ ١٩٩٩/٣/٢٦.

د. اتفاقية بشأن منع استخدام تقنيات من شأنها إحداث تغيير في البيئة الطبيعية لأهداف عسكرية أو أية أهداف أخرى معادية ، وكذلك استخدام تقنيات لتغيير البيئة الطبيعية أو المحيط الجيوفيزيائي ، ومن شأنها أن تحدث آثاراً طويلة المدى . وقد أقرت في جنيف بتاريخ ١٩٧٦/١٢/١٠.

رابعاً : معاهدة بشأن القضاء الدولي :

بهدف تحقيق عدالة قضائية محايدة ، وتوخياً بان لا يكون القضاء الذي ينظر في الجرائم الإنسانية ، تابعاً أو متأثراً بأطراف النزاع مما قد يمس بالحيادية والعدالة ، رأى المجتمع الدولي أن يكون محاكمة مثل هذه الجرائم أمام محكمة جنائية دولية دائمة.

ينحصر اختصاص محكمة العدل الدولية في النظر في نزاعات بين الدول ، في حين أن المحكمة الجنائية الدولية التي شكلت للنظر في الجرائم الإنسانية التي اقترفت أثناء نزاع يوغوسلافيا السابقة فينحصر اختصاصها في هذه الجرائم .

ولذلك قرر المجتمع الدولي تشكيل محكمة جنائية دولية دائمة، لها الحق في النظر في الجرائم الإنسانية التي تقترف في أي مكان وكل زمان. وقد اقر النظام الأساسي لهذه المحكمة في روما بتاريخ ١٩٩٨/٧/١٧ ، ودخل حيز التنفيذ في تموز ٢٠٠٢.

تشمل اختصاص المحكمة الجنائية الدولية الدائمة الجرائم التالية :

أ. جرائم حرب : المادة/ ٨ من النظام الأساسي للمحكمة ، وتتضمن المخالفات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني الوارد ذكرها في اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والبروتوكولين الإضافيين لها لعام ١٩٧٧ والتي ترتكب خلال نزاعات مسلحة دولية أو غير دولية مثل :

١. الاغتصاب الجنسي ، والاستعباد الجنسي، والإرغام على ممارسة البغاء، وجعل النساء يحملن بالقوة ، وكل اعتداء جنسي آخر .
٢. إشراك أطفال تقل أعمارهم عن ١٥ سنة في العمليات الحربية.

ب. الإبادة الجماعية : بمقتضى المادة/ ٦ من النظام الأساسي للمحكمة لمنع جرائم الإبادة الجماعية التي تستهدف إبادة جماعة قومية أو اثنية أو عرقية أو دينية كلياً أو جزيئاً على شكل :

١. قتل أعضاء من الجماعة .
٢. إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.
٣. إخضاع الجماعة عن قصد لظروف معيشية من شأنها التسبب في تدميرها مادياً بشكل كلي أو جزئي.
٤. فرض تدابير تهدف إلى عرقلة التناسل الطبيعي داخل الجماعة.
٥. الترحيل الإجباري للأطفال من الجماعة إلى جماعة أخرى .

جـ. جرائم ضد الإنسانية : بمقتضى المادة/ ٦ أيضاً من النظام الأساسي للمحكمة، وتضم الأعمال المرتكبة في إطار هجوم شامل أو جزئي ضد السكان المدنيين مثل :

١. القتل .
٢. الإبادة .

٣. الاستعباد .
٤. النقل والترحيل الإجباري للسكان .
٥. السجن والحرمان من الحرية الجسدية .
٦. الاختفاء القسري للأشخاص .
٧. التمييز العرقي .
٨. أفعال لا إنسانية تتسبب عن قصد في معاناة بالغة أو تلحق أذى خطيراً بالسلامة البدنية أو المعنوية .

د. العدوان : بمقتضى الفقرة (٢) من المادة/٥ من النظام الأساسي للمحكمة، حيث سيتاح للمحكمة الجنائية الدولية الدائمة النظر في جريمة العدوان بعد اعتماد حكم يعرف هذه الجريمة ويحدد شروط ممارسة المحكمة لاختصاصها إزاءه .

الانتهاكات الروسية لمبادئ وقواعد حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في شيشانيا:

تجمع المنظمات الدولية مثل اللجنة الدولية الإنسانية لتقصي الحقائق (Human Rights Watch) وغيرها ، وكذلك اللجان والبعثات الدولية الإقليمية (وخاصة الأوروبية)، والمراقبون ومراسلو وكالات الأنباء العالمية الذين تواجدوا في شيشانيا خلال الغزو الروسي ١٩٩٤-١٩٩٦ والغزو الجاري ، ونشر بعضهم كتباً قيمة مثل الكتب المدرجة في قائمة مراجع هذا الكتاب وثّقت الانتهاكات الروسية لحقوق الإنسان في شيشانيا:

ومن الانتهاكات التي وثقتها وأدانتها المنظمات الإنسانية ، المجزرة الوحشية التي اقترفتها القوات الروسية في قرية سيماشكايا في نيسان ١٩٩٥ ، وفي قرية نوفي آلدي في شباط ٢٠٠٠ مع العلم أن كلتا القريتين كانتا عند وقوع المجازر تحت السيطرة الروسية ولم تكن هناك أية نشاطات عسكرية أو تواجد للمقاتلين الشيشان فيها .

وتمثلت الانتهاكات الروسية لقواعد الاتفاقيات من اجل حماية ضحايا الحرب في:

١. الاعتداء على حياة المدنيين وعلى المقاتلين الجرحى والأسرى والتمثيل بجثثهم .

٢. اعتقال المدنيين وحجزهم في معسكرات يتعرضون فيها للتعذيب الشديد.

٣. ارتكاب مجازر جماعية ودفن الضحايا في مقابر جماعية.

٤. احتجاز واخذ الرهائن من بين المدنيين بقصد استبدالهم بأسرى من القوات الروسية ، أو الابتزاز بقصد الحصول على رشوات مقابل إطلاق سراحهم.

٥. اغتصاب النساء والأطفال ، وقتل الضحايا بعد الفعلة الشنيعة كما تناقلتها وكالات الأنباء العالمية .

٦. التعذيب النفسي أثناء التحقيق وذلك باغتصاب قريبات الضحايا أمامهم.

٧. التهديدات التي تبث الرعب الشديد بين المواطنين مثل الإنذارات العسكرية التي أصدرها الروس بقصف عشوائي وشامل في غروزني ومدن أخرى.

٨. استعمال السكان المدنيين كدروع بشرية لحماية وحدات عسكرية روسية.

٩. قصف قوافل اللاجئين الهاربين من مناطق القتال ، وزرع الممرات التي كانت القوات الروسية تعلن بأنها آمنة بالألغام ضد الأفراد.

١٠. عدم التمييز بين المرافق المدنية والأهداف العسكرية ، فالقصف العشوائي المكثف دمر معظم مرافق البنية التحتية والخدمات المدنية في الجمهورية.

١١. تدمير منشآت تشكل خطراً على السكان والبيئة مثل مرافق البترول ومختبرات معهد النفط وجامعة غروزني.

وأما بالنسبة للاتفاقيات بشأن حظر أو تقييد استعمال بعض الأسلحة، فان الانتهاكات الروسية تمثلت في :

١. استعمال أسلحة لا تميز بين الأهداف العسكرية والمدنية ومنها صواريخ بالستية ارض / ارض واسعة التدمير .

٢. استعمال أسلحة تسبب أضراراً بليغة بالمصابين مثل الرصاص الذي ينشطر داخل جسم الإنسان (رصاص دمدم) ، والقنابل الانشطارية، والمواد الكيماوية وغيرها من الأسلحة المحظورة دولياً .

٣. استعمال الألغام ضد الأفراد والشراك الخداعية .

٤. استعمال وسائل حرب تسبب أضراراً بالغة واسعة الانتشار وطويلة الأمد بالبيئة والجو ومصادر المياه (مثل تدمير منشآت النفط).

وأما بالنسبة للاتفاقيات بشأن حماية بعض الممتلكات ، فان الانتهاكات الروسية تمثلت في :

١. تدمير كامل لمعهد النفط في غروزني ، والأرشيف المركزي ، والمتحف الوطني، والمتحف الفني وغيرها من المنشآت الاقتصادية والثقافية.

٢. قصف متعمد للأبراج التاريخية الفريدة التي تمثل الحضارة المعمارية الشيشانية القديمة.

٣. نهب وسرقة الممتلكات الثقافية وخاصة المتاحف والأرشيف المركزي والمكتبات العامة أو نقل محتوياتها إلى روسيا.

ومن جانب آخر اظهر الإعلام العالمي (بما فيها محطات التلفزة والصحافة الروسية المستقلة) المعاملة الإنسانية التي كان الأسرى الروس يلقونها من المقاتلين الشيشان من تقديم طعام وعلاج (مماثل لما يقدم للمقاتل الشيشاني) لهم . وتسليم الصبيان الاغرار من الأسرى إلى أمهاتهم، واستضافة ومساعدة الأمهات في البحث عن المفقودين من أبنائهن في الوقت الذي لم تكن القوات الروسية تولي اهتماماً بهن وترفض تقديم المعلومات المتوفرة عن مصير أبنائهن .

والظاهرة المشرفة في الشعب الشيشاني تعاطفهم مع الجالية الروسية الكبيرة في غروزني وباقي مدن شيشانيا خلال فترة القصف الوحشي الروسي. فهذه الجالية كما يقول الشيشان (هم منا وفينا ... تعرضوا مثلنا لاستبداد حكم موسكو في الماضي ، ويتعرضون الآن مثلنا للقتل والإبادة). أقدمت القرى الشيشانية على استضافة الألوف

منهم وخاصة الشيوخ والعجز المتقاعدين . ويحظر دستور جمهورية الشيشان أي تمييز بين مواطني الجمهورية على خلفية المنبت أو الأصول العرقية أو العقائد الدينية.

وكمثال على العلاقة الطيبة بين الشيشان والجالية الروسية في الجمهورية الشيشانية ، تذكر الصحفية البريطانية فانورا بينت في كتابها (Crying Wolf) بان الشيشان كانوا يفرقون بين الروس والجالية الروسية في الشيشان ، وبين قوات الفدرالية الروسية . وتقول :

"عندما سألت شيشانياً ... ما هذا الذي يفعله الروس هنا ؟ بدا عليه الارتباك وكأني أتكلم بلغة غير مفهومة . ثم استدرك ... آه أنت تعني قوات الفدرالية وليس (روسنا) . فروسنا بالرغم من خلفيتهم العرقية ، فانهم شجعان ومنتمون لجمهوريتنا مثلنا نحن الشيشان . "

وذكر مؤلفا كتاب (شيشانيا ، حرب صغيرة مظفرة) نقلاً عن البروفسورة يلينا اندريا نوفيا الروسية من أهالي غروزني ، بأنه في فترة القصف العنيف المستمر في شباط ١٩٩٥ ، التجأ سكان حيها من شيشان وروس إلى ملجأ بقوا محصورين فيه لمدة أسبوعين لا يستطيعون الخروج . طبعاً كانت الحرب الجارية محور حديثهم . بداية كان الإجماع على أن يلتسين (بربري لا خير فيه) ، إلا انه كان هناك تضارب في الرأي حول دوداييف . وأخيراً وقبل أن يتمكنوا من الخروج من الملجأ كان الإجماع على أن يلتسين ودوداييف (بربريان لا خير فيهما) . وأكدت البروفسورة يلينا بان أحداً لم يصدر عنه تصرف ... أو ينطبق بكلمة تشير إلى نزاع عرقي.

وسرد جميع مراسلي وكالات الأنباء الدولية ، الذين تواجدوا في شيشانيا في فترة الحرب وغطوا أحداثها ، وألفوا فيما بعد كتباً عن تجاربهم، عشرات الأمثلة على المساعدة والرعاية والحماية التي كان الشيشان (وخاصة المقاتلون الشباب) يوفرونها للجالية الروسية .

وطيلة فترة الحرب ، لم تشر السلطات الشيشانية إلى احتمال وجود طابور خامس من أبناء الجالية الروسية . ولم يوجه لأي روسي من هذه الجالية تهمة خيانة أو تجسس أو تآمر على السلطة الشرعية الشيشانية . واما عن (أمهات الجنود الروس) ،

اللواتي كن يذهبن إلى شيشانيا في محاولة للعثور على أبنائهن جاء في كتاب (شيشانيا ... حرب صغيرة مظفرة) قصة فالنتينا كرايفا ، مديرة مدرسة في مدينة فولغودونسك الروسية ، وأول أم جندي تذهب إلى شيشانيا لهذه الغاية ، بأنها تلقت في ديسمبر ١٩٩٥ مكالمة هاتفية من السلطات الشيشانية تفيد بان "ابنها حي وأسير لديها، وانه ستجري العناية به ، وستكون النهاية خيراً ، ويرجى منها أن تطالب السلطات الروسية إيقاف الحرب ".

وحيث أن السلطات الشيشانية كانت قد أعلنت بأنها ستسلم لأمهات الجنود أبنائهن من الأسرى بدون أي شروط سوى تعهد منها بأنه لن يلتحق بالقوات الروسية التي تقاتل في شيشانيا ، فان فالنتينا سافرت إلى شيشانيا.

وفي ليلة وصولها أخذوها لمقابلة بيساييف ودوداييف . وقالت إنها كانت خائفة وغير مطمئنة على مصير ابنها ولا مصيرها هي . استغرب دوداييف (الذي لام روسيا على بدء الحرب) من خوف أمهات الجنود ، حيث كان قد بلغه بان ٤٠ من أمهات الجنود ينوين السفر إلى شيشانيا في مجموعة واحدة ، ولكنه يرى أمامه أماً واحدة فقط. ولأنها أم باسلة ... طلب من مساعديه التقصي عن مكان وجود ابنها . تبين بأنه كان متواجداً مع أسرى روس آخرين في طابق التسوية في القصر الجمهوري ، ولكنه كان جريحاً بحالة سيئة لا يستطيع الوقوف أو الحركة . فطلب دوداييف من مساعديه عمل الترتيبات اللازمة لإخراج الابن من القصر الذي يتعرض لقصف مركز مستمر.

وتروي فالنتينا كيف رافقت فرقة مشكلة من ١٢ مقاتل شيشاني وممرضة جميلة شابة ، خاطروا بحياتهم بالسفر إلى منطقة القصر في غروزني ، وثم التسلسل تحت القصف الثقيل (يسيرون عشرة أمتار ثم ينبطحون على الأرض) حتى دخلوا القصر ، واخرجوا الابن الجريح على حمالة طبية .

وعندما وصلوا إلى معسكر بيساييف وقامت بتقديم الشكر والامتنان، التفت بيساييف إلى ابنها (ابوشا) وقال : "هل تعرف أية أم باسلة لك؟ انك لا تزال في

مرحلة النمو والنضوج في عمرك . فإذا أسأت إلى أمك الباسلة هذه ولو بكلمة ... فان الله لن يغفر لك" .

وبعد عودة فالتينا إلى روسيا ، ونشرها لما حدث ، أخذت أمهات الجنود (مجموعات وأفراداً) يذهبن إلى شيشانيا بحثاً عن أبنائهن ، وسعياً لتهريبهم من جبهات القتال في شيشانيا . وذكر سيرجي سوروكن رئيس (الحركة الروسية ضد العنف) بان ٣٠٠٠ مجند روسي فروا من وحداتهم خلال الأسابيع الستة الأولى من الحرب .

وأما حركة (أمهات الجنود) فقد توسعت وانتشرت ... وأصبحت من اشد المعارضين لاستمرار الحرب . وكانت تقوم بمظاهرات واعتصام في معظم المدن الروسية. وكان لها دور كبير في مساعي إيقاف الحرب.



عبر بوتين عن سياسة العدوان وقال (سنلاحقهم حتى في المراحيض).

الفصل السابع عشر
الموقف العالمي من الاعتداء الروسي

كان الموقف الرسمي للحكومات العالمية، شرقية وغربية، عربية وإسلامية، بما فيها الجمهوريات المستقلة التي انبثقت عن الاتحاد السوفيتي السابق، الصمت وعدم الاعتراض علناً عندما بدأ الغزو الروسي لشيشانيا، بل أن معظمها اتخذت موقف تقبل حجة روسيا بأن (شيشانيا جزء من روسيا، وأن القضية الشيشانية أمر داخلي لروسيا). إلا أن الشعوب ، ومنظمات حقوق الإنسان ، والمنظمات الإنسانية الدولية. تعاطفت مع معاناة الشعب الشيشاني ونددت بالعدوان الروسي.

الرئيس كلينتون أرسل رسالة تشجيع ليلتسين يتمنى بان تنتهي الحملة في أقصر وقت وبأقل ضحايا بين المدنيين، وسعى لمنح روسيا قرضاً من خلال صندوق النقد الدولي مقداره ١٠,٢ مليار دولار. ورافق ذلك تصويتاً بقبول روسيا عضواً في المجلس الأوروبي (وهي خطوة انتقدتها بشدة منظمات الحقوق الدولية) . كما وإن فرنسا وألمانيا نسبتا ضم روسيا إلى مجموعة الدول السبع ... أغنى دول العالم وأقواها صناعياً.

وشذت عن هذا الموقف دول البلطيق (لتوانيا واستونانيا ولاتفيا) وأوكرانيا وبولندا التي استنكرت منذ البداية الغزو الروسي، وتبنت وفودها القضية الشيشانية في المؤتمرات البرلمانية والاجتماعات الدولية، كما أن عدداً من الدول الأخرى بدأت تعيد النظر في موقفها من الأزمة، وتبدي تعاطفاً مع الشيشان، وتستنكر الأساليب الوحشية التي تتبعها القوات الروسية، وتطالب بإيقاف القتال والتوصل إلى حل سلمي للأزمة.

وأما الشعوب في مختلف دول العالم فكانت أكثر تعاطفاً مع القضية الشيشانية وإعجاباً بصموده البطولي. وفي ألمانيا تبنت مجموعة ديموقراطية فتح سفارة رمزية مؤقتة لجمهورية الشيشان في مهرجان نصرة الشعوب غير الممثلة في هيئة الأمم المتحدة الذي عقد في بون . وفي بولونيا قامت هيئات رسمية وشعبية وضع بناء كان في السابق مركزاً

للقيادة الروسية في مدينة كراكوف تحت تصرف جمهورية الشيشان كمركز إعلامي للجمهورية في أوروبا. وفي مختلف بلدان العالم تشكلت لجان لنصرة الشعب الشيشاني وجمعت تبرعات لتقديم مساعدات معنوية وإعلامية ومادية.

وفي أمريكا قاد بريجنسكي مستشار الامن القومي السابق للرئيس الامريكي (البولوني الأصل والمولد) الموقف الذي يعبر عن حقيقة (أن شيشانيا لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من روسيا، بل كانت بلداً محتلاً من قبل روسيا) . وأصدر المجلس التشريعي لولاية نيو جيرسي بياناً يؤيد حق الشعب الشيشاني بالحرية والاستقلال ويطالب طرفي النزاع للتفاوض على حل يضمن حقه بالحرية والاستقلال. ووقف هذا الموقف عدد من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الذين طلبوا من كلينتون الامتناع عن زيارة موسكو ما لم يوقف القتال في شيشانيا، وتتخذ الإجراءات القانونية بحق المسؤولين والمشتبه بهم عن اختفاء خبير الإغاثة الإنسانية السيد فريدريك كوني الذي اختفى عند نقطة تفتيش للقوات الروسية عندما كان في طريقه إلى غروزني لإقامة مراكز تعقيم وتوزيع مياه الشرب فيها. ووقّع مئات من أساتذة كبرى جامعة أميركا وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسرائيل والسويد والنرويج والنمسا والبرازيل وغيرها رسالة موجهة إلى رئيس ونائب رئيس ووزير خارجية أمريكا، ورئيس مجلس الشيوخ والنواب ورؤساء لجان الشؤون الدولية فيهما، ورئيس منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، ينتقدون سياسة الإدارة الأمريكية باعتبار يلتسين ضماناً للانفتاح والديموقراطية في روسيا، وأن شيشانيا جزءاً من روسيا وقضيتها أمراً من شؤون روسيا الداخلية. وانتقدت قيام الحكومة الأمريكية بتأمين قرض من خلال صندوق النقد الدولي لروسيا مقداره ١٠,٢ مليار دولار سيستغل نصفه على الأقل في تمويل حملة غزو شيشانيا (والنصف الآخر سيتحول إلى حسابات المسؤلين الروس الفاسدين في بنوك أمريكية – المؤلف) وختموا رسالتهم :-

"إن الموقف الذي يعتبر بأن ما يجري هو أمر داخلي للحكومة الروسية يشجع تصرفاتها الإجرامية، وينبغي على الحكومة الأمريكية أن تبذل كل إمكانياتها لإيقاف

هذا الحرب، وأن تنبه الحكومات الروسية وتحذرها بأنه سيجري تجميد وإلغاء أية مساعدات لروسيا في حالة استمرار الحرب.

"نطلب منكم إتباع جميع الوسائل المتوفرة ونفوذ أميركا لتقوم الحكومة الروسية بإيقاف الحرب فوراً، وأن تساندوا التوصل إلى حل سلمي وعادل للنزاع من خلال المنظمات الدولية"

وأما أشد الانتقادات للتصرفات الروسية فقد كانت في روسيا نفسها سواء من قبل عسكريين أو مدنيين. فالجنرال بوريس غروموف نائب القائد العام للقوات البرية الروسية انتقد غزو شيشانيا ووصفه (زحف الحمقى) وآثر الاستقالة من الخدمة العسكرية. كما استقال من الخدمة الجنرال ليبيد ووصف الحملة " بغير استعداد ... صبية غير مدربين يزج بهم ليواجهوا الرصاص .. إنها سلطة مجرمة هذه التي ترسل الألوف من مواطنيها إلى موت محتم ".

ومن ساحة المعركة في غروزني اتصل سيرجي كوفاليوف مفوض منظمة حقوق الإنسان الروسية بالرئيس يلتسين يطلب منه ومن القادة العسكريين الكف عن الكذب فيما يتعلق بسير الحرب في شيشانيا، ويدعو الشعب الروسي للوقوف ضد الجرائم التي تقترفها السلطات الروسية.

ودعت ايلينا بونر رئيسة مؤسسة زخاروف لحقوق الإنسان في لقاء بتاريخ ١٩٩٥/١/١٩ مع المكتب الأمريكي لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي أن تقوم أميركا بتجميد مساعداتها لروسيا، وقالت بأن على الرئيس السابق كارتر بصفته رجل سلام أن يطير حالاً إلى موسكو ويسعى إلى إيقاف القتال فوراً.

وفي ١٩٩٥/١/٢٨ وقعت ٧٩ منظمة حقوق الإنسان وحزب ديموقراطي في موسكو وثيقة (اتفاقية العمل الجماعي للدفاع عن السلام والحرية) ودعت إلى إيقاف الحرب ضد الشيشان فوراً، وأن تعمل روسيا على تحقيق الاستقرار في المنطقة، وأن لا تعيد في المستقبل المأساة التي ارتكبتها في القوقاز.

وفي موسكو كانت تنظم يومياً مظاهرات ضد حرب شيشانيا يقوم بها مواطنون روس متعاطفون مع الشيشان وداعون لمراعاة حقوق الإنسان. وكانت

أمهات الجنود الروس الذين زج يلتسين بهم في جحيم حرب شيشانيا تتصدرن هذه المظاهرات.

إلا أن جميع هذه الاحتجاجات، واستطلاعات الرأي العام الروسي التي أظهرت معارضة غالبية الشعب الروسي لحرب شيشانيا، لم تكن كافية لأن يعمل يلتسين على إيقاف هذه المجزرة، حيث أن مستشاريه المقربين أشاروا عليه بأن إيقاف الحرب التي أشعلها في هذه المرحلة وقبل تحقيق النصر (المرتقب)، تعطيه صورة رئيس ضعيف غير حازم في أمور تتعلق بوحدة روسيا، مما يضعف من فرص فوزه في انتخابات الرئاسة القادمة، وأن توقف الجيش الروسي قبل تحقيق أهدافه المعلنة يثبت عجزه عن التمسك بوحدة الفدرالية الروسية بالقوة.

وبصفتي أردني من اصل شيشاني، عضو مؤسس ورئيس سابق لجمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – النجوش واللجنة الأردنية لمناصرة شعب جمهورية الشيشان خلال حرب ١٩٩٤– ١٩٩٦، أرغب أن أنوه بمواقف الأردن من القضية الشيشانية.

قامت الدولة الأردنية التي أسسها الهاشميون على قناعة بانتماء لا شك فيه لجميع سكانه من مختلف المنابت والأصول والعقيدة، وبدون شعارات تطرف قومي أتيح للأردنيين الشيشان وصال الرابطة مع وطن جذورهم بدون قيود. وعندما سمح للشيشان عام ١٩٥٧ بالعودة من المنفى الجماعي ، وأعيد تشكيل جمهوريتهم ذات الحكم الذاتي، أخذ أردنيون شيشان بتبادل الزيارات مع أقاربهم ومعارفهم في تلك الجمهورية .

وفي عام ١٩٨٩ اشترك وفد أردني برئاسة الدكتور عدنان بدران وعضوية الدكتور مراد بينو وغيرهما في ندوة علمية في موسكو. دعاهم الدكتور سلامبيك حجاييف الشيشاني وكان مشاركا في الندوة ، لزيارة جمهورية الشيشان. وعند عودة الوفد إلى الأردن اقترح الدكتور عدنان بدران تأسيس جمعية صداقة أردنية شيشانية . وتم تسجيل جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – النجوش بموجب كتاب وزارة الداخلية رقم ٢٨٧٧١/٥/٣٠ تاريخ ١٩٨٩/٦/٢٨ . وقد شرف صاحب السمو الملكي الأمير الحسن الجمعية بقبوله أن يكون رئيساً فخرياً لها.

ولعل خلفية الأعضاء المؤسسين للجمعية تفسر توفيق الجمعية في السعي لتحقيق الغايات الواردة في نظامها الأساسي فخلفية أعضائها المؤسسين (٥٥ عضواً) كانت:

١- ٢٤ عربي و ٢٣ شيشاني و ٨ شركس .

٢- ٥٢ ذكر و ٣ أنثى .

٣- ٥٣ مسلم و ٢ مسيحي .

٤- ١٠ ممن اشغل منصب وزارة ، و١٠ ممن اشغل منصب رئيس جامعة أو أستاذ جامعة، و١٦ مهندس، وفئات أخرى شملت رؤساء غرفة التجارة وغرفة الصناعة وجمعية رجال الأعمال وأطباء وموظفون ورجال أعمال . وقد استمر هذا النسق في التعدد في الخلفية بالنسبة للأعضاء الذين انضموا للجمعية بعد مباشرتها نشاطها.

وفي المؤتمر الوطني الشيشاني الذي عقد في غروزني في شهر نوفمبر ١٩٩٠، اقترح السيد صلاح الدين غوغاي ممثل الجالية الشيشانية في الولايات المتحدة، توجيه شكر خاص للأردن ملكاً وشعباً وقال :

"إن هذا البلد المضياف وشعبه الصديق، استضاف في أعقاب الحرب العالمية الثانية أعداداً من اللاجئين القوقازيين. وان هذا البلد بحكمة مليكه، وسياسة حكومته، ودماثة شعبه، والجاليات القوقازية النشيطة فيه، كان يجعلنا نحن اللاجئين المغتربين في مختلف بقاع الأرض (وكان واحداً منهم) نشعر بأنه بمثابة وطن ثاني لنا. نزوره عندما نشعر بالحنين إلى القوقاز ويتعذر علينا ذلك . كان الأردن في عهد الستار الحديدي في الاتحاد السوفيتي بمثابة نافذة يتطلع منها شيشان الداخل إلى الخارج وشيشان الخارج إلى الداخل" .

ومع تصفيق حاد من الحضور، ثنى رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر على اقتراح صلاح الدين. وقال بأنه يأمل أن يكون الملك الحسين أول رئيس دولة يزور جمهورية الشيشان المستقلة، يهبط في مطار الشيخ منصور، ويدخل المدينة عبر شارع المناضل الشيشاني عبد الرحمن افترخانوف.

وكانت طائرة الشحن التابعة لسلاح الجو الأردني أول طائرة غير روسية تهبط في مطار غروزني ، إذ قامت في شهر آب ١٩٩٢ بنقل هدية أدوية من الشعب الأردني إلى شعب جمهورية الشيشان . وقام بتسليم الهدية وفد أردني برئاسة الدكتور عبد السلام العبادي أمين عام الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية ومدير عام مؤسسة تنمية أموال الأيتام في إشارة إلى استعداد مؤسسات حكومية وشعبية أردنية لإنشاء علاقات مع مثيلاتها في الجمهورية الشيشانية.

وبالنسبة للغزو الروسي لجمهورية الشيشان كان مجلس النواب الأردني أول هيئة رسمية دولية تصدر بياناً يستنكر الغزو الروسي ويؤيد حق الشعب الشيشاني بالحرية والاستقلال وتقرير المصير .

وأما بالنسبة لنشاط جمعية أصدقاء رجال الشيشان واللجنة الأردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان المستقلة في سبيل دعم القضية الشيشانية العالم، فأنقل المختصر الذي أوردته في كتابي (الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩- ١٩٩١).

تقرير مختصر عن نشاط اللجنة الأردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان المستقلة :

مقدمة:

تصاعد في الربع الأخير عام ١٩٩٤ التدخل الروسي في الشؤون الداخلية للجمهورية الشيشانية المستقلة على شكل حصار اقتصادي وحدودي، وعمليات تخريبية، وضغوط سياسية، واستغلال وزن ونفوذ روسيا بصفتها دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن الدولي لعزل الجمهورية سياسياً ومنع الاعتراف بكيانها المستقل.

ثم تطور الوضع إلى تدخل مباشر بتشكيل معارضة عميلة قامت بمشاركة وحدات عسكرية نظامية روسية بمحاولة للاستيلاء على السلطة في شيشانيا بالقوة. وعندما فشلت هذه المحاولة ، وانكشف اشتراك الوحدات الروسية فيها، قامت روسيا بشكل علني ومكشوف بسلسلة من الغارات الجوية على مطارات وقواعد عسكرية في شيشانيا، ما لبث وأن تبعتها بغزو عسكري كبير . وقد خيل للقادة الروس المغرورين

بأن الحشود العسكرية الكبيرة التي زجت بها في المعركة ، والرهبة من سطوة دولة عظمى ، كفيلة بأن تقضي على إرادة الحرية والاستقلال لدى الشعب الشيشاني فيستسلم بدون قتال أو مقاومة ذي أثر خلال ساعتين كما صرح وزير الدفاع الروسي المغرور ، أو خلال بضعة أيام كما تنبأ غيره من قادتهم. إلا أنه بمدد من الله سبحانه وإرادته وتوفيق منه، صمد المجاهدون المؤمنون وأجبروا ثاني أكبر قوة عسكرية في العالم على الاعتراف بعجزها عن تحطيم إرادة الشعب الشيشاني الحر ، وأن توافق على وقف القتال والدخول في مفاوضات أدت إلى قرار روسي بسحب جميع القوات الروسية من شيشانيا.

تشكيل اللجنة:

عندما تأزم الوضع في شيشانيا، جرى عقد اجتماعات في مركز جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – أنجوش في صويلح ، وجمعية أصدقاء شراكسة القوقاز في وادي السير ، والجمعية الخيرية الشركسية الأم في عمان ، وتقرر تشكيل لجنة اردنية باسم (اللجنة الأردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان القوقازية المستقلة) ، يكون مقرها في مركز جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – أنجوش في صويلح، ويشارك في نشاطاتها كل من يرغب ويتطوع من الأسرة الأردنية الواحدة على مختلف خلفياتهم العرقية والإقليمية والعقائدية، ذكوراً وإناثاً، شيوخاً وأطفالاً، تهدف إلى نصرة قضية الجمهورية الشيشانية وشعبها مادياً ومعنوياً، وقد وافقت السلطات الرسمية على ممارسة اللجنة لنشاطاتها وقرر مجلس الوزراء الموقر إعفاء التبرعات التي يقدمها المواطنون لهذه الغاية من الدخل الخاضع لضريبة الدخل.

نشاطات اللجنة:

ركزت اللجنة نشاطها من خلال لجانها، وكذلك المتعاطفين مع القضية الشيشانية في مسارين رئيسيين، نشاط إعلامي وتقديم معونات إنسانية للتخفيف من معاناة المتضررين.

النشاط الإعلامي:

تمكنت روسيا بنفوذها الدولي وإمكانياتها الإعلامية الكبيرة أن تفرض تعتيماً إعلامياً وتحريفاً مضللاً للقضية الشيشانية ، زعم الإعلام الروسي وردد معه الإعلام العالمي بأن :

١- الجمهورية الشيشانية هي جزء من الجمهورية الفدرالية الروسية، تمردت وأعلنت الانفصال من طرف واحد بدون اعتبار الإجراءات الدستورية المناسبة.

٢- القضية الشيشانية شان داخلي للفدرالية الروسية وبناء عليه فان التدخل من قبل دول خارجية أو هيئات ومؤسسات عالمية أمر مرفوض من قبل روسيا.

٣- السلطة في شيشانيا غير شرعية وصلت إلى الحكم بطريقة غير دستورية.

٤- المقاتلون الشيشان هم تجمعات وعصابات متمردة خارجة على القانون وتنشر الإرهاب والفوضى في شيشانيا .

٥- السلطة في شيشانيا واقعة تحت تأثير منظمات المافيا وتقوم بنهب موارد البلاد.

والحقيقة هي خلاف هذه المزاعم الباطلة . فالجمهورية الشيشانية كان قد تم إعلان استقلالها وسيادتها بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧ عندما صادق برلمان جمهورية الشيشان – انجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي على قرارات اتخذها بالإجماع المؤتمر الوطني الشيشاني الذي عقد فيما بين ٢٣-٢٥ تشرين الثاني ١٩٩٠. وقد كان المؤتمر ممثلاً لكافة قطاعات الشعب الشيشاني ومناطق الجمهورية من قبل مندوبين منتخبين لتمثيلها في هذا المؤتمر . وكان انعقاد المؤتمر وإصداره لقرارات الاستقلال والسيادة ومصادقة البرلمان عليها متمشياً مع أحكام الدستور السوفيتي النافذ في حينه . وبناء على ذلك فانه عندما أعلن الرئيس يلتسين من دون استفتاء أو عقد مؤتمر شعبي أو قرار برلماني ، ومن طرف واحد ، إعلان استقلال الجمهورية الروسية عن الاتحاد السوفيتي ... هذا القرار الذي أدى إلى حل الاتحاد السوفيتي ... لم تكن جمهورية الشيشان المستقلة في حينه جزءاً لا من الاتحاد السوفيتي السابق ولا من الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية . وأكد رئيس وبرلمان جمهورية الشيشان المنتخب في أيلول ١٩٩١ قرار استقلال وسيادة جمهورية الشيشان . وعندما تم تشكيل الفدرالية الروسية الحالية

بموجب معاهدة الفدرالية التي وقعت بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٣ رفضت جمهورية الشيشان المستقلة توقيع المعاهدة المذكورة والانضمام إلى الفدرالية الروسية. وبناء على ما تقدم :

١- لم تكن جمهورية الشيشان في أي وقت جزءاً من الجمهورية الفدرالية الروسية القائمة .

٢- الادعاء بان جمهورية الشيشان أعلنت من طرق واحد انفصالها عن الجمهورية الفدرالية الروسية هو زعم باطل لان جمهورية الشيشان المستقلة لم تكن في أي وقت جزءاً من الفدرالية .

٣- ادعاء روسيا بان قضية وأزمة شيشانيا شان داخلي للفدرالية الروسية هو زعم باطل ، بل هي قضية وأزمة بين دولتين منفصلتين مستقلتين .

٤- الاعتداء والغزو الروسي على شيشانيا يعتبر اعتداء وغزواً عسكرياً ضد دولة مستقلة ذات سيادة .

٥- الاحتلال الروسي لأجزاء من شيشانيا يتعارض مع العزف الدولي بعدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة العسكرية ، ويتعارض مع مبادئ حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها .

٦- استعمال القوات الروسية أسلحة فتك ودمار محظورة دولياً يشكل مخالفة صريحة وخطيرة ومستنكرة للمواثيق الدولية .

وبالإضافة إلى النواحي السياسية والقانونية ركز النشاط الإعلامي للجنة على شرح الدمار الشامل في شيشانيا ، والإصابات البشرية والتشريد الجماعي والمجازر وجرائم القتل والتعذيب والاعتداء على حقوق الإنسان من قبل روسيا في شيشانيا . كما حاول شرح المعاناة الإنسانية القاسية. ودعى لبذل الجهود لوقف هذه التصرفات التي تتناقض مع الممارسات الحضارية، والتي ينبغي على المجتمع العالمي المتحضر أن يستنكر ويحاكم المخططين والمنفذين لها بصفتهم مجرمين بحق الإنسانية.

وشمل النشاط الإعلامي الدعوة إلى تقديم معونات إنسانية عاجلة للتخفيف من المعاناة القاسية وكذلك الدعوة لتخطيط ومساهمة عالمية في إعادة اعمار شيشانيا ،

وبناء اقتصادها ، ورعاية الأيتام والعجزة والمعدومين ، والتعويض المناسب للمتضررين من العمليات الحربية .

ومن الوسائل التي اتبعتها اللجنة في تنشيط الجهد الإعلامي :

١- التشرف بمقابلة جلالة الملك المعظم ورئيس وعدد من الوزراء والمسؤولين الرسميين .

٢- عقد لقاءات مع مؤسسات ونقابات وجمعيات ونوادي وأحزاب وهيئات ولجان خيرية واجتماعية وسياسية .

٣- زيارة العديد من السفارات وخصوصاً سفارات الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي ، والدول العربية والإسلامية ودول الاتحاد الأوروبي واليابان وكندا والفاتيكان وغيرها . وكذلك المكاتب الإقليمية لهيئة الأمم المتحدة والتعاون الأوروبي والصليب الأحمر وهيئات الإغاثة الخيرية الدولية والمحلية .

٤- إرسال مذكرات تفسيرية ونداءات متعددة وباستمرار حسب تطورات الأحداث إلى معظم ملوك وأمراء ورؤساء وحكومات وبرلمانات الدول ، والعديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية وشخصيات عالمية مؤثرة.

٥- مقابلة أو تسليم مذكرات إلى شخصيات عالمية أثناء زياراتهم للأردن.

٦- عقد اجتماعات وإلقاء محاضرات ونشر مقالات وإجراء مقابلات مع وسائل الإعلام والصحافة والتلفزيون والإذاعة ووكالات الأنباء العالمية والمحلية.

٧- تنظيم مسيرات احتجاج أمام السفارة الروسية ، ومكاتب هيئة الأمم المتحدة في عمان وعقد اجتماعات في بعض المناسبات الهامة وفتح بيت العزاء باستشهاد المجاهد الرئيس الشيشاني السابق جوهر دوداييف .

المساعدات الإنسانية:

قُدِّمت من خلال اللجنة تبرعات مادية وعينية لمعونة شعب جمهورية الشيشان من أفراد وبنوك وشركات تجارية وصناعية ونقابات وجمعيات خيرية ومستشفيات رسمية وأهلية وروابط عشائرية وغيرها داخل الأردن تتراوح قيمتها بين (٥٠٠٠٠) دولار أمريكي قدمه محسن كبير في الأردن طلب عدم نشر اسمه إلى نصف دينار أردني

من بعض الأطفال. كما وردت تبرعات سخية من لجنة الإغاثة الإسلامية خلف الخط الأخضر من ارض فلسطين المباركة وكذلك من اليمن ومصر والطلبة والأساتذة المسلمين في جامعة نوتنجاهم في بريطانيا، ومن فلسطيني مقيم في بورتوريكو، كما قامت القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ليبيا بشراء كمية كبيرة من الأدوية والمواد الطبية من السوق المحلي في الأردن وشحنتها مع إرساليات المعونة الأردنية .

بلغت قيمة التبرعات النقدية حوالي (٣٦٩٠٦٥) دينار أردني ، منها مبلغ (٢٣٣٨٩١) دينار أردني و (١٨٩٢١٦) دولار أمريكي و (١٢١٤٠) ليرة سورية و (٥٠٠) مارك ألماني و (٥٠) جنيه إسترليني ، و (١٠٠٠) درهم إماراتي ، و (٥٠) ريال سعودي .

وأما التبرعات العينية فقد كانت على شكل أدوية ومواد ولوازم طبية وملابس وحليب أطفال وما شابهها قدمتها مؤسسات رسمية كوزارة الصحة والقوات المسلحة والهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية ومستشفى الجامعة الأردنية وجمعيات خيرية وشركات أهلية ، وكذلك المواد التي قامت القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ليبيا بشرائها من السوق المحلي في الأردن وشحنها مع المعونات الأردنية .

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد قامت عدد من المستشفيات الرسمية والأهلية وعيادات خاصة في الأردن بمعالجة أعداد من جرحى العمليات الحربية في شيشانيا بدون مقابل . وقام بعض المحسنين بتقديم مساعدات نقدية وعينية لهؤلاء الجرحى مباشرة . ومن الجدير بالذكر أن يذكر فضل الدكتورة ليانا عدنان اوتي وعطاؤها في هذا المجال والرعاية المكثفة بالجرحى.

تم إرسال ثلاث شحنات من المعومات العينية الطبية وغيرها . أرسلت الشحنة الأولى بواسطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر جواً. وأما الشحنتان الثانية والثالثة فقد أرسلتا براً عبر سوريا وتركيا إلى جمهورية أذربيجان حيث تم تسليمها للجنة رسمية من جمهورية الشيشان كانت في باكو من اجل استلام مثل هذه المعونات الإنسانية وإيصالها إلى شيشانيا. ومن الجدير بالذكر بأنه كان لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية السعودية مكتب دائم في باكو فتحته من اجل تنظيم الإغاثة للمتضررين من العمليات الحربية في

إقليم ناغورنو- كاراباخ. وعندما بدأت معركة شيشانيا تولى المكتب المذكور تامين إيصال معونات الهيئة المذكورة للشيشان وقدم مساعدة مشكورة لمندوبي اللجنة الأردنية في هذا المجال. وتقدر قيمة الشحنات الثلاث من المعونات العينية حوالي مليون دولار .

وبالإضافة إلى المعونات العينية سلّم إلى ممثلي الجمهورية في أذربيجان وداغستان حوالي (٧٠٠٠٠) دولار أمريكي نقداً لصرفها على بعض المشردين المعوزين في تلك المناطق . وتم نقل الجرحى الذين عولجوا في الأردن من باكو إلى عمان . كما دفعت مبالغ نقدية لبعض الطلبة والعائلات الشيشانية المشردين الذين انقطعت بهم السبل في الأردن وسوريا . وجرى تقديم معونات منتظمة لعدد من الطلاب الملتحقين في جامعات أردنية . كما استأجرت اللجنة شققاً لإيواء عدد آخر من الطلبة الملتحقين في دورات لتعليم اللغة تمهيداً للالتحاق في الجامعات . واستضافت أيضاً عدداً من المسؤولين في الجمهوريات قدموا للأردن في مهمات رسمية .

واستضاف الأردن ٦٩ من المصابين في العمليات الحربية مع أربعة مرافقين لمصابين كانوا شبه مشلولين. وكانت إصاباتهم كبيرة، احتاجت إلى سلسلة من عمليات جراحية رئيسية ومعالجة مكثفة. وقد تبرعت الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية والخدمات الطبية الملكية ووزارة الصحة والمستشفى الإسلامي ومستشفى البشير ومستشفى الجامعة الأردنية والمركز العربي لجراحة القلب ومستشفى عمان الجراحي والمستشفى التخصصي ومستشفى فلسطين ومستشفى عاقلة ومستشفى ابن الهيثم وبعض الأطباء في عياداتهم الخاصة لمعالجتهم داخل المستشفيات بدون مقابل، في حين أن اللجنة الأردنية تكفلت نفقات قدومهم من باكو إلى الأردن وعودتهم إلى مناطق مختلفة في الاتحاد السوفيتي السابق، وإقامتهم وأعاشتهم والرعاية بهم وبعض الفحوصات المخبرية والعلاج خارج المستشفيات، كما زودتهم بكساء مناسب وأعطيهم مبالغ مناسبة لنفقاتهم حتى وصولهم إلى ديارهم. كما ساهمت اللجنة في نفقات نقل بعض المصابين من باكو إلى كييف للمعالجة في أوكرانيا. وكذلك نقل خمسة من المشلولين إلى كييف وإعطائهم مبالغ مناسبة لتغطية نفقات معالجة تخصصية لهم في أوكرانيا.

كانت اللجنة الأردنية لنصرة شعب الجمهورية الشيشانية القوقازية المستقلة قد انحلت بعد انتهاء هذه الحرب.

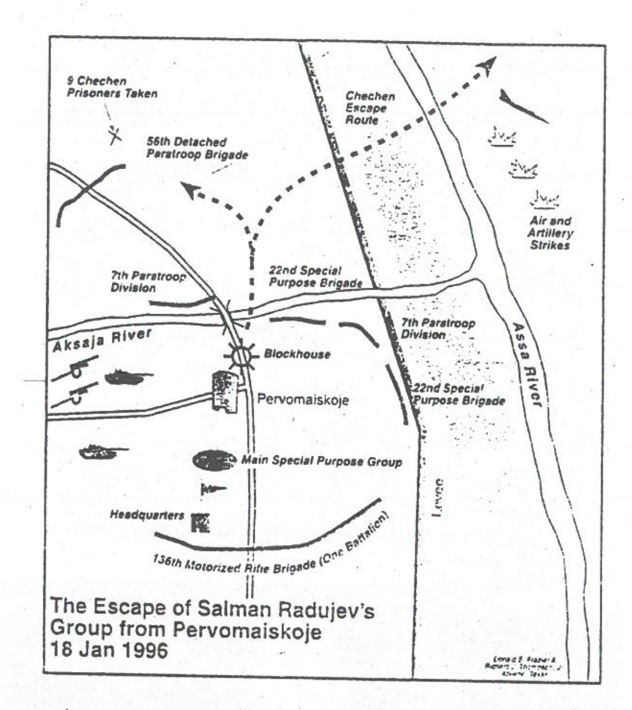
ولما قامت الفدرالية الروسية بإشعال الحرب الثانية المستمرة الآن منذ أيلول ١٩٩٩ ، وتشرد مئات الألوف من سكان الجمهورية المدنيين ، والتجأ عدة مئات منهم إلى الأردن ، وضعت جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – انجوش برنامجاً لتقديم مساعدات إنسانية لهم ولبضع عشرات من طلاب جمهورية الشيشان الذين يدرسون في معاهدة علمية أردنية.

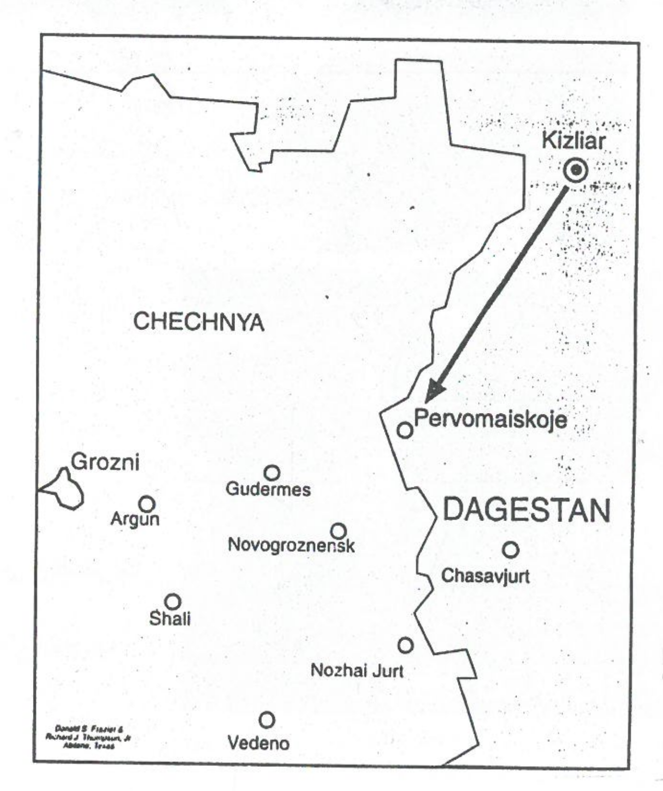
ويجري تمويل هذا البرنامج من خلال تبرعات إنسانية من داخل الأردن وخارجها ، افتتحها جلالة الملك عبد الله الثاني بتبرع مقداره مائة ألف دينار من حسابه الخاص.





تقرير عن معسكرات الاعتقال والتعذيب.





عملية بيرفومسكوى (المصدر كتاب The War in Chechnya).

الفصل الثامن عشر
اتفاقيات ومعاهدات هدنة وسلام

لم يكن جميع الساسة الروس فاسدين أو قوميين متطرفين مثل جيرنوفسكي الذي كان يدعو إلى (زحف اخير على الجنوب... حرب صغيرة مظفرة تفيد حملة يلتسين الانتخابية) أو شاخرى وبيغوروف القوزاقيين الذين عرقلا جهود حل الأزمة بدون حرب.

و لم يكن كل جنرالات الروس مثل روتسكوي الذي كان يردد بأنه عندما كان في أفغانستان، ويبلغه بأن نيراناً أطلقت باتجاه القوات الروسية من قرية ما ، كان يرسل قاذفتين قنابل فلا يبقى للقرية وجود . ولا مثل شامانوف المدمن على خرق مبادئ القانون الدولي الإنساني، ويعتبر زوجة المقاتل الشيشاني إرهابية وطفله الرضيع مشروع إرهابي ، ويبرر ممارسة القوات الروسية للنهب والسرقة وابتزاز الرشوات لأنهم لا يتقاضون رواتب مساوية لنظائرهم في الجيش الأمريكي.

و لم يتخذ جميع المراقبين من الخارج موقف (لا أرى ... لا أسمع ... لا أتدخل) مثل كلينتون الذي أرسل عند بدء الغزو الروسي لشيشانيا رسالة تشجيع إلى يلتسين يتمنى (بأن تنتهي الحملة في اقصر وقت وبأقل إصابات بين المدنيين) وأن (شيشانيا جزء من روسيا ... والحركة الاستقلالية الشيشانية شبيهة بتمرد الولايات الجنوبية أثناء الحرب الأهلية الأمريكية).

ودودايف وأعوانه لم يكونوا متطرفين يرفضون التفاهم مع الجانب الروسي للتوصل إلى حل توافقي يحقق للجانب الشيشاني الحق في تقرير المصير ، وللجانب الروسي مراعاة مصالحه الاستراتيجية .

كانت هناك مؤسسات وسياسيين وعسكريين روس، وعت العواقب السلبية لصدام عسكري في النزاع الروسي الشيشاني، ليس بالنسبة لطرفي النزاع فقط بل

للمنطقة بكاملها. سعت هذه الأوساط إلى تجنب الصدام العسكري. وعندما بدأ الغزو الروسي نددت به، وأخذت تسعى للتوصل إلى حل تفاوضي.

ومن أشهر جنرالات روسيا الذين انتقدوا الغزو بوريس غروموف الذي رفض استلام قيادة الحملة الروسية في شيشانيا التي وصفها (زحف الحمقى)، ونائبي وزير الدفاع الجنرال جورجي كوندراتييف والجنرال فاليري اللذان استقالا من الخدمة العسكرية احتجاجاً على الغزو . وقال كوندراتييف "إن دوداييف رئيس شرعي لشيشانيا "، ودعا يلتسين للتوصل إلى حل سياسي وليس حربي . وكان أشدهم انتقاداً للحملة الجنرال ليبيد الذي قال (بغير استعداد ... يزجون صبية غير مدربين ليواجهوا الرصاص .. أنها سلطة مجرمة هذه التي ترسل الألوف من مواطنيها إلى موت محتم) وقال (أنه مستعد لقيادة حملة شريطة أن يكون جنودها من أبناء الوزراء والمتنفذين في الكرملين). ويعتبر الجنرال ليبيد والجنرال مسخادوف (رئيس أركان القوات الشيشانية في حينه) مهندسي اتفاقية الهدنة الروسية/الشيشانية التي وقعت بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١ والتي سترد لاحقاً. وكذلك الجنرال اناتولي رومانوف الذي تولى قيادة القوات الروسية في شيشانيا لفترة قصيرة، توطدت خلالها الصداقة بينه وبين مسخادوف وكان يردد "أصلان لن أطلق النار حتى ولو أمرتني موسكو" فقامت الأوساط المتطرفة في القوات الروسية بمحاولة اغتياله في عملية تفجير لموكبه في غروزني ولا يزال في غيبوبة.

ومن أبرز السياسيين الروس ، الذين سعو إلى أن لا يتطور النزاع الروسي/ الشيشاني إلى حرب، وبعدما قامت روسيا بغزو الجمهورية الشيشانية واظبوا على سعيهم لإيقاف القتال، كما قاموا بالتنديد بخرق القوات الروسية لمبادئ حقوق **الإنسان والقانون الإنساني الدولي**، أذكر وبدون تحديد .

سيرجي كوفاليوف

مفوض منظمة حقوق الإنسان، والعضو في البرلمان الروسي. انتقد بشدة قرار مجلس الأمن الروسي بغزو شيشانيا في وقت لم يكن أي مستشار في النظام السوفيتي يجرأ أن يتلفظ بأية ملاحظة تختلف عن ما يريده الرئيس وإلا فإنه يصبح خارج النسق والأسلوب والقواعد، وعندما يتطرق إلى الأزمة الشيشانية لا تعنيه طريقة حلها، بل أن تتطابق ملاحظته مع توجهات الرئيس.

توجه قبيل الهجوم الروسي على غروزني مع أناتولي شاباد وغيرهما إلى شيشانيا في سعى لإيقاف الحرب، وكانوا في ليلة معركة راس سنة ١٩٩٥ في غروزني معتصمين في القصر الرئاسي، وخرج بعد انتهاء المعركة وشاهد الآليات الروسية المدمرة، وجثث جنودها المبعثرة في البرك الطينية تنهشها الكلاب ، أرسل برقية إلى يلتسين من غروزني يطلب منه "إيقاف هذه المذبحة المجنونة... وإيقاف حلقات اليأس والأكاذيب الملطخة بالدماء".

وعندما كان يلتسين يعلن بأنه أمر بوقف الغارات ، كان كوفاليوف المتواجد في غروزني بكشف للعالم أن الغارات والقصف العشوائي لم تتوقف. وعندما عاد إلى غروزني قابل يلتسين ودعاه إلى انتهاز مناسبة عيد الميلاد لدى الكنيسة الأرثوذكسية (٦ يناير) لإعلان وقف إطلاق النار إلا أن يلتسين أجاب "لم يحن الوقت بعد ". وكانت الغارات الجوية والقصف الصاروخي والمدفعي العشوائي في ذلك اليوم الأشد عنفاً في تاريخ المدينة . وطالب بأن تقوم بعثة منظمة الامن والتعاون الاوروبي في شيشانيا بدور أكبر في متابعة اختراق مبادئ حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي، وانتقدها لتخاذلها في الإعلان بصراحة على عدم شرعية الانتخابات التي أجراها زفجاييف في شيشانيا في ديسمبر ١٩٩٥ وقال :"لو أعلنت عدم شرعية الانتخابات لترددت السلطات الروسية في السماح بإجرائها". وقال بأن اقتحام المقاتلين الشيشان لمدينة غودرمس لعدة ايام الذي تسبب في خسائر كبيرة بين القوات الروسية والمدنيين كان بقصد تعطيل التصويت في هذه الانتخابات.

تمكن كوفاليوف وشاباد ويوشنكوف من أعضاء البرلمان الروسي والكاهن البوذي الياباني الأصل (Junsei Terasawa) ومعه عدد من زملائه الكهنة ، من دخول قرية سيماشكا التي كانت القوات الروسية قد أغلقتها أثر الجريمة الإنسانية التي أقترفتها في القرية. شاباد تنكر بزي امرأة ودخل القرية مع مجموعة من نسائها العائدات اليها. وأما الكاهن البوذي ورفاقه فوصلوا القرية من خلال ممرات مشاة في الغابات المجاورة. وأخبرني بأنهم ضلوا في الغابة وبقوا يومين بدون طعام.

وعندما عاد كوفاليوف ورفاقه إلى موسكو، كشفوا عن وقائع الجريمة وفي جلسة متلفزة لإحدى لجان البرلمان الروسي. أصابت وزير الدفاع غراتشيف نوبة هستيرية ووصف كوفاليوف (عدو روسيا)، ويوشنكوف (حشرة صغيرة) وقال "صبيان صغار عمرهم لا يتجاوز ١٨ عاماً يموتون من أجل روسيا... نعم يموتون والابتسامة على وجوههم ... أنهم يستحقون أن يشاد نصب لتكريمهم وليس توجيه الانتقاد لتصرفاتهم". ودعا نائب البرلمان الروسي غوفيروجن إلى محاكمة كوفاليوف وشاباد اللذين يمثل نشرهما عن أحداث سيماشكا (بث الحقد والكره ضد روسيا).

وقامت السلطات الروسية بقطع خطوط الهاتف عن مكاتب كوفاليوف ويوشنكوف وبولتورانين في البرلمان الروسي.

اختارت جريدة ازفستيا كوفاليوف (رجل السنة لعام ١٩٩٥). وقالت في مقال افتتاحي "أثناء اكثر مآسي السنة بشاعة ورعباً ، فان شخصية وتصرفات سيرجي كوفاليوف كانت مصدر أمل لقلوب ملأها الألم والأمل" إلا إن هذه الشهادة لم تنقذه من دسائس الفاسدين الحاقدين ، الذين نجحوا في عزله من مركز (مفوض منظمة حقوق الإنسان الروسية) .

أناتولي شاباد

ليبرالي وعضو في البرلمان الروسي. كان معارضاً للغزو الروسي وداعياً لوقف القتال. وردت بعض نشاطاته عند الحديث عن كوفاليوف.



يندربابيف يرفض الجلوس الا على قدم المساواة مع يلتسين.

سيرجي يوشنكوف

ليبرالي ورئيس لجنة الدفاع في البرلمان الروسي فيما بين ١٩٩٣-١٩٩٥. كان معارضاً شديداً للغزو الروسي لشيشانيا، وقال أن السلطات الروسية أخطأت عندما توهمت أنها ستقاتل في شيشانيا عصابات صغيرة. و لم تفهم بأن المواجهة ستكون (مع شعب عريق في تقاليده، وله تاريخ طويل في النضال ضد عدوان أجنبي). وهو الذي كشف بأن قرار اقتحام غروزني ليلة راس سنة ١٩٩٥ كان قد اتخذ في حفلة سكر وعربدة مع وعد بترفيع الضابط الذي تحتل وحداته القصر الرئاسي إلى رتبة جنرال بثلاث نجوم.

وذكر بأن الدبابات التي خسرتها روسيا في تلك المعركة، كانت أكثر وأحدث وأكبر من الدبابات التي خسرتها في معارك احتلال برلين.

وقام بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١ بالسفر إلى غروزني في محاولة للإفراج عن سراح الجنود الروس الذين أُسروا عند اشتراكهم مع قوات المعارضة في محاولة للاستيلاء على غروزني بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٦. وعندما كان يهم بركوب الطائرة اتصل مع أوليج لوبوف سكرتير مجلس الأمن الروسي يستفهم فيما إذا كان يتوقع إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية خلال فترة زيارته، فكان الجواب (ليست أحكام عرفية... بل حرب، فنحن نحتاج إلى حرب صغيرة مظفرة لرفع شعبية يلتسين).

ومع تبلغ يوشنكوف خبر بدء الغزو، ذهب إلى غروزني واجتمع مع دوداييف. وذكر بأن دوداييف كان يتطلع إلى اجتماع مع يلتسين، وأنه كان مستعداً لتوقيع معاهدة مماثلة للمعاهدة التي عقدتها روسيا مع جمهورية تتارستان. وأن جمهورية الشيشان ستُبقى على روابط نقد وجمارك واتصالات ودفاع وأمن حدود مع روسيا، وتشكيل لجنة مشتركة لدراسة الشكل النهائي للوضع السياسي للجمهورية. وذكر يوشنكوف بأنه عندما عاد إلى موسكو لم يجد أحداً مستعداً لبحث الموضوع، وقال:

"أن يلتسين لم يعد يستمع لنا ... أنه لا يحتاج لمشورتنا ... ولذلك فقد حان الوقت لأن ننتقل إلى المعارضة".

فياتشيسلاف ميخائيلوف

كان يشغل منصب نائب وزير القوميات، ولكنه لم يكن في وفاق مع رئيسيه شاخراي ويغوروف فيما يتعلق بالقضية الشيشانية. ففي حين كان الوزيران يضعان العراقيل أمام مساعي التوصل لحل النزاع بدون حرب، كان ميخائيلوف يدعو إلى عدم التورط العسكري.

طار بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١، إلى فلادي قفقاسيا وهو لا يعلم أن الغزو قد بدأ. وقابل هناك وفداً شيشانياً برئاسة وزير المالية. اتفقوا على الاستمرار في مساعي السلام بالرغم من بدء الغزو ، والعمل على عقد اجتماع لدوداييف مع يلتسين وتشيرنوميردن، الذي أبلغه موافقته على الاجتماع. إلا أن الجانب الروسي قرر في اللحظة الأخيرة نقل مكان الاجتماع إلى موزدوك، وأن يمثل الجانب الروسي فيه الصقور المتشددون غراتشيف ويغوروف ويرين. وطبعاً رفض دوداييف هذه التبديلات ، فتوقفت المفاوضات واستمر الغزو.

وفيما بعد تولى ميخائيلوف وزارة القوميات، وترأس الفريق الروسي في المفاوضات التي جرت مع فريق شيشاني برئاسة وزير العدل عثمان إيمايف وتوصلت إلى توقيع اتفاقية عسكرية. وعندما جرت محاولة لاغتيال الجنرال رومانوف في غروزني بهدف تعطيل هذه الاتفاقية صرح ميخائيلوف بأنه "لا علاقة لمؤيدي دوداييف بهذه المحاولة"، مشيراً بذلك إلى تورط المخابرات الروسية.

واستمر ميخائيلوف في مساعيه لعقد اجتماع بين دوداييف والقيادة الروسية العليا من خلال وسطاء مثل رئيس جمهورية تتارستان وملك المغرب.

يوري كالميكوف

وزير العدل الروسي عام ١٩٩٤ ، شركسي الأصل . كان معارضاً شديداً لتوجهات الصدام العسكري. وكان ينبه غراتشيف " أنك لا تستطيع أن تحل الأمور بهذا الشكل ... أن شيشانيا ليست هاييتي". واستقال احتجاجا على تصويت مجلس الأمن الروسي على غزو شيشانيا، وادعى أن غراتشيف خدع المجلس بادعائه بأن الغزو سيكون حملة بسيطة وسهلة وقصيرة.

وفور استقالته وقبيل بدء الغزو ذهب إلى غروزني وقابل دوداييف في جهد لحل النزاع إلا أن الغزو بدأ قبل أن تثمر جهوده.

كونستنتين بوليكوفسكي

سياسي ليبرالي وعضو في البرلمان الروسي. كان يزور دوداييف مراراً في سعي لإيقاف القتال. واتهم المخابرات الروسية بأنها تتحدى يلتسين وتعمل على تعطيل أي اجتماع له مع دوداييف مما قد يؤدي إلى إيقاف القتال، وقامت بعدة محاولات لاغتيال دوداييف حتى تمكنت من ذلك أخيراً.

وفي اللحظة التي استشهد فيها دوداييف ، كان يجري اتصالاً هاتفياً مع بوليكوفسكي.

وبالإضافة إلى من تقدم ذكرهم فإن رئيس الوزراء الأسبق يغور غايدار، ومستشارة يلتسين لشؤون القوميات والنائبة في البرلمان غالينا ستاروفوتيوفا كانا يعارضان خيار الحرب، ودعيا لاجتماع بين يلتسين ودوداييف.

ومن خارج دوائر الكرملين والدوما الروسي فإن رئيس جمهورية تتارستان منتمير شاميف سعى مراراً لعقد اجتماع بين يلتسين ودوداييف.

وكان رسلان أوشيف رئيس جمهورية أنجوشيا أكثر من سعى لتحاشي الحرب قبل بدء الغزو الروسي، وسعى لوقف القتال طيلة فترة الحرب.

كان أوشيف طياراً ووصل إلى رتبة جنرال أثناء خدمته في أفغانستان. كان على وعي بحدود إمكانيات جمهوريته الصغيرة ، ومدركاً لنوايا الفدرالية الروسية تجاه الجمهورية الشيشانية.

ولذلك فإنه عندما تعرض شعبه الصغير لعدوان روسي/أوسيتي أدى إلى قتل عدة مئات وتشريد حوالي ٦٠٠٠٠ من الأنجوش من لواء بريغورودني في أوسيتيا الشمالية، حذر أوشيف دوداييف مِن مخطط روسي لاستدراجه للتدخل في النزاع حتى تخلق مبرراً لغزو شيشانيا.

وللحد من إدعاء أوساط روسية، بأن الاعتراف باستقلال شيشانيا يشجع الجمهوريات الأخرى في شمال القوقاز على المطالبة بالاستقلال أيضاً كان يقول للروس

(امنحوا الشيشان حقهم في تقرير مصيرهم، وأعدكم بأن جمهورية أنجوشيا وباقي جمهوريات شمال القوقاز لن تسعى للانفصال عن الفدرالية الروسية).

وعندما استدعاه تشيرنوميردن لتوقيع رسالة موجهة من قادة شمال القوقاز تطالب يلتسين "بالحفاظ على الدستور، وحقوق وحريات الأفراد، واتخاذ الإجراءات لدعم الأمن بينهم" وكان حكام مقاطعة أديغة، وجمهورية كاراتشاي/شركس، وجمهورية قبرطاي/ بلقر، وجمهورية أوسيتيا الشمالية، وإقليم كراسنودار، وإقليم ستافروبول قد وقعوها، رفض علي محمدوف رئيس جمهورية داغستان ورسلان أوشيف توقيع الرسالة. قال رسلان لتشيرنوميردن "هذا يعني الحرب" فأجابه تشيرنوميردن "لا بل تطبيق النظام الدستوري".

واستضاف أوشيف في أنجوشيا معظم الاجتماعات والمفاوضات التي جرت للتوصل إلى حل سلمي للنزاع الروسي/الشيشاني، ولا أكون مبالغاً إذا وضعته كشريك للجنرال ليبيد والجنرال مسخادوف كمهندس لاتفاقية السلام الروسي/ الشيشاني .

ومن خارج أقطار الاتحاد السوفيتي السابق والفدرالية الروسية اللاحقة كان تيم غولدمان (Tim Guildmann) رئيس البعثة الخاصة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي في جمهورية الشيشان موفقاً في مساعيه لعقد لقاءات ، ورعاية أو ترتيب أو مراقبة عدة مفاوضات بين طرفي النزاع ، مثل مفاوضات فريقي ميخائيلوف وإيماييف، ومقابلة يلتسين ويندربابيف ، واتفاق ليبيد ومسخادوف.

وسعى جلالة الملك الحسين رحمه اللّه واسكنه فسيح جنانه إلى عقد هدنة ووقف القتال والمباشرة بمفاوضات دون شروط مسبقة تهدف إلى حل تفاوضي للنزاع.

وكانت خطة المرحوم تشمل إرسال طائرة شحن تابعة لسلاح الجو الملكي الأردني تحمل مساعدات عينية إنسانية ... أدوية ولوازم طبية ، تهبط في مطار غروزني، ويقوم وفد أردني برئاسة مبعوث من قبل جلالته (معالي السيد مروان

القاسم رئيس الديوان الملكي في حينه) بنقل الشحنة إلى الخطوط الفاصلة بين القوات الروسية والشيشانية، وتسليمها للسلطات الشيشانية .

ومع أن السلطات الروسية كانت قد أعطت موافقة مبدئية لإرسال الطائرة ، إلا انه تعذر تأمين ضمانات كافية لسلامة الطائرة وركابها ، فتقرر إرسال المساعدات الإنسانية من خلال أساليب أخرى .

وبالرغم من تعذر إرسال الطائرة ، استمرت مساعي جلالته لعقد هدنة ومباشرة المفاوضات . وفي اتصال هاتفي (وكان الذي يقوم بالترجمة من العربية إلى الشيشانية وبالعكس الدكتور يوسف بلتو أمين صندوق جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان انجوش) شكر دوداييف جلالته على مساعية، وقبل وساطته واستعد أن يؤكد ذلك على الفاكس . ومع ان مساعي عقد الهدنة لم تنجح إلا أن جلالته اصدر توجيهات سامية بمواصلة تقديم المعونات الإنسانية .

وجاء في كتاب (شيشانيا حرب صغيرة مظفرة) بأن السياسي والصناعي الروسي المتنفذ اركادي فونسكوي ، والذي كان نائباً لرئيس الوفد الروسي في مفاوضات ميخائيلوف / ايماييف ، ذكر بأنه عندما أصبح وضع القوات الشيشانية صعباً وبدا ميئوساً منه ، نقل إلى دوداييف عرضاً بجواز سفر أردني ، وأموال كثيرة ، وطائرة لنقله للخارج ، وحصانة من أية مسائلة قانونية أو ملاحقة من بوليس الانتربول، إلا أن دودابيف رفض وقال : "إنني وطني شيشاني ... وافضل الموت في وطني".

كما وان معالي السيد مروان القاسم اخبرني بانه لا يعتقد بأن السلطات الاردنية بحثت موضوع منح جواز سفر اردني لدودابيف.

وكان الرئيس الروسي السابق غورباتشوف قد صرح في بداية الحرب بأنه مستعد للتوسط في النزاع الروسي / الشيشاني . سألته في لقاء معه عندما ألقى محاضرة في المعهد الدبلوماسي الأردني أثناء زيارة له للأردن فيما إذا كان لا يزال مستعدا

للتوسط في النزاع ... ؟ أجاب: "لا فائدة ما دام هذا الرجل (ويعني يلتسين) على راس السلطة الروسية" .

صدرت مراراً عديدة أوامر وإعلانات وقف القتال، إلا أن الطرفين لم يتقيدا بها وخاصة الجانب الروسي، لأن القادة في الميدان كانوا يتحدون أوامر موسكو . ويتفكه المراقبون أن ترتيبات وقف إطلاق النار الوحيد التي التزم بها الطرفان تماماً كان خلال يومي ١٦ و١٧ شباط ١٩٩٥ لغاية اتاحة الفرصة لنقل وتبادل جثث القتلى وتبادل الأسرى، غير أن الهدف الحقيقي كان إجلاء بقايا الجالية اليهودية من شيشانيا. وقد تم ذلك فعلاً بسبب النفوذ اليهودي في الفدرالية الروسية.

وأما المفاوضات التي توصلت إلى صياغة خطية لمقترحات لتجنب الحرب قبل وقوعها أو إنهائها بعد أن بدأت فمنها:

أولاً : مفاوضات شاخراي أحمدوف:

جرت بين فريق روسي برئاسة وزير القوميات ونائب رئيس الوزراء شاخراي، وفريق شيشاني برئاسة حسين أحمدوف رئيس البرلمان الشيشاني عام ١٩٩٣. وتم التوصل إلى صياغة بروتوكول حول تحديد صلاحيات ومسؤوليات الطرفين باعتبارهما شريكين متساويين. وأشير إلى ضرورة تطبيع العلاقات بين الفدرالية الروسية والجمهورية الشيشانية في المجالات الاقتصادية والدفاع والإعلام والثقافة. وكان هناك غموضاً مقصوداً حول الوضع السياسي الدولي لشيشانيا على أمل أن يتوصل الجانبان إلى معاهدة قبل نهاية يناير ١٩٩٤ تحدد هذه الأمور.

ولم يقبل دوداييف الغموض في الصياغة حول الوضع السياسي للجمهورية.

ثانياً : مفاوضات ميخائيلوف/إيماييف

جرت بين فريق روسي برئاسة وزير القوميات ميخائيلوف ونائبه فولسكي وعضوية كوليكوف وفريق شيشاني برئاسة وزير العدلية عثمان إيماييف ونائبه رئيس الأركان المسلحة مسخادوف وعضوية أحمد زكاييف وزير الثقافة وشروان بيساييف شقيق شامل بيساييف وغيرهم. بدأت هذه المفاوضات تنفيذاً للاتفاق الذي كان قد تم

بين تشيرنوميردن وشامل بيساييف في إطار تسوية عملية بودينوفسك . وقامت منظمة الأمن والتعاون الأوروبي باستضافة اجتماعات المفاوضات في مقر بعثتها في غروزني.

كانت المفاوضات تشمل مسارين عسكري وسياسي، ويظهر إن الإصابات الكثيرة في الجانبين وقناعة الطرفين بعدم قدرته على تحقيق نصر عسكري نهائي، كانت عاملاً في التوصل إلى اتفاق عسكري وقعه الفريقان المتفاوضان بتاريخ ١٩٩٥/٧/٣٠، فيما تم الاتفاق على الاستمرار في المفاوضات على المسار السياسي.

علق عثمان إيماييف بعد توقيع الاتفاقية : " أكدنا الآن بشكل قانوني نهاية الحرب في الشيشان" وعلق مسخادوف " في هذه الحرب ليس هناك فائز. في المستقبل لن يكون حل المشاكل بين الشيشان والروس باستخدام القوة".

وعلق ميخائيلوف : "اتخذنا اليوم خطوة هامة للغاية في المحادثات الصعبة التي أصف بأنها كانت صراعاً لتمهيد الطريق إلى السلام".

وكان من أهم ما نصت عليه الاتفاقية وتفاعل بها المتفاوضون الأمور التالية:

١- وقف العمليات الحربية على الفور.

٢- وضع برنامج للفصل بين القوات الروسية والشيشانية، وتشكيل دوريات مشتركة لتحقيق ذلك.

٣- تبادل الأسرى.

٤- نزع تدريجي لسلاح القوات الشيشانية وتسليمها للجانب الروسي.

٥- انسحاب جزئي للقوات الروسية من شيشانيا.

٦- تشكيل وحدات دفاع ذاتي في التجمعات السكانية الشيشانية.

بالنسبة لتبادل الأسرى (البند الثالث أعلاه)، فقد وقع عند التطبيق خلاف حول إعداد الأسرى و/أو المحتجزين لدى كلا الجانبين ولعله كان عذراً لاستئناف الروس للعمليات الحربية .

وأما بالنسبة لنزع تدريجي لسلاح المقاتلين الشيشان وتسليمه للجانب الروسي (البند الرابع أعلاه)، فقد شهد انعطافاً خطيراً عندما ربط الجانب الشيشاني تسليم

السلاح بتقدم مفاوضات السلطة السياسية في الجمهورية الشيشانية. كما لعب الفساد والرشوة دوراً كبيراً في عمليات تسليم السلاح للجانب الروسي.

كان سلاح المقاتلين المتطوعين ، وفرق الدفاع الذاتي من خارج الجيش النظامي ، ملكاً شخصياً لهم . ولذلك فقد وضعت ترتيبات لتعويض الذين يسلمون سلاحاً للجانب الروسي مبلغاً محدداً لكل نوع من الأسلحة (١٥٠ دولار مقابل بندقية كلاشينكوف، ٢٠٠ دولار مقابل رشاش ثقيل ...الخ).

وبدأت في شيشانيا حركة كشف عن أسلحة قديمة كانت قد دفنت أيام العهد السوفيتي. وكان يجري تسليمها على اعتبار أنها من الأنواع المشمولة بالترتيبات الخاصة بهذه العملية فيتقاسم المُسلّم والمُستَلِم البدل المقرر. وكانت الحصة التي تبقى للمسلم كافية لشراء بندقية حديثة من الجنود الروس. وأما قطع الأسلحة التي سلمت للجانب الروسي فكان يجري إتلافها ودفنها.

وبالنسبة للانسحاب الجزئي للقوات الروسية من شيشانيا (البند الخامس أعلاه) فقد سمح للجانب الروسي أن تبقى في شيشانيا قوة من حوالي ٦٠٠٠ عنصر من قوات وزارة الداخلية الروسية حتى يتم التوصل إلى اتفاق حول المسار السياسي.

وأما بالنسبة لتشكيل وحدات الدفاع الذاتي (البند السادس أعلاه) فكان محل رضا مسخادوف، إذ نصت الاتفاقية على تشكيل وحدة دفاع ذاتي يضم من ١٥-٢٥ عنصر مع أسلحتهم الشخصية في كل مركز سكني. وحيث أن عدد المراكز السكنية كانت حوالي ٥٠٠ تجمعاً، فإن ذلك يتيح لمسخادوف الاحتفاظ بحوالي ١٠٠٠٠ مقاتل متدرب مع سلاحهم. وهذا العدد هو أكبر مما كان لدى القوات النظامية الشيشانية عندما كانت العمليات القتالية في أوجها.

كانت هناك ثقة متبادلة بين مسخادوف والقائد الروسي في الشيشان الجنرال رومانوف. فعملا على تنسيق دوريات مشتركة لمراقبة تنفيذ برنامج الفصل بين القوات الروسية والشيشانية (البند الثاني أعلاه). إلا أن هذا التعاون توقف عند إصابة رومانوف في محاولة اغتياله. فهذه الاتفاقية لم تكن (كما تنبأ ميخائيلوف) مكان ترحيب جميع المعنيين. وكان هناك في موسكو وفي شيشانيا من يعمل على تعطيلها.

وما محاولة اغتيال رومانوف بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٧، وقبله بتاريخ ١٩٩٥/٩/٢٠ بأسبوعين محاولة اغتيال أوليج لوبوف المبعوث الخاص ليلتسين في الشيشان ، إلا حلقة في محاولات تعطيل الاتفاقية من قبل أطراف روسية (المخابرات؟) أو متعاونة معها.

وفي الجانب الشيشاني، انتقد دوداييف بحدة إيماييف بدعوى تساهله مع الجانب الروسي، وتسرعه في توقيع الاتفاقية قبل تبلغه موافقة القيادة الشيشانية العليا . فعزله من رئاسة الوفد وعين مكانه خوجة أحمد إيريخانوف. إلا أن مسؤولاً شيشانياً نفى وجود انشقاقات داخل القيادة الشيشانية وأن الخلافات في وجهات النظر مع إيماييف تنحصر فقط بتنظيم الوفد ولا تشمل أياً من القضايا الجوهرية. غير أن إيماييف رحل إلى موسكو وانضم إلى صفوف المعارضة . وبعد عشرة أشهر من عزله علق قائلا :" تصرف نموذجي لدكتاتور . لقد شعر دوداييف بأن التوصل إلى الاتفاقية كان بدون مساهمة منه، وأن يلتسين وتشيرميردن لم ينويا الاجتماع به" .

ومع أن دوداييف انتقد إيماييف وعزله من رئاسة وفد المفاوضات، إلا أنه تبنى الاتفاقية العسكرية التي كان قد وقعها جميع أعضاء الوفد الشيشاني بما فيهم مسخادوف، وأمر بمراعاتها. إلا أنه وقعت بين الجانبين خلافات حول عدة أمور منها :-

١- تبادل الأسرى وإعدادهم لدى كل جانب .
٢- إجراءات نزع سلاح القوات الشيشانية وتسليمها للروس.
٣- رفض الجانب الشيشاني طلباً روسياً لمشاركة الحكومة الشيشانية الموالية لها في المباحثات.
٤- انتهاكات متعمدة لوقف إطلاق النار من قبل قادة ميدانيين روس.
٥- عدم توصل الجانبين لتصور مشترك حول الوضع السياسي للجمهورية الشيشانية.

وبسبب هذه الخلافات، فإن اللقاءات بين وفدي الجانبين لم تؤد إلى نتائج ملموسة.

ثالثاً: اجتماع يندربايف مع يلتسين وتشيرنوميردن :

خرجت تطورات الحرب عن الدور الذي كان قد خطط لها (حرب صغيرة قصيرة مظفرة ترفع من شعبية يلتسين).

واستنكر الروس انعزال يلتسين خلال الأسبوعين الأولين من بدء الغزو بحجة إجراء عملية جراحية لأنفه. وأخذوا يتندرون بأن دور أنف رئيسهم / القائد العام للقوات الروسية المسلحة في الأحداث العالمية لا يقل عن دور انف كليوباترا الجميلة التي استطاعت أن تغوى كلاً من يوليوس قيصر ومارك انطونيوس في مسعى للحفاظ على كيان واستقلال بلادها.

وأمهات الجنود اللواتي كن قد تبلغن بموت أبنائهن أو اعتبارهم مفقودين، ولم تصلهن توابيت جثثهم ، أخذن يتساءلن فيما إذا كانوا من بين من بثت قنوات التلفزة الروسية والعالمية من صور جثث جنود روس تتعفن في برك الوحل أو تنهشها الكلاب في شوارع غروزني ، من دون أن تولي القيادة العسكرية الروسية اهتماماً لجمعها والتحقق من هويتها ودفنها بما يتناسب مع كرامة جثمان جندي مقاتل.

وبالرغم من هذه التطورات المؤلمة، لم يأبه رئيس الجمهورية/القائد العام للقوات المسلحة، ولا رئيس حكومته، خلال (١٨) شهراً من تواصل القتال بزيارة الجبهة ولو كإشارة رمزية على اهتمامهما بالتطورات. فبدأت مسيرات احتجاج في موسكو وأنحاء أخرى في الفدرالية، وهبطت شعبية يلتسين إلى مستوى متدني. وبات المراقبون يشكون في أن يترشح لانتخابات الرئاسة السوفيتية في حزيران ١٩٩٦، وبفرص نجاحه فيما إذا ترشح. واقترح خبراء الحملات الانتخابية الأمريكيين الذين كان قد جرى التعاقد معهم لتنظيم حملة انتخاب يلتسين بأن يقوم بمبادرات تظهر بأنه يهتم ويسعى لإيقاف القتال.

نشرت وكالة انترفاكس بأن يلتسين صرح بتاريخ ١٩٩٦/٥/٢ بأنه "يعتزم زيارة الشيشان في وقت لاحق من هذا الشهر، وأنه مستعد للاجتماع مع القيادة الشيشانية".

كما وأن الرئيس الشيشاني الجديد كان قد صرح بتاريخ ١٩٩٥/٥/١ عن استعداده للدخول في مباحثات مع موسكو لوقف إراقة الدماء في المنطقة، وأضاف "أن الإجماع بين القيادات العليا يجب أن يتم على أساس الرغبة الحقيقية في إحلال السلام في الشيشان، وليس القيام بأعمال دعائية في الفترة التي تسبق الانتخابات الرئاسية في روسيا".

وفي اجتماع حضره ٣٩ وزير خارجية من أعضاء المجلس الاوروبي صرح وزير خارجية روسيا يفجيني بريماكوف بتاريخ ١٩٩٦/٥/٣ حول النزاع الشيشاني الروسي.

"كل شيء قابل للتفاوض، وكل المواضيع يمكن أن تطرح على طاولة المفاوضات بما في ذلك وضع إقليم الشيشان ، بمجرد أن نرى بوضوح أن الجانب الشيشاني أصبح له ممثل نقوم باتصالات معه. وأعني بالتمثيل... تمثيل الذين يقاتلون القوات الاتحادية ، فمنذ موت دوداييف يسود في الشيشان عدم إدراك واضح للأمور".

هذه الإشارات من الجانبين أدت إلى التوصل إلى اتفاق لاجتماع قمة في موسكو. واتفق على أن تضمن منظمة الأمن والتعاون الأوروبي سلامة الوفد الشيشاني عند سفره وحتى عودته للشيشان، وأن يحضر رئيس بعثة المنظمة في الشيشان تيم غولدمان اجتماع القمة كشاهد على المباحثات.

وكان مولادي أودغوف المتحدث باسم الحكومة الشيشانية قد صرح قبل مغادرة الوفد الشيشاني (يندربايف وأحمد زكاييف ومولادي أودغوف) إلى موسكو بأن "الوفد الشيشاني يذهب إلى موسكو للبحث في مسألة وقف الحرب واحلال السلام في منطقة القوقاز" . ونفى بأن الجانب الشيشاني يتفاوض من موقف ضعف وقال "لدى الجانب الشيشاني جميع السبل والموارد التي تساعده على القيام بعمليات عسكرية ضد روسيا".

ونقلت إذاعة في موسكو عن يندربايف قوله: " إن ثمة فرصة لنجاح مفاوضات السلام، وأنه سيطلب من قواته وقف العمليات الحربية في فترة اللقاء".

وشدد يلتسين الذي كان يواجه معركة صعبة في الانتخابات الرئاسية التي كانت ستجري خلال ثلاث أسابيع على أمله في التوصل إلى اتفاق سلام في الشيشان. إلا أن وزير الدفاع الروسي غراتشيف لم يشارك الآخرين تفاؤلهم وقال: "لا يمكن أن يعم السلام في الشيشان إلا بعد القضاء على الثوار" وصرح القائد الروسي في الشيشان الجنرال شامانوف لوكالة انترفاكس : "أن القوات المسلحة الروسية تعتزم استكمال مهمة نزع سلاح الثوار وسحقهم. نحن لا نعتزم على الخلط بين مهام دوائر السياسة ومهام القوات المسلحة ... كل جهة لها مهامها".

وعلى هذه الخلفية عقد اجتماع القمة الروسي الشيشاني. وكاد أن ينفض قبل بدئه بسبب محاولات يلتسين أن يهيمن على الاجتماع ويربك ياندربابيف منذ لحظة لقائهما. وقد بثت التلفزة الروسية والعالمية صور التوتر الذي وقع بسبب هذه المحاولات.

كان الوفد الشيشاني قد تأخر ساعة في الوصول إلى مكان الاجتماع، فقال يلتسين: " لا يجوز لأحد أن يجعل الرئيس الروسي ينتظر حتى ولو خمس دقائق ". فأجاب يندربابيف: "إذن ينبغي أن يكون الرئيس الروسي قادراً على تنظيم البيروقراطية في مكتبه".

وعند الدخول إلى قاعة الاجتماع، توجه يلتسين وجلس على رأس الطاولة ثم أشارَ للوفدين الروسي والشيشاني، طالباً أن يجلسا على جانبي الطاولة قبالة بعضهما. رفض يندربابيف وقال "بأنه لن يجلس إلا إذا جلس يلتسين مع الوفد الروسي قبالته". فقال يلتسين : " اجلس كما طلبت منك" فأجابه يندربابيف "لن أجلس ... فأنا لست موظفاً عندك حتى تأمرني".

هم يندربابيف بالخروج من القاعة فقال يلتسين: "لا أحد يخرج إلا بتصريح مني" وأمر الحرس الرئاسي بمنع يندربابيف من الخروج . التفت بيندربابيف إلى غولدمان وطلب منه أن ينفذ تعهد مجلس الأمن والتعاون الأوروبي بسلامته ومرافقيه حتى عودتهم إلى الشيشان.

وهنا أخذ غولدمان جانب بندربابيف وأخبر يلتسين بأن من حق يندربابيف بأن يتمسك بشكليات الجلوس على طاولة المفاوضات.

ولما كان يلتسين بحاجة لبث صور الاجتماع لغايات انتخابية ، هدأت حدته وجلس مع وفده على إحدى جانبي الطاولة، ولكنه طلب أن يجلس زفجابيف رئيس الحكومة الشيشانية الموالية لروسيا إلى جانب الوفد الشيشاني ... إلا أن يندربابيف رفض ذلك ولكنه لم يمانع جلوسه إلى جانب الوفد الروسي.

وبعد هذه البداية المتوترة هدأت الأعصاب ، وجرت مداولات بهدوء لمدة أربع ساعات، وجرى توقيع اتفاقية ... وقعها تشيرنوميردن ويندربابيف بصفتهما رئيس وزراء الفدرالية الروسية وجمهورية أتشكيريا الشيشانية، جرى بثها على مختلف قنوات الإذاعة والتلفزة ونشرها في الصحف وتضمنت:

١- وقف لإطلاق النار اعتباراً من اليوم الأول من شهر حزيران.
٢- تنظيم آلية لمراقبة وقف إطلاق النار وإنهاء العمليات العسكرية.
٣- تبادل الأسرى.
٤- تبادل خرائط حقوق الألغام خلال أسبوعين.

وقال يلتسين :" لقد تمكنا من حل مسألة السلام الأساسية في الشيشان. أنه يوم تاريخي ولحظة تاريخية".

وبغض النظر عن استعداد جماعات متشددة في الجانبين الالتزام بالاتفاقية، وأياً كانت نتائجها، فقد رأى المراقبون بأن مجرد جلوس القيادتين على طاولة مفاوضات واحدة، خدمت يلتسين في حملته الانتخابية.

وأما بالنسبة للقيادة الشيشانية فيعد نصراً سياسياً ومعنوياً بالغ الأهمية، ويشكل اعترافاً ضمنياً بشرعية نظام الرئيس يندربابيف الذي خلف الشهيد دوداييف.

وكان يلتسين يخبئ في جعبته خدعاً تغيظ يندربابيف وتخدم حملته الانتخابية. فقد اقترح على يندربابيف أن يمضي في موسكو يومين أخرين يواصل خلالها اجتماعات مع تشيرنوميردن ومسؤولين روس آخرين. وأما هو فقد طار في اليوم التالي لأول مرة منذ بدء الحرب إلى شيشانيا . وهبط في قاعدة عسكرية روسية محصنة في

مطار خارج مدينة غروزني منع الصحفيين من دخولها. استغرقت زيارته بضع ساعات فقط، كانت كافية لإطلاق حزمة من التصريحات المتناقضة في اجتماع ضم كوادر قيادة القوات الروسية وممثلي الحكومة الشيشانية الموالية لروسيا:

- لقد قدمت إلى أرض الشيشان أدعو للسلام.
- إن الاتفاقية التي وقعت في اليوم السابق حدث تاريخي يفتح الطريق للسلام ليس على الورق فقط بل وفي الميدان .
- وموجهاً كلامه للجيش الروسي قال:"وأخيراً انتصرتم ... لقد هزمتم نظام دودابيف المتمرد".
- إن استيلاء الانفصاليين على السلطة كان انقلاباً .
- لقد اقترفنا أثناء تنفيذ واجباتنا بعض أخطاء تعذر تحاشيها... وأنا لا أحاول أن أبرئ نفسي من اللوم.
- يجب أن نبرهن بأن الجمهورية الشيشانية في روسيا وليس في أي مكان آخر.
- إن جماعات المتطرفين المنقسمة على نفسها لن تلقي سلاحها بسهولة، إلا أن استئناف أية نشاطات إرهابية إجرامية من قبلها ستقمع بقوة.
- أتيت إلى الأرض الشيشانية أحمل السلام. إن الروس والشيشان جميعاً يتطلعون إلى حل العقدة، وأن يسود السلام بأسرع وقت ممكن.
- إن المقاومة الشيشانية قد أخمدت عملياً. وطريق السلام والشرعية الدستورية في الشيشان مفتوح.
- لقد ارتكبنا في العام الماضي خطأً كبيراً عندما اتحنا للمقاتلين الشيشان حشد وحداتهم وتنظيم أمورهم. مثل هذا الخطأ لن يتكرر. لن نسمح لهؤلاء المقاتلين أن يستعيدوا قوتهم بعد الهزائم التي لحقت بهم .
- يجب أن لا نسمح للسياسيين أن يعيقوا مسيرة القوات المسلحة.

وحول هذه الاتفاقية صرح الناطق باسم البيت الأبيض الأمريكي:

"إن الولايات المتحدة ترحب بالاتفاقية التي أبرمت بين الفدرالية الروسية وزعيم الشيشان يندرباييف . سنراقب مدى التزام الجانبين بتنفيذها. إن وقف إطلاق

النار الذي يبدأ اعتباراً من يوم الجمعة القادم يضع حداً للخصومة التي استمرت مدة طويلة.

وصرح الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الفرنسية:

" إننا نعطي وزناً كبيراً وأهمية لهذا الحوار الذي يجري على أعلى مستويات القمة في البلدين المتنازعين . إن وقف إطلاق النار يشكل خطوة مهمة نحو التوصل إلى حل سياسي للنزاع".

رابعاً : اتفاقية ليبيد / مسخادوف

كجندي محترف ارتقى الجنرال الكسندر ليبيد سلم الرتب في الجيش الروسي ووصل إلى رتبة فريق. وفي حين عم الفساد في المؤسسات المدنية والعسكرية الروسية... تميز ليبيد كجندي محترف نظيف واكتسب شعبية كبيرة بين قواته.

وكان من أشد المعارضين للغزو الروسي لجمهورية الشيشان، وعلى هذه الخلفية استقال من الخدمة العسكرية.

ومع أنه لم يكن هناك حزب أو طاقم انتخاب منظم يدعمه، فقد جرى ترشيحه في الانتخابات الرئاسية الروسية عام ١٩٩٦ بناء على سمعته كوطني روسي قوي الانتماء وبرنامجه الانتخابي الذي كان يتشكل من بندين رئيسيين... حكومة روسية نظيفة، وإيقاف حرب الشيشان.

ومفاجأة للتوقعات ، جاء في جولة التصويت الأولى بتاريخ ١٩٩٦/٦/١٦ في المركز الثالث (بنسبة ١٤٪ من الذين أدلوا بأصواتهم) بعد يلتسين في المركز الأول، وجينادى زوجانوف رئيس الحزب الشيوعي في المركز الثاني. ولم يحصل أي من المرشحين على نسبة ٥١٪ من الأصوات. وعليه فقد كانت الجولة الثانية مقررة بتاريخ ١٩٩٦/٧/٩.

ولما رأي يلتسين وطاقمه بأن فرص فوزه في الجولة الثانية ستكون أفضل إذا سحب ليبيد ترشيحه وآزر يلتسين. وقد وافق ليبيد على ذلك شريطة أن:

١- يعين في منصب سكرتير مجلس الأمن الروسي.

٢- يناط به ملف القضية الشيشانية وإعطائه صلاحيات واسعة للسعي إلى وقف القتال.

٣- عزل بعض الفاسدين في الإدارة الروسية، والصقور بالنسبة للقضية الشيشانية.

وتمت الموافقة على شروطه، فعين سكرتيراً لمجلس الأمن الروسي، وأنيط به ملف القضية الشيشانية مع صلاحيات واسعة. وجرى عزل عدد من الفاسدين والصقور ومنهم:

- الجنرال غراتشيف وزير الدفاع.
- الجنرال الكسندر كورجالوف رئيس الحرس الشخصي لرئيس الجمهورية.
- ميخائيل باروسكوف سكرتير مجلس الأمن الروسي.
- أوليج سوسكوفيتش الممثل والمبعوث الخاص في الشيشان منذ عام ١٩٩٥.

وفي الجولة الثانية بتاريخ ١٩٩٦/٧/٩، فاز يلتسين لولاية ثانية كرئيس للفدرالية الروسية، وباشر ليبيد سعيه لوقف الحرب في الشيشان.

وفي وجه مقاومة من الصقور في موسكو والقادة الميدانيين، وتارجح مواقف يلتسين، استطاع ليبيد أن ينشئ علاقات تعاون مع مسخادوف. فوقعا بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١ اتفاقية صادقت عليها السلطات الروسية والشيشانية، وأدت إلى إيقاف الحرب وانسحاب القوات الروسية من شيشانيا ، وفيما يلي ترجمتها :

اتفاقية الهدنة الروسية – الشيشانية

نحن الموقعين أدناه:

آخذين بعين الاعتبار التقدم الذي حققناه في الوصول إلى اتفاق لوقف الأعمال الحربية.

جاهدين لتهيئة ظروف مقبولة من الطرفين لحل سياسي للنزاع العسكري.

مقرين بأنه يُحظر استعمال القوة العسكرية، أو التهديد باستعمال القوة كوسيلة لحل الخلافات.

منطلقين من المبادئ المعترف بها دولياً حول حق الشعوب في تقرير مصيرها وفق مبادئ المساواة وحق الاختيار، وحرية التعبير عن آرائها، وتقوية الوفاق والأمن لجميع الشعوب.

ومعبرين عن إرادة الدفاع عن حقوق الإنسان، والحقوق المدنية للمواطنين، بغض النظر عن اختلاف جنسيتهم أو عقيدتهم الدينية أو مكان إقامتهم أو فروق أخرى، ووضع حد لعمليات الاضطهاد بحق المعارضين السياسيين، ومنطلقين في نفس الوقت من مبادئ الإعلان الدولي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٩ والميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.

وضعنا معاً مبادئ تحديد أسس العلاقات الثنائية بين الفدرالية الروسية والجمهورية الشيشانية التي ستبنى على أساسها عملية السلام.

مبادئ تحديد أسس العلاقات الثنائية بين الفدرالية الروسية الشيشانية

١- إن هذه المعاهدة التي تنظم العلاقات الثنائية بين الفدرالية الروسية والجمهورية الشيشانية، تحكمها مبادئ وأحكام القانون الدولي، وستسري لغاية ٢٠٠١/١٢/٣١.

٢- يجري وخلال فترة لا تتجاوز ١٩٩٦/١٠/١، تشكيل لجنة مشتركة، تضم ممثلين عن السلطات الحكومية للفدرالية الروسية والجمهورية الشيشانية تكون مهامها:

أ - ممارسة مراقبة تنفيذ مرسوم رئيس جمهورية الفدرالية الروسية رقم ٩٨٣ الصادر بتاريخ ١٩٩٦/٦/٢٥، وإعداد المقترحات المتعلقة بإكمال انسحاب القوات الروسية.

ب- التنسيق بين الطرفين لتنفيذ الأجراءات المتعلقة بمكافحة الجريمة والإرهاب والعداء القومي والديني ، ومراقبة تنفيذها.

ج- تحضير الاقتراحات لإعادة العلاقات المتبادلة في مجال الميزانية والمال والنقد.

د - إعداد البرامج اللازمة لتقوم الفدرالية الروسية بإعادة بناء البنية الاقتصادية والاجتماعية في جمهورية الشيشان.

هـ- مراقبة ممارسات التعاون بين السلطات الحكومية والمنظمات الأخرى المختصة، والمتعلقة بتوريد وتوزيع المواد الغذائية والطبية والمساعدات الأخرى للمواطنين.

٣- يقوم التشريع في جمهورية الشيشان على أساس مراعاة حقوق الإنسان والحقوق المدنية للمواطنين ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، ومبادئ حقوق متساوية لجميع المواطنين، ومبادئ سيادة القانون المدني ، والسلام العالمي، والأمن للمواطنين من جنسيات أخرى الذين يقيمون في أراضي جمهورية الشيشان بغض النظر عن جنسياتهم أو عقيدتهم الدينية أو فروق أخرى.

٤- تنهي اللجنة المشتركة عملها بموجب اتفاق بين الطرفين.

وقعت بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١ في مدينة خساف يرت في جمهورية الداغستان

من قبل:

الكسندر ليبيد، وس. خارلاموف	أصلان مسخادوف، وس أبو مسليموف
عن الفدرالية الروسية	عن الجمهورية الشيشانية

بحضور رئيس البعثة الخاصة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي في جمهورية الشيشان ، تيم غولدمان.

وبموجب هذه الاتفاقية (التي أجلت قرار الوضع السياسي لجمهورية الشيشان لعام ٢٠٠١) وضعت خطة سلام شملت وقف القتال فوراً، وانسحاب القوات الروسية من شيشانيا، وإعادة تعمير شيشانيا. وحيث أن صياغة هذه الاتفاقية وكأنها وُقعت بين دولتين منفصلتين لا تربطهما أية علاقات فدرالية أو كونفدرالية، فقد اعتبر المحللون والقانونيون مصادقة حكومة وبرلمان روسيا عليها بمثابة اعتراف روسي باستقلال واقعي لجمهورية الشيشان.

وفي إطار مساعي روسيا للظهور بشكل دولة مسالمة تراعي حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، ولكي تستطيع الحصول على مساعدات وقروض مالية دولية، عقدت بتاريخ ١٩٩٧/٥/١٢ مع جمهورية الشيشان (**معاهدة السلام وأسس العلاقات بين الفدرالية الروسية وجمهورية الشيشان أشكيريا**) وقعها يلتسين ومسخادوف بصفتهما رئيسا الجمهوريتين. وقد وصفها ايفان ريبكن سكرتير مجلس الأمن الروسي بعد توقيعها مباشرة بأنها " وثيقة الاخلاص والثقة ". ونشرت تحت هذا

الاسم بتاريخ ١٩٩٧/٥/٢٠ في جريدة (روسيا) الصحيفة الرسمية للحكومة الروسية وترجمتها .

(معاهدة السلام وأسس العلاقات بين الفدرالية الروسية وجمهورية اشكيريا الشيشانية).

من أجل إنهاء المواجهة المستمرة منذ عدة قرون، وتوجيه الجهود من أجل بناء علاقات جيدة قائمة على المساواة والمنفعة المتبادلة بينهما أتفق الفريقان على ما يلي :

١- إلى الأبد ... يتجنب الطرفان استخدام القوة، أو التهديد بها في حل النزاعات بين الطرفين.

٢- تبنى العلاقات بين الطرفين بما يتفق مع مبادئ ومعايير القانون الدولي. وفي هذا الإطار يعمل الفريقان بموجب الاتفاقيات المحددة.

٣- تقوم هذه المعاهدة كأساس لعقد معاهدات واتفاقيات بين الطرفين في كل ما يخص علاقاتهما الثنائية في المستقبل.

٤- وقعت هذه المعاهدة على نسختين لهما فاعلية واحدة.

٥- تعتبر هذه المعاهدة سارية المفعول من تاريخ توقيعها.

رئيس الفدرالية الروسية	رئيس جمهورية اشكيريا الشيشانية
بوريس يلتسين	أصلان مسخادوف

موسكو في ١٢/مايو ١٩٩٧.

ومن الجدير بالملاحظة بأن مقدمة المعاهدة بدأت بجملة (من أجل إنهاء المواجهة المستمرة منذ عدة قرون ... الخ) وهذا اعتراف روسي صريح بأن شيشانيا احتلتها روسيا بعد حروب مستمرة دامت أكثر من قرن، وبقيت تحت الاحتلال بالقوة، وأدمجت في الاتحاد السوفيتي قسراً وليس اتحاداً طوعياً. فنقضت هذه المقدمة نظرية (مرور مائتي عام على الصداقة الروسية الشيشانية الحميمة المستمرة إلى الأبد) التي نادى بها البروفيسور فينوغرادوف أستاذ التاريخ في جامعة غروزني، وكان يرسب كل طالب يناقض هذه النظرية. وكان المؤتمر الوطني الشيشاني قد طالب بتجريده من جميع الأوسمة والمداليات والألقاب التي حصل عليها بالافتراء على تاريخ الشعب

الشيشاني، وعدم منحه جنسية جمهورية الشيشان المستقلة. وهو الوحيد الذي صدر بحقه هذا الطلب.

وحسب اجتهاد قانونيين دوليين مثل البروفيسور فرانسيس بويل، أستاذ القانون الدولي في جامعة الينوي، فإن هذه المعاهدة تعتبر اعترافاً روسياً بالاستقلال الواقعي لجمهورية الشيشان أشكيريا. وأن من حق هذه الجمهورية الاستناد على هذه المعاهدة في طلب الاعتراف الدولي بها وباستقلالها، وكذلك في طلب الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى كدولة مستقلة ذات سيادة.

ومن الأسباب التي اعتمدوها في اجتهادهم:

١- تسميتها كمعاهدة وليست اتفاقية، فالمعاهدات تعقد عادة بين دول منفصلة وليس بين مركز دولة وفرعها.

٢- تثبيت اسم جمهورية أشكيريا الشيشانية في المعاهدة. وهذا الاسم يختلف عن الاسم الوارد في البند ٦٥ من دستور الفدرالية الروسية بصفتها جزءاً من الفدرالية. وهذا يشكل اعترافاً روسياً بأن جمهورية الشيشان أشكيريا ليست جزءاً من الفدرالية الروسية.

وفي جلسة توقيع المعاهدة ... كان اسم شيشانيا الذي ورد في الصيغة المطبوعة (جمهورية الشيشان) ، فرفض مسخادوف توقيعها ما لم يجر تصحيح الاسم إلى (جمهورية اشكيريا الشيشانية) . سأل يلتسين إذا كان يقبل أن يكون التصحيح بخط اليد ؟ فأجاب مسخادوف نعم شريطة أن يكون بخط يدك انت وتوقع بجانبه.

٣- الإشارة إلى (المواجهة المستمرة منذ عدة قرون) مما يشكل اعترافاً أن العلاقة السابقة بين روسيا وشيشانيا كانت علاقة احتلال وضم قسري وليس اتحاد طوعي. ومن حق جميع الشعوب أن تتحرر من الاحتلال الأجنبي وتقرير مصيرها بنفسها.

٤- الإشارة إلى (وتوجيه الجهود لبناء علاقات جيدة قائمة على المساواة) تشير إلى علاقات بين دولتين منفصلتين وليس بين مركز دولة وأحد فروعها التي لا تتصف عادة بالمساواة . أن معاهدة الفدرالية الروسية ودستورها بعيدين عن تحقيق المساواة بين المركز والفروع.

٥- الإشارة إلى (بناء علاقات على أساس المبادئ والحقوق المعترف بها دولياً فيما بينهما) تشير أيضاً إلى دولتين منفصلتين تخضع العلاقات بينهما إلى القوانين والحقوق المعترف بها دولياً، أما العلاقات بين مركز الدولة وإحدى فروعها فتتحكم فيها عادة دستور وقوانين تلك الدولة.

٦- الإشارة إلى (هذه المعاهدة هي عبارة عن أساس لعقد مجموعة من اتفاقات حول العلاقات بين الطرفين) تشير أيضاً إلى دولتين منفصلتين، حيث أن الاتفاقيات بين مركز الدولة وإحدى فروعها لا تتطلب عقد معاهدة تكون أساساً لمثل هذه الاتفاقيات. المعاهدات تعقد عادة بين دول منفصلة وليس بين دولة وإحدى فروعها.

٧- الإشارة إلى (أن هذه المعاهدة وقعت على نسختين لهما فاعلية قانونية واحدة) تشير أيضاً إلى دولتين منفصلتين، فلو كانت بين مركز دولة وإحدى فروعها لما تطلب التأكيد بأن النسخ الموثقة لدى الفريقين لها فاعلية قانونية واحدة.

ومما تقدم يمكننا أن نستخلص بأن روسيا اعترفت بالاستقلال الواقعي لجمهورية الشيشان، وإنها ليست جزءاً من الفدرالية، وأن ادعاء روسيا بأن شيشانيا جزء من الفدرالية الروسية يمثل خرقاً للمعاهدة التي عقدتها. وكذلك الاعتداء الروسي الجاري الآن هو خرق غير أخلاقي من دولة كبيرة تعهدت بمعاهدة شرعية (بعدم استعمال القوة وأسلوب التهديد في حل النزاعات التي تخص الطرفين نهائياً). أن الاعتداء الروسي الحالي على شيشانيا (ليس شأن داخلي لروسيا بل اعتداء وغزو عسكري لدولة مستقلة ذات سيادة).

وبالإضافة إلى المعاهدة التي وقعت بين يلتسين ومسخادف، وقع الجانبان الروسي والشيشاني في نفس اليوم (١٢/٥/١٩٩٧) اتفاقيتين، الأولى بهدف تحسين العلاقات القائمة على المنفعة المتبادلة والتعاون الاقتصادي، والثانية متعلقة بتنظيم حركة الحسابات وتداول النقد بين بنوك البلدين .

وفيما يلي ترجمتها إلى اللغة العربية:

اتفاقية بين حكومة روسيا الفيدرالية وحكومة الشيشان أشكيريا الشيشانية

مرتكزين على معاهدة السلام وأسس العلاقات بين روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان اشكيريا الموقعة في ١٢ أيار ١٩٩٧، وبهدف تحسين العلاقات القائمة على المنفعة المتبادلة والتعاون الاقتصادي، وتهيئة الظروف المناسبة لتوقيع اتفاقية شاملة بين روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان اشكيريا – اتفق الطرفان على ما يلي:

١- تنفيذ بنود الاتفاقية السابقة والموقعة بتاريخ ٢٣ تشرين ثاني ١٩٩٦ والمتعلقة بما يلي:

- إعادة بناء المؤسسات الحيوية الهامة للتجمعات السكانية في جمهورية الشيشان اشكيريا.
- دفع الرواتب وأجور العمل ورواتب التقاعد المترتبة.
- دفع التعويضات للسكان عن الخسائر التي لحقت بهم نتيجة للعمليات العسكرية.
- تنفيذ برنامج متكامل لبناء القاعدة الاقتصادية والاجتماعية والموضوع من قبل حكومة جمهورية الشيشان اشكيريا بالتنسيق مع حكومة روسيا الفيدرالية.

٢- تقوم وزارات ومؤسسات الدولة في روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان اشكيريا بوضع اتفاقيات نهائية محددة لتنفيذ البند (١) من هذه الاتفاقية وخلال مدة أقصاها شهر.

٣- تنفيذاً لأوامر رئيس روسيا الفيدرالية ورئيس جمهورية الشيشان أشكيريا لإنهاء جميع الإجراءات الضرورية المتعلقة بالتفتيش وإطلاق سراح جميع الموقوفين، والبحث والتعرف على ودفن جثث القتلى.

٤- ينتهي عمل ونشاط اللجنة الحكومية الموحدة منذ اللحظة الأولى لتوقيع هذه الاتفاقية.

٥- توقع هذه الاتفاقية على نسختين لهما فاعلية قانونية واحدة.

٦- تصبح هذه الاتفاقية سارية المفعول اعتباراً من تاريخ توقيعها.

رئيس وزراء روسيا الفيدرالية	رئيس وزراء جمهورية اشكيريا الشيشانية
فكتور تشيرنوميردن	أصلان منسخادوف

موسكو في ١٢ أيار ١٩٩٧

اتفاقية حول تنظيم العمليات النقدية وحركة الحسابات بين جمهورية روسيا الفيدرالية وجمهورية أشكيريا الشيشانية

إن حكومة روسيا الفيدرالية والبنك المركزي الروسي من جهة، وحكومة جمهورية الشيشان إشكيريا والبنك الوطني لجمهورية الشيشان من جهة أخرى، واللذان يعتبران أطراف هذه الاتفاقية ويتفق ذلك مع بنود المعاهدة الموقعة بتاريخ ١٢ أيار ١٩٩٧ بين حكومة روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان، وبعد مراجعة الحلول الممكنة والهادفة إلى تنظيم حركة الحسابات وتداول النقد بين بنوك روسيا الفيدرالية من جهة وبنوك جمهورية الشيشان اشكيريا من جهة أخرى اتفق الطرفان على تنظيم العمليات النقدية وحركة الحسابات على النحو التالي:

المادة (١): يعتبر نقد البنك الروسي إصدار عام ١٩٩٣ والإصدارات التي تلته والموقع من قبل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية وسيلة التداول النقدي القانوني الوحيد في الحسابات المالية وفي الدفع مقابل الخدمات والبضائع وغيرها من الضروريات داخل أراضي جمهورية الشيشان وذلك خلال فترة سريان هذه الاتفاقية. وتقوم حكومة جمهورية الشيشان والبنك الوطني لجمهورية الشيشان مباشرة بتنظيم ترويج النقد وحركة الحسابات على أراضي جمهورية الشيشان اشكيريا . ويعتبر البنك الوطني لجمهورية الشيشان مؤسسة مرتبطة بالبنك المركزي في روسيا الفيدرالية . ولا يتحمل البنك المركزي الروسي أية التزامات تجاه ديون والتزامات البنك الوطني لجمهورية الشيشان، والبنك الوطني لجمهورية الشيشان لا يتحمل أية التزامات تجاه ديون

وفيما يلي ترجمتها إلى اللغة العربية:

اتفاقية بين حكومة روسيا الفيدرالية وحكومة الشيشان أشكيريا الشيشانية

مرتكزين على معاهدة السلام وأسس العلاقات بين روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان اشكيريا الموقعة في ١٢ أيار ١٩٩٧، وبهدف تحسين العلاقات القائمة على المنفعة المتبادلة والتعاون الاقتصادي، وتهيئة الظروف المناسبة لتوقيع اتفاقية شاملة بين روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان اشكيريا – اتفق الطرفان على ما يلي:

١- تنفيذ بنود الاتفاقية السابقة والموقعة بتاريخ ٢٣ تشرين ثاني ١٩٩٦ والمتعلقة بما يلي:

- إعادة بناء المؤسسات الحيوية الهامة للتجمعات السكانية في جمهورية الشيشان اشكيريا.
- دفع الرواتب وأجور العمل ورواتب التقاعد المترتبة.
- دفع التعويضات للسكان عن الخسائر التي لحقت بهم نتيجة للعمليات العسكرية.
- تنفيذ برنامج متكامل لبناء القاعدة الاقتصادية والاجتماعية والموضوع من قبل حكومة جمهورية الشيشان اشكيريا بالتنسيق مع حكومة روسيا الفيدرالية.

٢- تقوم وزارات ومؤسسات الدولة في روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان اشكيريا بوضع اتفاقيات نهائية محددة لتنفيذ البند (١) من هذه الاتفاقية وخلال مدة أقصاها شهر.

٣- تنفيذاً لأوامر رئيس روسيا الفيدرالية ورئيس جمهورية الشيشان أشكيريا لإنهاء جميع الإجراءات الضرورية المتعلقة بالتفتيش وإطلاق سراح جميع الموقوفين، والبحث والتعرف على ودفن جثث القتلى.

٤- ينتهي عمل ونشاط اللجنة الحكومية الموحدة منذ اللحظة الأولى لتوقيع هذه الاتفاقية.

٥- توقع هذه الاتفاقية على نسختين لهما فاعلية قانونية واحدة.

٦- تصبح هذه الاتفاقية سارية المفعول اعتباراً من تاريخ توقيعها.

رئيس وزراء روسيا الفيدرالية	رئيس وزراء جمهورية اشكيريا الشيشانية
فكتور تشيرنوميردن	أصلان مسخادوف

موسكو في ١٢ أيار ١٩٩٧

اتفاقية حول تنظيم العمليات النقدية وحركة الحسابات
بين جمهورية روسيا الفيدرالية وجمهورية أشكيريا الشيشانية

إن حكومة روسيا الفيدرالية والبنك المركزي الروسي من جهة، وحكومة جمهورية الشيشان إشكيريا والبنك الوطني لجمهورية الشيشان من جهة أخرى، واللذان يعتبران أطراف هذه الاتفاقية ويتفق ذلك مع بنود المعاهدة الموقعة بتاريخ ١٢ أيار ١٩٩٧ بين حكومة روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان، وبعد مراجعة الحلول الممكنة والهادفة إلى تنظيم حركة الحسابات وتداول النقد بين بنوك روسيا الفيدرالية من جهة وبنوك جمهورية الشيشان اشكيريا من جهة أخرى اتفق الطرفان على تنظيم العمليات النقدية وحركة الحسابات على النحو التالي:

المادة (١): يعتبر نقد البنك الروسي إصدار عام ١٩٩٣ والإصدارات التي تلته والموقع من قبل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية وسيلة التداول النقدي القانوني الوحيد في الحسابات المالية وفي الدفع مقابل الخدمات والبضائع وغيرها من الضروريات داخل أراضي جمهورية الشيشان وذلك خلال فترة سريان هذه الاتفاقية. وتقوم حكومة جمهورية الشيشان والبنك الوطني لجمهورية الشيشان مباشرة بتنظيم ترويج النقد وحركة الحسابات على أراضي جمهورية الشيشان اشكيريا . ويعتبر البنك الوطني لجمهورية الشيشان مؤسسة مرتبطة بالبنك المركزي في روسيا الفيدرالية . ولا يتحمل البنك المركزي الروسي أية التزامات تجاه ديون والتزامات البنك الوطني لجمهورية الشيشان، والبنك الوطني لجمهورية الشيشان لا يتحمل أية التزامات تجاه ديون

والتزامات البنك المركزي لروسيا الفيدرالية، في حال لم يؤكد ذلك من قبل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية أو البنك الوطني لجمهورية الشيشان.

المادة (٢): يقوم البنك الوطني لجمهورية الشيشان اشكيريا بإصدار النقد بالروبل لترويجه في جمهورية الشيشان وعلى حساب الموجودات النقدية بما فيها المحولة من قبل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية لحساب البنك الوطني لجمهورية الشيشان بواسطة الحوالات من الحساب الذي سيتم فتحه في مركز المعلومات للبنك المركزي الروسي.

يقوم البنك الوطني لجمهورية الشيشان بفتح الحسابات المذكورة عن طريق الإيرادات من المؤسسات الأخرى التابعة للبنك المركزي الروسي وعلى أساس الحسابات الجارية بين البنوك، والمدفوعات بالروبل في أحد مؤسسات البنك الروسي والتي يجري تحديدها بالتنسيق والاتفاق بين البنك المركزي الروسي والبنك الوطني لجمهورية الشيشان، وعلى حساب دعم المبيعات بالشكل المقرر له (مباشرة أو من خلال بورصة العملة الأجنبية) من قبل الحكومة أو عن طريق البنك الوطني لجمهورية الشيشان، والعملة الأجنبية المحولة له من قبل البنك المركزي الروسي.

المادة (٣): يقوم البنك المركزي لروسيا الفيدرالية والبنك الوطني لجمهورية الشيشان بوضع نظام دعم وتأمين البنك الوطني لجمهورية الشيشان بالروبلات ونظام إقرار الوثائق للحسابات غير النقدية بهدف مساعدة البنك الوطني لجمهورية الشيشان وذلك من خلال اتفاقية بينهما لفتح الحساب وبدء المراسلات البنكية.

ويتم توكيل وتفويض الموظفين بفتح الحساب في البنك الوطني لجمهورية الشيشان بعد المصادقة عليهم من قبل رئيس وزراء جمهورية الشيشان بالتوقيع والخاتم الرسمي.

المادة (٤): تجري الحسابات غير النقدية والقروض داخل أراضي جمهورية الشيشان مع مؤسسات القروض الأخرى في روسيا الفيدرالية بواسطة حوالات البنك الوطني لجمهورية الشيشان في مؤسسات البنك الروسي فقط. وتتم المدفوعات في حدود الوسائل المتبقية في حساب البنك الوطني لجمهورية الشيشان.

المادة (٥) : يتحمل البنك الوطني لجمهورية الشيشان مسؤولية ضمان وتأمين وصول الحسابات النقدية لأصحابها كاملة في جمهورية الشيشان.

المادة (٦) : يتحمل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية مسؤولية ضمان وصول الحوالات النقدية لحساب البنك الوطني لجمهورية الشيشان والمحولة لعملاء البنك الوطني لجمهورية الشيشان في الوقت المحدد، ويتحمل البنك الوطني الشيشاني مسؤولية تسليم هذه الحسابات لأصحابها حسب الأصول.

المادة (٧) : تتحمل حكومة جمهورية الشيشان وبنكها الوطني مسؤولية تنظيم وترويج وضمان حركة الحسابات داخل أراضي جمهورية الشيشان اشكيريا.

المادة (٨) : يتحمل البنك الوطني لجمهورية الشيشان مسؤولية تنظيم وعمل النظام البنكي داخل أراضي جمهورية الشيشان بما يتفق مع الأنظمة والقوانين المرعية.

يقوم البنك الروسي بعد فترة وجيزة من فتح الحسابات النقدية في البنك المركزي الروسي لحساب البنك الوطني الشيشاني بإلغاء رخص البنوك ومؤسسات القروض وغيرها داخل أراضي جمهورية الشيشان ويعلن عن سحب رخص هذه البنوك الصادرة سابقاً من قبل البنك المركزي الروسي لممارسة العمليات النقدية.

المادة (٩) : يعتبر البنك الوطني لجمهورية الشيشان حسب قانون روسيا الفيدرالية مؤسسة مقرضة غير مقايضة . ويجري فتح حسابات للأشخاص المقيمين داخل الأراضي الشيشانية (بالروبل وبالعملة الأجنبية) في مؤسسات المقايضة التابعة لروسيا الفيدرالية بإبراز الوثائق الشخصية مع تزكية من الحكومة الشيشانية والبنك الوطني الشيشاني مصدقة من البنك الروسي.

المادة (١٠): تعاد هيكلة حسابات البنوك التجارية ومؤسسات القروض الأخرى وحسابات الأشخاص المتواجدين داخل أراضي جمهورية الشيشان والتي تم فتحها قبل توقيع هذه الاتفاقية دون الحصول على ترخيص مسبق والمشار إليه في المادة (٩) خلال مدة أقصاها شهر. وبانتهاء هذه المهلة تغلق الحسابات التي لم يتم هيكلتها من جديد وتحول أرصدة هذه الحسابات إلى حساب البنك الوطني الشيشاني في البنك المركزي الروسي لتحويلها لحسابات أصحابها الشرعيين.

والتزامات البنك المركزي لروسيا الفيدرالية، في حال لم يؤكد ذلك من قبل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية أو البنك الوطني لجمهورية الشيشان.

المادة (٢): يقوم البنك الوطني لجمهورية الشيشان اشكيريا بإصدار النقد بالروبل لترويجه في جمهورية الشيشان وعلى حساب الموجودات النقدية بما فيها المحولة من قبل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية لحساب البنك الوطني لجمهورية الشيشان بواسطة الحوالات من الحساب الذي سيتم فتحه في مركز المعلومات للبنك المركزي الروسي.

يقوم البنك الوطني لجمهورية الشيشان بفتح الحسابات المذكورة عن طريق الإيرادات من المؤسسات الأخرى التابعة للبنك المركزي الروسي وعلى أساس الحسابات الجارية بين البنوك، والمدفوعات بالروبل في أحد مؤسسات البنك الروسي والتي يجري تحديدها بالتنسيق والاتفاق بين البنك المركزي الروسي والبنك الوطني لجمهورية الشيشان، وعلى حساب دعم المبيعات بالشكل المقرر له (مباشرة أو من خلال بورصة العملة الأجنبية) من قبل الحكومة أو عن طريق البنك الوطني لجمهورية الشيشان، والعملة الأجنبية المحولة له من قبل البنك المركزي الروسي.

المادة (٣) : يقوم البنك المركزي لروسيا الفيدرالية والبنك الوطني لجمهورية الشيشان بوضع نظام دعم وتأمين البنك الوطني لجمهورية الشيشان بالروبلات ونظام إقرار الوثائق للحسابات غير النقدية بهدف مساعدة البنك الوطني لجمهورية الشيشان وذلك من خلال اتفاقية بينهما لفتح الحساب وبدء المراسلات البنكية.

ويتم توكيل وتفويض الموظفين بفتح الحساب في البنك الوطني لجمهورية الشيشان بعد المصادقة عليهم من قبل رئيس وزراء جمهورية الشيشان بالتوقيع والخاتم الرسمي.

المادة (٤): تجري الحسابات غير النقدية والقروض داخل أراضي جمهورية الشيشان مع مؤسسات القروض الأخرى في روسيا الفيدرالية بواسطة حوالات البنك الوطني لجمهورية الشيشان في مؤسسات البنك الروسي فقط. وتتم المدفوعات في حدود الوسائل المتبقية في حساب البنك الوطني لجمهورية الشيشان.

المادة (٥) : يتحمل البنك الوطني لجمهورية الشيشان مسؤولية ضمان وتأمين وصول الحسابات النقدية لأصحابها كاملة في جمهورية الشيشان.

المادة (٦) : يتحمل البنك المركزي لروسيا الفيدرالية مسؤولية ضمان وصول الحوالات النقدية لحساب البنك الوطني لجمهورية الشيشان والمحولة لعملاء البنك الوطني لجمهورية الشيشان في الوقت المحدد، ويتحمل البنك الوطني الشيشاني مسؤولية تسليم هذه الحسابات لأصحابها حسب الأصول.

المادة (٧) : تتحمل حكومة جمهورية الشيشان وبنكها الوطني مسؤولية تنظيم وترويج وضمان حركة الحسابات داخل أراضي جمهورية الشيشان اشكيريا.

المادة (٨) : يتحمل البنك الوطني لجمهورية الشيشان مسؤولية تنظيم وعمل النظام البنكي داخل أراضي جمهورية الشيشان بما يتفق مع الأنظمة والقوانين المرعية.

يقوم البنك الروسي بعد فترة وجيزة من فتح الحسابات النقدية في البنك المركزي الروسي لحساب البنك الوطني الشيشاني بإلغاء رخص البنوك ومؤسسات القروض وغيرها داخل أراضي جمهورية الشيشان ويعلن عن سحب رخص هذه البنوك الصادرة سابقاً من قبل البنك المركزي الروسي لممارسة العمليات النقدية.

المادة (٩) : يعتبر البنك الوطني لجمهورية الشيشان حسب قانون روسيا الفيدرالية مؤسسة مقرضة غير مقايضة . ويجري فتح حسابات للأشخاص المقيمين داخل الأراضي الشيشانية (بالروبل وبالعملة الأجنبية) في مؤسسات المقايضة التابعة لروسيا الفيدرالية بإبراز الوثائق الشخصية مع تزكية من الحكومة الشيشانية والبنك الوطني الشيشاني مصدقة من البنك الروسي.

المادة (١٠): تعاد هيكلة حسابات البنوك التجارية ومؤسسات القروض الأخرى وحسابات الأشخاص المتواجدين داخل أراضي جمهورية الشيشان والتي تم فتحها قبل توقيع هذه الاتفاقية دون الحصول على ترخيص مسبق والمشار إليه في المادة (٩) خلال مدة أقصاها شهر. وبانتهاء هذه المهلة تغلق الحسابات التي لم يتم هيكلتها من جديد وتحول أرصدة هذه الحسابات إلى حساب البنك الوطني الشيشاني في البنك المركزي الروسي لتحويلها لحسابات أصحابها الشرعيين.

المادة (١١) : تعتبر هذه الاتفاقية سارية المفعول لمدة سنة اعتباراً من تاريخ توقيعها في حال لم يبد احد الأطراف نيته لإجراء تعديلات عليها. وإذا أبدى أحد الأطراف رغبته في الانسحاب من الاتفاقية ، عليه إعلام الطرف الآخر في فترة لا تقل عن ستة أشهر قبل تاريخ الإعلان رسمياً عن الانسحاب من الاتفاقية. يمنع إجراء أية إضافات أو تعديلات على هذه الاتفاقية إلا بالموافقة والتنسيق بين الطرفين.

جرى توقيع الاتفاقية في مدينة موسكو بتاريخ ١٢ أيار ١٩٩٧ على نسختين لهما فعالية قانونية واحدة .

مدير البنك الوطني لجمهورية الشيشان	مدير البنك المركزي لروسيا الفيدرالية
أحمد زاكاييف	دوبينين
عن حكومة جمهورية اشكيريا الشيشانية	عن حكومة روسيا الفيدرالية
أصلان مسخادوف	تشيرنوميردن

إن انتهاك روسيا لمعاهدة ١٢/٥/١٩٩٧ " وثيقة الاخلاص والثقة " والاتفاقيات العديدة المبرمة بين الجانبين ، ورفضها دفع التعويضات عن الاضرار والخسائر التي نتجت عن حرب ١٩٩٤ - ١٩٩٦ ، وامتناعها عن المساهمة في اعادة اعمار الجمهورية ، والمساعدة في ازالة الالغام وتقديم خرائط بمواقعها ، وتصعيد الضغوط على الجمهورية من حصار اقتصادي ، ومقاطعة تجارية ، واغلاق حدود ، ومحاربة دبلوماسية واعلامية ، ومنع مؤسسات المجتمع العالمي من تقديم الدعم لاعادة اعمار وتأهيل مرافق البنية التحتية والمؤسسات الاجتماعية ، واختلاق وتصعيد احداث بررت بها الغزو العسكري للجمهورية الجاري منذ ايلول ١٩٩٩ .

كل ما تقدم في إطار السياسة الروسية المستمرة **(التخلص من الشيشان في القوقاز)**.

الخاتمة
دروس وعبر

لا أخالني مؤهلاً لاستخلاص دروس وعبر من الحرب الروسية الشيشانيةلأعوام ١٩٩٤-١٩٩٦. فهذه المهمة تتطلب قدرة أكبر على التحليل والتقييم، وإمكانيات أفضل للوصول إلى شبكات المعلومات والإحصاءات والبيانات، ومتابعة أكثر للتطورات التي أدت إلى الغزو الروسي للشيشان عام ١٩٩٩، والحرب التي لا تزال جارية.

ولذلك، فإنني لن أتصدى لتحليل وتقييم مركز، بل سأكتفي بعرض بعض الملاحظات العامة:

١- سُئل مسخادوف :" هل تعتقد بأنكم انتصرتم في الحرب ؟"

فأجاب :" لم يكن هدفنا هزيمة الجيش الروسي .. نعرف أن الجيش الروسي كبير ولديه اسلحة نووية. لقد قاتلنا بقوتنا المحدودة حتى لا يبقى جندي روسي على ارضنا. وأظن أننا حققنا ذلك."

وفي الحقيقة فإن جانبي النزاع خرجا من الحرب خاسرين.

فمع أن الجانب الشيشاني كسب إعجاباً عالمياً بصموده ، وتمكن من هزيمة القوات الروسية، وإجبارها على الانسحاب من شيشانيا، إلا أن خسائره البشرية قدرت بما يتراوح بين ٣٠-٤٠ ألف شهيد، وعشرات الألوف من الجرحى، ونزوح ما يزيد عن ٣٠٠ ألف من مواقع إقامتهم، وجرى تدمير البنية التحية ، ومرافق الخدمات الرئيسية والمجمعات الإنتاجية والسكنية . وقضي على الجزء الأكبر من الثروة الحيوانية . وغدت الزراعة في الأراضي السهلية الخصبة مخاطرة كبيرة، بسبب مئات الألوف من الألغام التي زُرعت ولم تنظم (أو لم تسلم للجانب الشيشاني) خرائط حقولها ومواقعها. وانتشرت البطالة مما أدى إلى تزايد في حوادث الإجرام، بما فيها حوادث الخطف مما

أساء إلى سمعة الشعب الشيشاني. وبقي القلق يراودهم على مستقبلهم السياسي الذي لم يبت به بشكل نهائي.

وفي الجانب الروسي... كانت هذه الحرب كارثة بشرية ومادية ومعنوية. فالجيش الذي كان يُعتبر قوة عظمى لحقت به هزيمة مهينة. ومع أنه لم تكشف أرقاماً صحيحة عن خسارة قواتها، فإن تقديرات المحللين أنها زادت عن ١٢٠٠٠ جندي قتيل. وشكلت الحرب عبئاً مالياً كبيراً على الخزينة الروسية، فأصبحت عاجزة عن دفع الرواتب وصيانة المرافق. وتناقلت الأنباء العالمية الحالة المزرية التي أصبحت عليها قواتها التي انسحبت من شيشانيا ، ووضعت في معسكرات خيام أقيمت في ساحات موحلة بدون مرافق صحية، أو خدمات أو تدفئة. وكان ضباط يؤجرون جنود وحداتهم للعمل في جمع المحاصيل الزراعية مقابل حصة تكفي لإطعامهم ، وكان راتب المجند الروسي بحدود خمسة دولارات في الشهر.

ولعل انعدام ثقة القوات الروسية بقياداتها المدنية والعسكرية العليا يبرز فيما كان يتناقله مراسلو وكالات الأنباء العالمية على لسان أفراد وحداتها المتواجدة في شيشانيا (جنوداً وضباطاً ومختلف الرتب)، مثل :

- أود أن اخنق يلتسين بيدي . ليته هو وجنرالاته يعانون ما نواجهه هنا .
- إن يلتسين وغراتشيف خسيسين حقيرين . كل ما يفكران به هو أن يبقيا في مركزيهما ، يسرقان وينهبان ويجمعان المال الحرام .
- الحكومة والمافيا عملياً نفس الشيء . لا يهمهما أمور البلد ولا الجيش.

٢- أظهرت الهزيمة التي لحقت بالقوات الروسية، بأن التفوق في عدد القوات وتسلحيها وامتلاكها لتكنولوجيا متطورة لا يغني عن التدريب الجيد والتخطيط السليم. وأظهرت أيضاً بأن وعي وقناعة المقاتل بأهداف الحرب، والاحترام المتبادل بين الجندي وضابطه، وثقة الجندي بالقيادة السياسية والعسكرية. ونظافتها وبعدها عن الفساد، وتأمين مستوى مقبول من الغذاء والكساء والمأوى في جبهات القتال، كلها عوامل أساسية في مستوى أداء الجندي. وكانت حالة الجندي الروسي بالنسبة لهذه الأمور تعيسه.

٣- أن الانتصار الشيشاني في هذه الحرب كان (نصر من الله عز وجل وبمدد منه). إلا أن العديد من القادة الميدانيين الشيشان لم يعوا ذلك وأصابهم الغرور، وخيل لهم بانهم هم الذي هزموا الجيش الروسي ، وأن من حقهم أن يتولوا إدارة البلادبعد انتهاء الحرب.

إن عمليات إعادة اعمار بلد دمرته الحرب، وتنظيم تنمية ثقافية واجتماعية واقتصادية، وإنشاء علاقات وروابط مع الخارج، تحتاج إلى مؤهلات قد لا تتوفر في القادة العسكريين. ولذلك فإن إصرار هؤلاء القادة بأن يتولوا هم إدارة البلاد في أوقات السلم كان عائقاً لعمليات الإعمار والتنمية.

٤- كان موقف المجتمع العالمي تجاه جمهورية الشيشان بعد انتهاء الحرب هو (النسيان والتخلي).

الجانب الروسي لم يلتزم بمسئولياته القانونية لدفع التعويضات عن الأضرار والدمار الذي ألحقته قواته في الشيشان.

وكذلك المجتمع العالمي لم يقدم أية مساعدة لإعادة إعمار وتأهيل شيشانيا. وحتى المعونات الإنسانية القليلة التي كانت تقدم إلى اللاجئين أثناء القتال قد توقفت . عمت البطالة وتدهورت الأحوال المعيشية إلى مستوى الفقر المدقع. فكانت عاملاً في ازدياد جرائم منها عمليات سرقة وسلب واختطاف بعيدة عن التراث الشيشاني.

٥- ونتيجة للبطالة والفقر، أتيح لجماعات سلفية أو أصولية، لها تمويل من الخارج أن تتدخل في شؤون المجتمع الشيشاني . وبدعوى مناهضة البدع في الإسلام، اخذت تمارس بدعاً قد تؤدى إلى خلخلة في ذلك المجتمع المبني على توافق بين الوسطية في الإسلام والتقاليد القومية.

لقد برهن الشيشان، من خلال صمودهم أمام المعاناة القاسية التي تعرضوا لها أثناء الحكم الروسي القيصري والشيوعي، ومقاومتهم ودحرهم للغزو الروسي موضوع هذا الكتاب تحت شعار (الله أكبر) ، على عمق إيمانهم وقناعتهم بالعقيدة الإسلامية، وممارسة طقوسها التي لا تتعارض مع عاداتهم وتقاليدهم القومية، وتراثهم وأسلوب معيشتهم. إن الشيشان في جمهوريتهم ليسوا بحاجة إلى مبشرين ودعاة ومنظرين من

الخارج ، تنقل إلى الجمهورية باسم الدين منازعاتها وتنافسها ، مما يؤدي إلى زرع الفتن وبث الخلافات وتشويش التراث القومي . أن البدع التي ينشرونها ينكرها الدين الحنيف وتتعارض مع تراث وطريقة معيشة الشعب الشيشاني.

وأقول لشيشان الجمهورية.... أنكم لستم بحاجة إلى وعاظ ومنظرين وقضاة شرعيين ورجال إفتاء من الخارج . فمن خلال زياراتي المتعددة للجمهورية ، وجدت بينهم من أهم اكثر أهلية ، واحسن تقوى ، واكثر انتماء من الذين وفدوا إليهم من الخارج .بما فيهم الأردنيين الشيشان.

٦- إن مواطني الجمهورية ، الذين يحملون جنسيتها هم المؤهلون لإدارة شؤون جمهوريتهم وتمثيلها في الخارج . ومع أن من واجب الشيشان المغتربين الذي ينتمون ويحملون جنسية دول أخرى أن يناصروا وطن جذورهم ضمن إمكانياتهم ، ويقدموا النصح والمشورة ، إلا أنه يجب أن لا يدَّعوا ، ويجب أن لا يسمح لهم الادعاء بترشيحهم لمناصب عليا ، أو تعيينهم ناطقين أو ممثلين أو سفراء متجولين وغير ذلك .

فأنا مثلاً ... ربما كنت في شبابي مؤهلاً لتولي منصب وزير الأشغال في وطني الأردن ، إلا إنني لست الآن ... ولم اكن في شبابي ... الشخص المناسب لتولي منصب وزير أشغال في الجمهورية الشيشانية .

أقول لشعب الجمهورية : " منكم الولاة ... ومنا المناصرة والمشورة ما استطعنا".

٧- بينت مجريات الحرب، أن التخوف الروسي من أن يكون انفصال واستقلال الجمهورية الشيشانة مشجعاً لجمهوريات ومقاطعات ذات حكم ذاتي في شمال القوقاز للسعي إلى الانفصال عن الفدرالية الروسية لم يكن مبرراً.

قام الروس أثناء الحكم القيصري والشيوعي بأحداث خلل ديموغرافي، وبث نزاعات، داخل الجمهورية والمقاطعة الواحدة، أو مع جيرانها، تشكل عائقاً لتوحيد الهدف والمطالبة بالاستقلال.

وكما بينت مجريات الحرب فإن تحقيق التطلع لتشكيل كونفدرالية في شمال القوقاز لم يحن وقته بعد.

وعليه فينبغي على الشعب الشيشاني الصغير أن يعي محدودية الوزن الديموغرافي والموارد والنفوذ على المستوى العالمي لجمهوريته .وينبغي عليه أن ينصرف إلى بناء وطنه وتنمية مجتمعه وممارسة استقلاله الواقعي حتى وإن لم يكتمل في الوقت الحاضر تطلعه إلى اعتراف خارجي بهذا الاستقلال، أو عضوية هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الدولية.

وينبغي أخيراً أن لا يتدخل في الشؤون الداخلية للغير . جيراناً أو خصوماً.

اللهم انصر الشيشان ، وأهدهم إلى الصراط المستقيم،

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ... آمين.



مناصرة اردنية لجمهورية الشيشان.

الفهرس

من مراجع هذا الكتاب والحروب الروسية الشيشانية

باللغتين العربية والإنجليزية

الرقم المتسلسل	عنوان المرجع	المؤلف/الباحث	سنة النشر
١	الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١	سعيد بينو	١٩٩٧
٢	الشيشان وعلاقاتهم مع روسيا والنفي الجماعي	سعيد بينو	٢٠٠٢
٣	احتلال الروس للقفقاس -ترجمة صادق إبراهيم عودة	جون بادلي	١٩٧٨
٤	قتلة الأمم-ترجمة صادق إبراهيم عودة	روبرت كونكوست	١٩٨٧
٥	الصعود إلى الجبال الشيشانية	احمد الخميسي	١٩٩٥
٦	المسلمون في الاتحاد السوفيتي-ترجمة إحسان حقي	الكسندر بينغسن	١٩٨٨
٧	المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي-ترجمة عبد القادر ضللي	الكسندر بينغسن وشانتال كيلكجاي	١٩٨٩
٨	الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (سابقا)	فخر الدين الدغبستاني	١٩٩٢
٩	الحركة الإسلامية في الشيشان والصراع الشيشاني الروسي	مراد بطل الشيشاني	٢٠٠٢
١٠	الشيشانيون الأردنيون	راتب محمود البشايرة	١٩٩٩

١١	مبادئ الدستور الروسي لعام ١٩٧٧ ترجمة عربية		
١٢	لم يتركوني أوقف الحرب-نشر على أربع حلقات في جريدة الرأي الأردنية	رسلان خاسبولات	١٩٩٩
١٣	بارقة السيوف الداغستانية في بعض الغزوات الشاملية	محمد طاهر القراخي	١٩٤٦
١٤	المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ	محمد علي البار	١٩٨٣

تابع من مراجع هذا الكتاب والحروب الروسية الشيشانية:-

1997	Carlotta Gall & Thomas de Waal	Chechanya, a Small Victoious War	1
1998	Anatol Lieven	Chechnya, Tombstone of Russia Power	2
1998	Sebastian Smith	Allah's Mountains	3
1999	Stasys Knezys & Romanas sedlikas	The War in Chechanya	4
2001	Roberts Selly	Russian-Chechen Confli 1800-2000	5
1998	Metta Spencer & others	Separatism	6
1998	John B.Dunlop	Russia Confrants Chechenya	7
1999	Andrew Bennett	Condemned to Repetition	8
1998	Vanora Bennet	Crying Wolf	9
2000	Peter O'Neill	Grey Wolf Howling	10
1995	Mohammad Iqbal Khan	The Muslims of Chechenya	11
2001	Robert Steel	A Deadly Embrace	12
1996	Yara Nikologev	The Chechen Tragedy, Who is to Blame	13
2001	Anna Nivat	A Woman Reporter Behind the Lines of War in Chechnya	14
2001	Anna Politkovskaya	A Dirty War	15
1995	Kniga Belaya	The White Book	16
1996	Pavel Beev	The Russians in a Time of Ttoubles	17
2000	Human Right Watch	Welcom to Hell	18
1992	International Alert	A Report on Visit to Chechenya. Sep-Oct.1992 Russia Polities in the North Caucasus and the War in Chechnya	19
1995	P.Baev	The Chechns and Circasians in Jordan	20
1997	E. Al-wer E. Margolis	Crime Without Punishment, Russia in the Caucasus	21
2000	Yo'av Karny	Highlanders,A Journey to the Caucasus	22
1908	John Baddely	The Russian Conquest of the Caucasus	23
1940	John Baddely	The Rugged Flanks of the Caucasus,	24
1994	Moshe Gammer	Muslim Resistance to the Tsar	25
1988	Robert Conquest	The Nations Killers	26
1978	Alexander Mekrich	The Punished People	27
1995	Yevgenia Albert	KGB, State Within A State	28
1956	A.Avtorkhanov	The Communist Party Appartus	29
1960	Lesly Blanch	The Sabres of Paradise	30
1958	Ivar Spector	The Soviet Union and the Muslim World	31
2001	Amjad Jaimoukha	The Circassians	32
1992	S.C.A.S.	The North Caucasus Barrier	33
1994	M.I.Quandour	KAVKAS	34
1953	W.E.D.Allen and Paul Muratoff	Caucasian Battlefields	35
1985	Bennigsen & Wimbush	Mistics and Commissars, Sufisim in the Soviet Union	36

كتب للمؤلف عن القضية الشيشانية

١- كتاب (الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١) بسعر خمسة دنانير أردنية أو ما يعادلها.

٢- كتاب (الشيشان - وعلاقاتهم مع روسيا والنفي الجماعي) بسعر أربعة دنانير أردنية أو ما يعادلها.

٣- كتاب (الشيشان والعدوان الروسي المستمر - حرب ١٩٩٤ - ١٩٩٦) بسعر خمسة دنانير أردنية أو ما يعادلها .

للحصول على نسخ من هذه الكتب يرجى الاتصال مع المؤلف

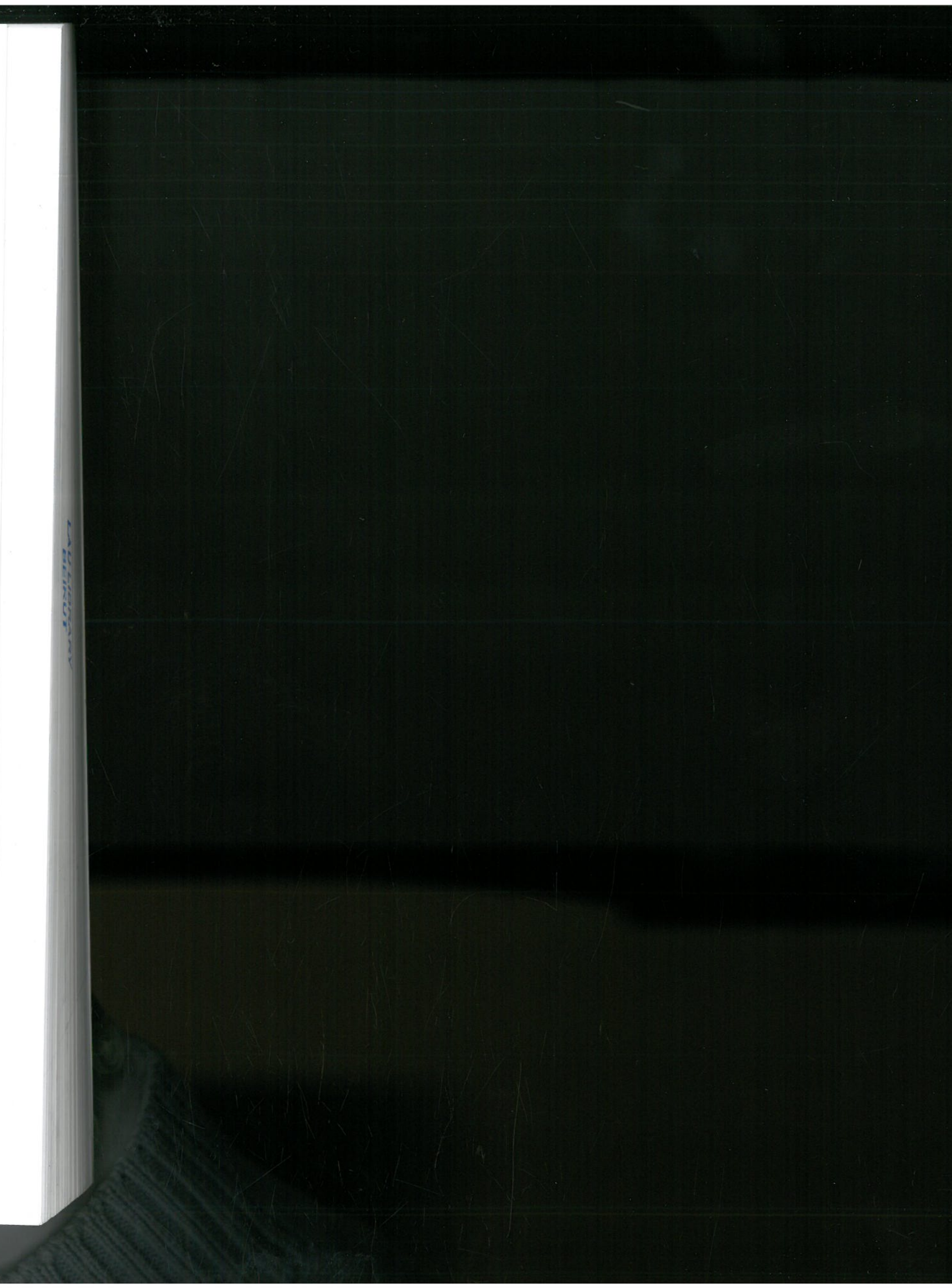
ص.ب ٢٢٧ صويلح ١١٩١٠

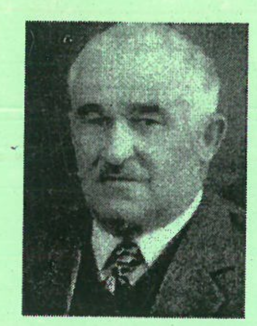
هاتف المنزل ٥٣٤١٠٣٢ (٠٦)

هاتف المكتب ٥٣٥٩٤٨١ (٠٦)

فاكس ٥٣٥٩٤٨٥(٠٦)

بريد إلكتروني hillside@index_com .jo (E-Mail)





المؤلف

المؤلف من الجيل الأول من الأردنيين الشيشانيين، ولد في قرية صويلح التي أسستها عام ١٩٠٤ عشيرته من المهاجرين الشيشان.

كمهندس مدني خريج جامعات العراق وأمريكا وبريطانيا، وخلال عمله مهندساً ووكيل وزارة ووزيراً للأشغال العامة ومدير عام مؤسسة مياه الشرب كانت نشاطاته بشكل رئيسي في مجالات الهندسة والإنشاءات ، إلا انه منذ نشأته كان مهتماً بالمطالعة ومتابعة أحداث شيشانياً التي هاجر منها والداه.

وهو عضو مؤسس ورئيس سابق جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان-أنجوش التي تأسست عام ١٩٨٩، ورئيس سابق اللجنة الأردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان القوقازية المستقلة التي تأسست عام ١٩٩٤، وقد بذلت هاتان المؤسستان جهداً نافعاً في إبراز عدالة قضية الشعب الشيشاني وتقديم المعونات الإنسانية له في الأحداث الجارية في شيشانيا.

هذا الكتاب

يشرح هذا الكتاب بأن دافع قيادات الفدرالية الروسية في شن حرب ١٩٩٤ - ١٩٩٦ (وكذلك الحرب المستمرة الآن منذ أيلول ١٩٩٩) ضد الجمهورية الشيشانية المستقلة ، لم تكن حرصاً على مصالح اقتصادية واستراتيجية للفدرالية الروسية ، بل سعياً لمصالح ذاتية تخدمها في مجالات عديدة منها :

١- في التنافس على مراكز قيادية في الفدرالية.

٢- لتحسين موقفها في الحملات الانتخابية .

٣- تأمين حصانة لها من المساءلة القانونية عن جرائم متعلقة بالفساد وجرائم الحرب.

٤- إتاحة المجال لها لنهب معدات وأسلحة وذخائر القوات الروسية المسلحة، وبيعها لمنفعتها الخاصة، وتبرير النقص باستهلاكها في العمليات الحربية في شيشانيا . وكذلك تمكين هذه القيادات، وكذلك مختلف الرتب في القوات الروسية المتواجدة في شيشانيا ، من نهب كنوز وموجودات متاحف وارشيفات الجمهورية الشيشانية. وكذلك الابتزاز واخذ الرشوات والابتزاز.

وباختصار فان حروب روسيا ضد الشيشان هي حروب (فساد... فساد...فساد... حروب قذرة) ضد المدنيين ، بدون تمييز للخلفية العرقية لسكان الجمهورية ... شيشاناً أو روساً أو غيرهم.